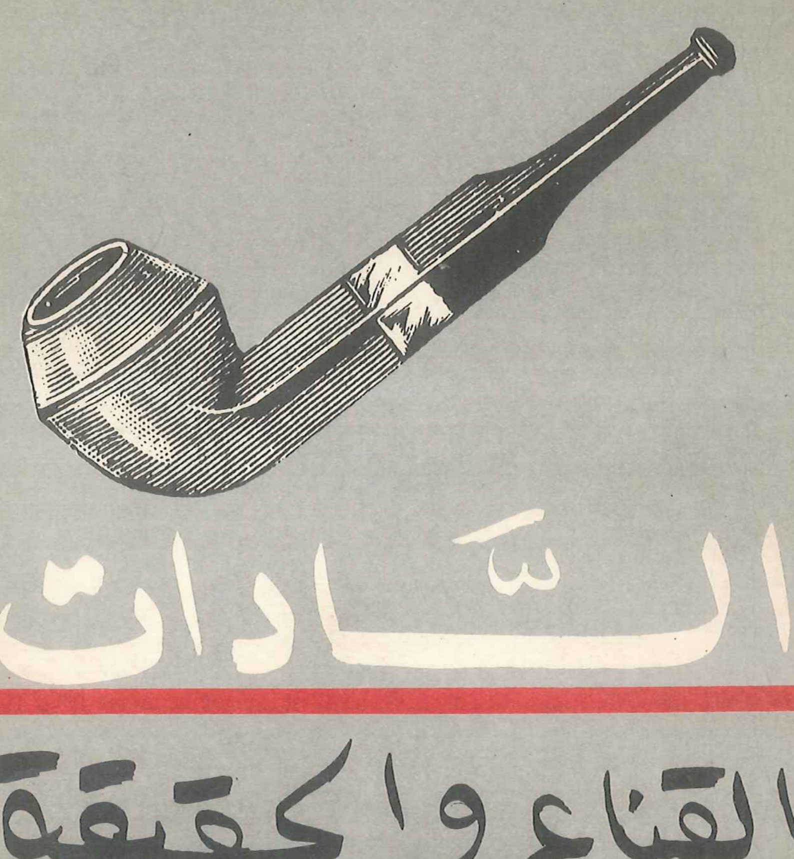
كتاب الأهالى رقم ١٨

مذكرات محمد عبد السلام الزيات

تقديم د. فؤاد مرسى



السادات

القناع والحقيقة

كتاب الأهالي رقم ١٨

فبراير ١٩٨٩

كتاب الأهالى ١٨

ثقافة الهدم والبناء

رئيس مجلس الادارة

لطفي واكد

رئيس التحرير

صلاح عيسى

المشرف الفنى

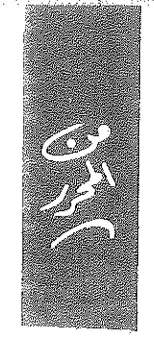
وجيه الشربتلى

كتاب الأهالى سلسلة كتب تصدرها جريدة الأهالى

لسان حال حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى

تصميم الغلاف : الفنان محيى الدين اللباد

المراسلات : ٢٣ شارع عبد الخالق ثروت ــ القاهرة



ثلاثة أحجار صغيرة

ارتفعت أسعار خامات الطباعة - وبخاصة الورق - ارتفاعا مذهلا خلال السنوات الاخيرة ، بشكل مضطرد ، وبمنحنى صاعد ، قفزت أسعار الكتب والمطبوعات ، محدودة الدخل ، التي تعيش على عملها ، بينما اصبحت هذه الكتب والمطبوعات ذاتها ، متاحة لبعض الفئات الاجتماعية التي ربما لاتعنيها القراءة الجادة ، وان كان اقتناء الكتب يمثل لها بعض الوجاهة الاجتماعية التي تحرص على استكمال مظاهرها !

ويأتي ارتفاع اسعار الكتب والمطبوعات ، ليضيف تعقيدا جديدا ، الى العقدة الثابته في « الحالة العربية » وهي الامية الالفبائية ، التي مازال تعزل ٦٠٪ - على الاقل - من المواطنين العرب ، عن سوق القراءة ، وتدفعهم لمقاطعة الثقافة المكتوبة ، بكل اشكالها ، لسبب بسيط هو انهم لايفرقون بين الالف وكوز الذرة !

ثم جاءت « الحقبة النفطية » بكل خبراتها العميمة ، وكان من بينها ، تراجع الثقافة ، والمعرفة كقيمة خلقية ، شخصية ، او اجتماعية ، او كأساس محدد للقيمة ومانح للمكانة ، ضمن التراجع العام بقيمة العمل ، بعد ان انتقلت الامة لتعيش على « الريع » وليس على « الجهد » وهو مانقل الثقافة الى خانة « الاعداء » ، لجحافل الطفيليين الذين برزوا على سطح المجتمع ، واصبحوا سادته ، ومحددي قيمة وتقاليده فانتقلوا يسخرون منها ، ويزورون الذين يتعاطونها !



وما يدعو للدهشة أن ذلك جميعه لم يؤد الى نقص الناشرين / الى زيادة غير منطقية لأعدادهم .. رغم النقص الواضح في النصوص

.. فى بحيرة راكدة

صلاح عيسى

الصالحة للنشر ككتب ، وتلك كلها مؤشرات على أن هناك عوامل مصنوعة تسود سوق النشر ، فالقراء ينكمشون والكتب تزيد ، والناشرون يتناسلون كالارانب

من هذه العوامل ، انه كان لابد للعصر الطفيلى ، أن تكون له مطبوعات طفيلية مثله ، فيها كل خصائصه ، وتستهلك مالديه من فوائض نقدية ، لم يتعب فى تحصيلها ، وهذا هو مايفسر ذلك الانتشار الذرى لمطبوعات تهدد الورق - المرتفع السعر - وخامات الطباعة فيما لايفيد ، من كتب البخت وقراءة الطالع ، الى كتب الجنس الرخيص ، الى الكتب المنسوبة زورا الى التراث والى الدين ، الى كتب الاثارة السياسية ، والكتب الصحفية السطحية التى تعيد تجميع مانشر من قبل ، بخفة عقل وخفة يد ، الى ذلك التاليف المثرثر عن كرة القدم ..

من هذه العوامل ايضا : حجم التواجد الحكومى فى سوق النشر .. وهو حجم اتسع خلال السنوات الثلاثين الماضية ، حتى اصبحت المطبوعات الرسمية او شبه الرسمية ، تحوز قصب السبق فى احصاءات المطبوعات ، وبعد ان كنا نشكو من عدم إهتمام الحكومات ، بدعم الكتب والمطبوعات اصبحنا نشكو من التواجد الرسمى الكثيف فى سوق المطبوعات ، فالحكومات العربية تستهلك لحسابها من الورق افخر - واغلى - انواعه ، وتحوز من المطابع - وادواتها التكميلية - احدثها وافخمها ، وتستخدم هذا وذاك ، فى اصدار مطبوعات دعائية قليلة القيمة والتاثير ، فاذا ما انتقلت الى نشر الكتب غير الرسمية ، نشرت اعدادا هائلة من الكتب ، تفتقد فى اغلب الاحيان ، الى خطة واضحة ، وفلسفة محددة ، ورؤية متسقة ، بحيث لانستطيع ان نعرف - تحديدا - ماذا تريد بهذا

التواجد في سوق النشر ، وان كنا نستطيع ان نعرف مالاتريد وجوده ، وماتسعى لطرده من جبهة الفكر ، ومن سوق النشر !



ولان النشر صناعة تستهدف الربح ، وتسير طبقا لقانون السوق الرأسمالية ، فمن المنطقى ان يقود قانون الربح المستثمرين في صناعة النشر ، الى مايقود غيرهم من المستثمرين في كل ماهو صناعة رأسمالية .. من السعى إلى مغابثة غرائز المستهلكين ، او خلق حاجات غير حقيقية لديهم ، بحثا عن مزيد من الربح . ورغم ذلك ، فان النشر - كصناعة - يحوز مكانه خاصة في العملية الانتاجية الرأسمالية عموما - والطفيلية بشكل أخص - بحكم أنه صناعة تسهم اسهاما مباشرا في تكوين « الوعى » وتوجيه الرأى العام .. وهو مايجعل للحرب الاقتصادية على جبهته قوانينها النوعية ، التى آن الأوان لكى تدرسها قوى الاستنارة والتقدم ، التى تكاد تغيب عن كثير من القضايا المحورية ، بحكم شراسة ماتوجهه من هجمات ، واتساع ماتواجهه من قضايا ، وتعقيد مايحيط بها من ظروف ..

لكن ذلك كله ، ليس مبررا للتقاعس او للتردد ، ذلك ان قضية النشر ، هى في جوهرها ، قضية ادوات الحرب على جبهة الوعى .. التى لابد وان تأخذ مكانها اللائق بها في سلم اولويات اليسار العربى عموما ، واليسار المصرى .. خصوصا

لقد ان الاوان لكى نفكر جميعا - وبصوت عال - في البحث عن اجابات لعلامات استفهام كثيرة .. منها ..

◆ هل تستطيع دور النشر التقدمية ان تعمل معا ، وان تنسق جهدها على هذه الجبهه الهامة .. مع احتفاظ كل منها باستقلالها المالى .. والادارى .. والى حد ما بتوجهها الفكرى ؟!

◆ وهل يكون ذلك بأن تخطط لعملها ، وتقسيم ادوارها ، لتتكامل بدل ان تتنافس ، فتتخصص كل منها - مثلا - في نوع معين من الاصدارات [الابداع الادبى - الدراسات الانسانية - المعارف

العامة ــ العلوم] .او مستوى من مستوياتها
[كتب للقارىء العام المتوسط الثقافة ــ دراسات عميقة ــ كتب تجريبية]؟

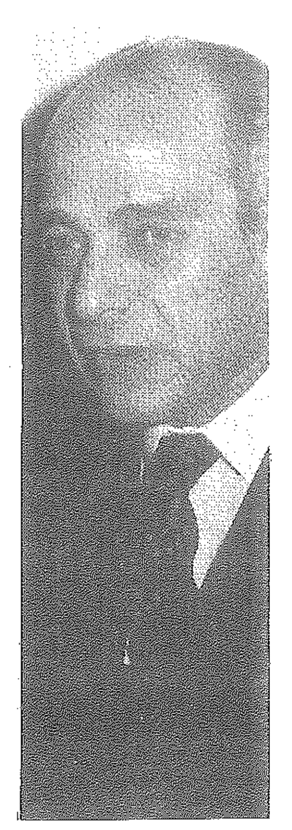
◆ أم يكون أن تسعى هذه الدور اولا ، لمواجهة مشاكلها الانتاجية ، فتتعاون فى التصدى المشترك لمشاكل صناعة الكتاب التقدمى .. وتحل معضلة وصول ثقافة الاستنارة الى صناع المستقبل بسعر معقول ، من دراسة قضية اسعار الورق ، الى نفقات الطباعة ، الى عمولة الموزع ـ وهى عملية طفيلية بالدرجة الاولى ـ التى تلتهم النصيب الاكبر من الثمن الذى يدفعه القارىء ..



تلك ثلاث علامات استفهام .. او هى ثلاثة احجار صغيرة نلقيها على سطح بحيره راكده .. فهل من سميع ؟ ..
وهل منّ مجيب ؟ .
اذا كان ، فنحن فى الانتظار

صلاح عيسى

محمد عبد السلام الزيات



■ ولد في دمياط ، وتخرج في كلية الحقوق ، وعين بعد تخرجه في مجلس الدولة .

■ انتدب من مجلس الدولة ، للعمل في السكرتارية الفنية لمجلس النواب ، وارتبط منذ ذلك الوقت بالعمل النيابي والدستوري .

■ عند عودة الحياة النيابية عام ١٩٥٧ ، بعد إنتهاء فترة الانتقال التي أعقبت ثورة ٢٣ يوليو ، كان أحد المستشارين الفنيين ، الذين استعانت بهم الثورة ، وعن هذا الطريق تعرف إلى « السادات » ـ الذي كان وكيلا لمجلس الأمة ـ ونشأت بينهما علاقة عمل ، سرعان ماتحولت إلى صداقة .

■ كان مديرا لادارة الأبحاث في مجلس الأمة ، ثم أصبح أمينا عاما للمجلس ، وفي عام ١٩٦٩ كان مقررا للمؤتمر القومي العام للاتحاد الاشتراكي العربي إلى أن اختاره السادات وزيرا لشئون مجلس الأمة ، ومستشارا سياسيا له ، وتولى إعادة تشكيل الاتحاد الاشتراكي العربي بعد أحداث ١٥ مايو ، وأنتخب أمينا أول للجنة المركزية ، إلى أن عزله السادات من منصبه ، ليعينه نائبا لرئيس الوزراء عام ١٩٧٢ .

■ اختلف مع السادات ، وعارضه وهو في منصبه ، إلى أن ترك المنصب فانضم الى المعارضة ، وتصاعدت معارضته للسادات حتى انتهت باعتقاله في حملة سبتمبر ١٩٨١ .

■ ألف كتاب « مصر إلى أين ؟ » عام ١٩٨٠ ، وصادره السادات .

■ توفي في يوليو ١٩٨٧ .

كتاب الأهالي رقم ١٨

مذكرات محمد عبد السلام الزيات

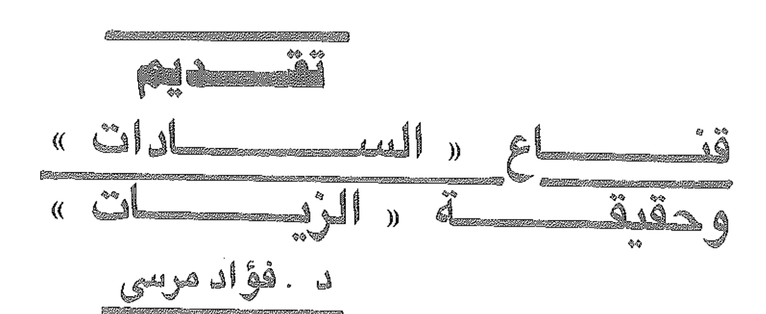
تقديم د. فؤاد مرسي



السادات

القناع والحقيقة





لم ينل السادات حقه من الدراسة بعد . قد تتولى هذه المهمة الصعبة أجيال قادمة . لكن تظل المسئولية الأولى معلقة برقاب معاصريه الذين لايبرىء ذمتهم ما صدر حتى الآن من كتابات حول السادات .

ترى هل يكفى كتابان أثنان ، أحدهما كتبه « محمد حسنين هيكل » بعنوان « خريف الغضب » والآخر وضعه أحمد بهاء الدين بعنوان « محاوراتى مع السادات » ؟ وهذا لحسن الحظ هو الكتاب الثالث الذى فزنا به ، كتبه واحد من أقرب الناس إلى السادات خلال فترة حافلة بدأت برئاسة السادات باسم ثورة يوليو لمجلس الأمة وانتهت برئاسة السادات للدولة وانقلابه الشامل على ثورة يوليو .

كان محمد عبد السلام الزيات طوال تلك الفترة فى بؤرة الأحداث الى جانب السادات . كان المستشار الموثوق برأيه والصديق المؤتمن على أمره . لكن السادات « ضحك عليه » كما ضحك على غيره من قبل . وعندما اكتشف الناس الخديعة متأخرين كان « الزيات » أول المخدوعين . وكانت فجيعته فى السادات بقدر ما أخلص له من الود والنصح من قبل . ولولا ذلك ما كتب « الزيات » هذا الكتاب وجعل عنوانه : « السادات .. القناع والحقيقة » . . بل ولولا ذلك ماكان « الزيات » ليكون اول من عارض « السادات » من بين أقرب المسئولين إليه .

خرج « الزيات » عن صمته الطويل بعد أن كان قد ارتضى لنفسه أن يحتجب وراء « السادات » الذى ارتضى من قبل ان ينطق بلسان الزيات وان يتحرك برأى « الزيات » . لكن ذلك كان عهدا مضى ، كان فيه السادات ينطق ويتحرك بما يرضى عبد الناصر . وأتى عهد جديد ظهر فيه السادات شخصا آخر تماما . وانكشف القناع وظهرت الحقيقة . وانبرى « الزيات »

يعارض « السادات » نهائيا في مجلس الشعب وكاتبا في الصحف وخطيبا في المحافل . ثم انكب على ادانة انقلاب السادات على ثورة يوليو في كتاب بعنوان « مصر إلى أين » اثبت فيه خروج السادات على الدستور والمشروعية الدستورية — فأمر « السادات » بمصادرة الكتاب وملاحقة الكاتب . وإنتهز أول فرصة تالية فأودعه السجن ضمن من شملتهم أحداث سبتمبر ١٩٨١ .

لم يستخدم « السادات » سلطاته المطلقة للتنكيل بالزيات فحسب ، بل أنه لم يرع معه ذمة ولا حرمة . بل ولم يحفظ عهدا . وانما مضى في ثورة غضبيه وشدة شهوته للانتقام يحاول النيل من شرف « الزيات » كمصرى غيور على وطنه . وكانت تلك هي الطعنة النجلاء .

وخرج « الزيات » من السجن ليواصل رسالته في المعارضة . لكنه كان قد عقد العزم على أن يزيح القناع عن وجه السادات نفسه . ولولا ذلك ما كان هذا الكتاب . فجاء شيئا متميزا .

□□□

في « خريف الغضب » لا يكتب « هيكل » سيرة لحياة السادات . لكنه يلقي الضوء على شخصيته وعلى بواعث حركته .. أنه يبحث عن مفتاح شخصية السادات في جذوره الأولى . وعندما يجد هذا المفتاح فانه يعرض للهوة الواسعة بين جذوره تلك وبين القوة والجاه الطارئين عليه . وكان بذلك يعرض للتناقض الذاتي للسادات . ذلك التناقض الكامن داخله . وكأنه يفترض أن مثل هذا التناقض كفيل بأن يسوق السادات الى حتفه المحتوم .

في تحديد شخصية « السادات » والعوامل التى صاغتها والبواعث التى حركتها يذهب « هيكل » الى فترة التكوين عند « السادات » يذهب الى ظروف نشأته الأولى . فلقد ولد لأب موظف صغير فقير كان اسمه « محمد الساداتي » لا « محمد السادات » وتزوج الرجل من ثلاث نساء كانت الثانية وهي أم السادات تدعى « ست البرين » . أبوها كان زنجيا بالأصل والملامح ، وعبدا من العبيد أعتقه اصحابه فيما بعد .. ولقد ورثت الأم عن أبيها كل تقاطيعه الزنجية وورث « السادات » عن امه كل تقاطيعها ومعها — كما يقول « هيكل » — مشاعر غاصت في أعماقه الى بعيد . في مطلع نشأته عاش مع جدته لأبيه في « ميت ابو الكوم » ثم لم يلبث أن احتواه مسكن صغير في القاهرة حشرت فيه أسرة تضاعف أفرادها بالخلف المتضاعف

بعد زواج الأب للمرة الثالثة . واجتمعت الأم وضرتها فى مكان ضيق واحد . وحملت الأم أعباء البيت كاملة . فكان يراها تعود الى العبودية . ومن ثم بدأ السادات يتراجع الى داخل نفسه ، فلم يكن يجد مهربه إلا فى عوالم الخيال التى يخلقها لنفسه . أما فى الواقع فكان خائفا من والده غاضبا على أمه رافضا للون الذى ورثه منها ، كان يشعر بأنه قد ولد منبوذا .. ومن ثم كان مستعدا لأى شىء فى سبيل الحصول على قبول الناس ورضاهم .

هكذا تشكلت شخصيته . فالسادات الهارب من أصله والحالم بنفسه ، الخيالى المشحون بحقد دفين على الظروف ، الممزق بين الحقيقة والوهم ، قد تحول إلى السادات المثل . وتعززت لديه هذه المقومات جميعا من خلال الحياة الحافلة المتناقضة التى عاشها « السادات » بين ضابط الجيش الى سائق اللورى الى الشيال الى مقاول النقل الى الوطنى التائه الى الارهابى رجل الحرس الحديدى وضابط الجيش مرة أخرى ، حيث يضمه جمال عبد الناصر إلى زمرة الضباط الأحرار .

أصبح السادات مقامرا كبيرا . تعلم من نشأته أن يعطى ولاءه لأى شخص أقوى منه وتضعه الظروف أمامه . تعلم أن يتحمل صدمات وأحيانا اهانات لا لزوم لها . يقابل ذلك احساس عميق بالحقد على الناس والحاجة إلى الانتقام . لقد توحدت لديه نزعة العنف المكبوت الجاهزة للانفجار . ولم تعد تصرفاته الظاهرة تعبر بالضرورة عن نواياه الحقيقية بل لعله كان يتعمد العكس . ساعدته غريزة التآمر فيه على حفظ أسراره وساعدت على أن تعطى لقراراته قوة المفاجأة ـ فكانت سياسة الصدمات الكهربائية . كان يعطى الانطباع بأن تصرفاته وليدة انفعالاته . ولم يكن ذلك صحيحا . ربما كان صحيحا فى المسائل الصغيرة . أما فى المسائل الكبرى فكانت قراراته دائما ما تجىء نتيجة حسابات طويلة ـ وان كانت هذه الحسابات تدور وتجرى وتصل الى نتائجها داخل شخصيته الخاصة والعوامل التى كونتها . ويكتمل هذه الشخصية الحافلة بالعقد النفسية بشهوة ملحة الى المتعة وكأنها انتقام السادات من الجميع وبخاصة من نشأته المعدمة المدقعة .

□□□

ذلك هو السادات كما يشرحه « هيكل طبقا لمنهج فى التحليل النفسى هو منهج التحليل النفسى الاجتماعى ، فالسادات واحدا من قادة ثورة يوليو هو

نفسه زعيم الثورة المضادة التي ساقته الى أحضان امريكا وكامب ديفيد واسرائيل – لايفهم الا بالرجوع الى نشأته الأولى ، الى الجذور اى الى مجموعة الخصائص النفسية التي ولدتها الظروف الاجتماعية التي أحاطت بنشأته . قد لايكفي هذا المنهج لتفسير ظاهرة السادات . لكنه يكفي على الاقل لالقاء الضوء على بواعث الحركة لديه .

***

واختار « بهاء الدين » محورا أخر لفهم السادات في كتابه « محاوراتي مع السادات » . والواقع انه من غير ان يذهب الى الجذور للكشف عن شخصية السادات ، انه يتفق تماما مع هيكل في تحديد المعالم الاساسية لهذه الشخصية . فالسادات عند « بهاء الدين » هو اقدر من رأى في حياته على عدم اظهار حقيقة مشاعره فهو قادر تماما على كتمان غضبه وثورته في العادة ، لأن له وجها اخر في باطنة – فالسادات له ظاهر وله باطن . ومن هنا طابع الغدر فيه مع كل من حوله ونزعته السافرة الى التشفي فيهم . ان كراهيته لهيكل لا تجعله يعزله من رئاسة تحرير صحيفة الأهرام فحسب ، بل تجعله ايضا يضع « على أمين » مكانه وهو عدو « هيكل » اللدود . وحين يعزل « الزيات » من الامانة العامة للاتحاد الاشتراكي فانه يحل « سيد مرعي » محله – وهما خصمان لدودان .

وبينما كان مجتمعا مع رئيس وزرائه « عبد العزيز حجازى » للاتفاق على تعديل وزارى محدود ، كان قد كلف « ممدوح سالم » برئاسة وزارة جديدة . وتكررت اللعبة نفسها مع ممدوح سالم عند تكوين حزبه الجديد بعد حزب مصر . لكن الجديد عند « بهاء الدين » هو محاولته لتحديد معالم فكر السادات – وهي محاولة تيسرت له بفضل محاوراته المتقطعة مع والتي كانت تجرى كلما احتاج « السادات » لبهاء الدين لاعداد واحدة من خطبة في المناسبات الكبرى .

من خلال هذه المحاورات يكشف « بهاء الدين » عن اسلوب « السادات » في العمل . لقد ابرز « هيكل » الجانب التليفزيوني في « السادات » أما « بهاء الدين » فيكشف عن الجانب التليفوني فيه .
فقد كان السادات يدير الدولة بالتليفونات وكل محادثاته الدولية شفوية لا محاضر لها احتفظ باسرارها لنفسه . وهو لايحتمل قراءة التقارير هذه العادة التي اودت بعبد الناصر . والسادات لا يخوض كل المعارك بنفسه ، وانما يخوضها غالبا بوسائل اخرى هي في العادة وسائل ملتوية . ومازلنا

نذكر حكاية اتهام « عبد الناصر » في ذمته المالية سواء من جانب « جلال الحمامصي » أو « عثمان احمد عثمان » وكيف تصرف « السادات » على نحو ابقى الشبهة معلقة تحوم في الفضاء ... وكان السادات ينظر الى « عثمان » وكأنه قد عثر على توأمه وشقيق روحه .. ولقد لخص مرة طريقته في الحكم لبهاء الدين وهي انه يعلن قراره اولا وبعد ذلك ينظر فيما اذا كان هذا القرار بحاجة الى التعديل فيعدله .

ويذكر « بهاء الدين » ان السادات صارحه بأنه و« عبد الناصر » آخر الفراعنة . وهي اهانة لعبد الناصر وللفراعنة جميعا .

والى جانب تحديد اسلوب السادات في العمل ، يكشف « بهاء الدين » عن « السادات » في مرحلة الثورة المضادة . ويوجز لنا فكرته عن « السادات » في قوله الجامع : ان فكرتي الأولى عن « السادات » صحيحة وهي أنه في تكوينه الحقيقي وخلفيته منذ مطلع الشباب فاشستي كامل لكن هذه الفكرة الأولى تكتمل الأن بالرؤية التي تلخص فكرية الثورة المضادة فاولا وقبل كل شيء فانه لاتوجد في العالم قوتان عظميان هما روسيا وامريكا وانما الحقيقة غير ذلك تماما . فان هناك دولة عظمى واحدة هي امريكا . من هنا كان مثله الأعلى بين كل زعماء العالم الثالث هو شاه ايران . لماذا ؟ لانه – يقول السادات – «قعد على حجر امريكا ومسك في هدومها» . ولذلك لم يفهم العرب زيارته لاسرائيل . « لم يفهموا انني لم أكن افك الاشتباك مع اسرائيل ولكنني كنت افك الاشتباك مع امريكا » . وكانت كامب ديفيد ضربة سياسية لايدركها أمثال حافظ الاسد الذى «اخذ يساوم وكأنه بقال يبيع او يشترى قطعة جبن» وفي سبيل استراتيجيته الكبرى ،تلك راح السادات يحفر الهوة التي يستحيل معها اقامة اى جسر مع العرب . كان ذلك امرًا مقصودا لذاته وجزءا غير مكتوب من الثمن .

في الوقت نفسه كان الانفتاح جزءا لايتجزأ من استراتيجية « السادات » . فهو انفتاح على امريكا . وكانت امنية « السادات » أن تصبح مصر كلها منطقة حرة . وحين بدأ « السادات » يفكر في التعدد السياسي كان أهم دافع لديه هو تسهيل الاندماج في عالم الغرب . كان يرى ان الجيش قد دخل السياسة وانه لن يخرج منها قبل ثلاثين سنة . ولذلك كان يعمل على توازن الحياة المدنية مع القوات المسلحة . لكن ديمقراطية « السادات » كانت ذات انياب . ولم يكن يزعجه ويثير اعصابه مثل ذكر هبة يناير ١٩٧٧ .

هكذا كان يفكر « السادات » وتلك كانت اهم افكاره . وبهذا القدر من التحليل تتحدد أمامنا الفكرية السياسية السادات في مرحلة الثورة المضادة . لكن « بهاء الدين » لايكشف لنا عن حقيقة تلك الفكرية — هل هي أصيلة في السادات ، في ظل الثورة ثم الثورة المضادة ، أم هي طارئة عليه في ظروف الثورة المضادة — وإن يكن يكتفي بالحكم العام الذى أصدره على « السادات » وهو انه كان منذ البداية وحتى النهاية فاشستيا كاملا . لكن ذلك لايكفي لتفسير ظاهرة السادات .

***

ثم يأتي كتاب « الزيات » الذى بين ايدينا بعنوان « السادات القناع والحقيقة ليقدم رؤية ثالثة للسادات » .

واذا كان « هيكل » يرى « السادات » انطلاقا من العوامل التي شكلت نفسيته في نشأته الأولى واذا كان « بهاء الدين » يرى « السادات » سياسيا حمل افكارا فاشية ساقته في النهاية الى صفوف الثورة المضادة ، فان الزيات معنى بالتحديد بتفسير تحول السادات عن طريقه « عبد الناصر » الى طريق الشيطان . ولهذا يصف « الزيات » احداث هذا التحول في خطواته الأولى التي عاصرها وعاشها عن كثب متعاونا مع « السادات » وزيرا لشئون مجلس الشعب وامينا اول للاتحاد الاشتراكي ونائبا لرئيس الوزراء . وهي مدة قصيرة بدأت في عام ١٩٧١ وانتهت تقريبا في عام ١٩٧٢ . لكنها فترة غير مقطوعة عما قبلها عندما عمل « الزيات » امينا عاما لمجلس الامة الذى تولى « السادات » رئاسته منذ عام ١٩٥٨ .

وبالفعل فان « الزيات » يفسر الأحداث العاصفة في مطلع السبعينات بما استطاع ان يتبينه عن معالم شخصية « السادات » خلال رئاسته لمجلس الامة في ظل « عبد الناصر » وهي معالم كامنة في « السادات » لايلمسها إلا أقرب المقربين إليه في المواقف الصعبة . وكان « الزيات » وقتها يحملها محملا شخصيا بحتا . ثم فوجيء بها وقد صارت سمات لاسلوب حكم « السادات » رئيسا للدولة . بل ورأى منه في بعض الاحيان عكس ما كان يبديه في الماضي .

وهنا كانت الخديعة وكانت الفجيعة وكانت القطيعة .

ولا يملك « الزيات » وهو يكتب مراجعا تلك الأحداث ، إلا أن ينقد نفسه نقدا مرا . وهو أمر نادر في الكتابة ، ندرك معه أننا أمام كاتب صادق مع نفسه قبل أن يصدق مع الناس ، وأنه كتب بقلمه نقدا ذاتيا لتجربته في

التعاون مع السادات وهو ينقلب على ثورة يوليو ويصبح شخصا اخر يكاد لايعرفه . فقد كانت معرفته له مزيفة وموهومة .

ما هي تلك المعالم في شخصية « السادات » التي تفسر في النهاية انقلابه وانقسامه الى شخصيتين ؟

لاشك أننا نجد عند « الزيات » ما وجدناه من قبل عند « هيكل » و « بهاء الدين » ـ ان لم يكن كله فبعضه على الاقل . لكننا هنا أمام تجربة انسانية بالغة المأساوية ـ تجربة الخديعة شاخصة ماثلة بدمها وشحمها ولحمها . كيف يخدع انسان غيره من الناس سنوات وسنوات فلا يخطىء وفجأة يسقط القناع وتظهر الحقيقة . قناع متقن يخفي حقيقة رهيبة .

كان الوجه الذي يبديه « السادات » لي في اخص الجلسات وجها ناصريا اكثر من وجه « عبد الناصر » ذاته ـ هكذا يقول الزيات . وقتها كان « السادات » ناصريا مغاليا في ناصريته . وكان اظهر ملامح نشاطه رئيسا لمجلس الامة هي تلك الخطبة التي يلقيها كل عام امام « جمال عبد الناصر » يرحب به في المجلس ويبايعه بالزعامة . وهي خطبة كان يكتبها له الزيات .

كان يخفي نفسه ببراعة . ولذلك كان الهروب من اتخاذ المواقف والتهرب من المواجهة واختيار طريق النجاة لنفسه واقتناص الفرصة للوصول ، كانت تلك اهم سماته .

فلما شاءت الاقدار ان يصبح هو الرجل الاول استعاد نفسه وظهر على حقيقته . لشد ما طالت فترة بحثه عن نفسه ، فلما وجدها كان فيها حتفه .

تعامل الزيات مع شخصيتين اذن ـ لا بل شخصية واحدة اتقنت التمويه . وبذلك يعترف الزيات ببساطة غير مالوفة . وهو يقارن امامنا بين منظوره القاصر في الفترة التي تعامل فيها مع السادات ومنظوره وقد اكتسب تكاملا ابعد بعد ان راقب الاحداث في اطارها الواضح . ويقر بأن الانسان يحتاج الى نوع من التأمل ليصدر حكمه على الأمور . فقد لايفهم ملابسات الحدث واهدافه وقت وقوعه . ولكنه مع تتابع الاحداث وربطها البعض بالبعض يمكن ان ينتهي المرء الى تحليل يقبله العقل والمنطق .

وكتب « الزيات » ما أملاه عليه ضميره فضحا للسادات ونقدا ذاتيا للزيات نفسه . ولقد التزم بألايخوض في هذا الكتاب في المسائل الشخصية أو الخاصة لأن الخصومة لايمكن أن تنزل بالانسان الى حد اقتحام حياة انسان اخر في ادق خصوصياته كما فعل معه السادات .

ولقد حدثه « عبد الناصر » و « عبد الحكيم عامر » عن شخص

السادات . لكن « الزيات » لايسمح لنفسه بان يكتب مـا قـالاه ـ لانـه لايستطيع ان يستشهد بهما وهما فى رحاب الله .

وهو يكتب بعد صمت طويل ـ لأن السكوت عما يجرى جريمة . يقـول « الزيات » : لقد اختلفت وعارضت ويشرفنى اننى فعلت ولو لم اكن فعلـت هذا فى حياة « السادات » لشعرت اليوم بجرمى الكبير . فـالوقوف ضـد الطغاه واجب . وكلمة الحق واجب ان يقولها الانسان وليكن بعـد ذلك مـا يكون . يقول « الزيات » : وشرعت كلمة الحق وهى السلاح الذى أملك .

وهكذا شرع الزيات يكتب قصة تحول « السادات » وهى ايضـا قصـة تحول « الزيات » بعبارة اخرى فان الكتاب الذى بين ايدينا الآن هو قصـة تحول « الزيات » من معاون للسادات الى معارض له .

كان « الزيات » و « السادات » من أبناء جيل واحد . أحدهما ولـد فى شهر ديسمبر من عام ١٩١٧ والاخر بعده بعام كامل . ولد « الـزيات » فى دمياط لأسرة ميسورة من الفئات الوسطى . وولد « السادات » فى المنوفية لأسرة معدمة من الفئات الدنيا . ومرت بهما احداث عامة واحدة ـ نهـاية الحرب العالمية الاولى وثورة ١٩١٩ والأزمة الاقتصادية العالمية وانهيـار اسعار القطن وتدهور احوال الموظفين وتعثر القضية الوطنية على ايـدى القيادة الوفدية وصراعات الانجليز والسراى واحزاب الاقلية وهبة الطلبة فى عام ١٩٣٥ وصعود الفاشية فى ايطاليا والمانيا والحرب العـالمية الثـانية وبعدها انفجار القضية الوطنية على ايدى قيادات جـديدة مـن الـطلبة والعمال . لقد توالت احداث مصر العاصفة طوال الاربعينات .

حادثة ٤ فبراير ١٩٤٢ ونمو الصناعة والراسمالية والـطبقة العـاملة وتأسيس جامعة الدول العربية واقالة حكومة الوفد المهينة والهبة الوطنية فى عام ١٩٤٦ ثم اعلان الاحكام العرفية بمناسبة قيام اسرائيـل ودخـول القوات المصرية الى فلسطين وهزيمتها وضياع فلسطين ثم عودة الـوفد الى الحكم وإندلاع الحركة الوطنية من جديد والغاء المعاهدة مع الانجليز وبدء الكفاح المسلح ضدهم على طول قناة السويس . ثم احراق القاهرة واعلان الأحكام العرفية مرة اخرى حتى قامت ثورة يوليو .

مرت بهما نفس الأحداث .

لكن احدهما وهو « السادات » القادم من تحت فقد تشكلت لديه مشاعر وطنية تائهة سرعان ما تحولت به الى ارهابى يعمل لحساب الالمان فالسراى ويؤمن بالدكتاتورية والفاشية .

أما « الزيات » القادم من فوق فقد تشكلت مشاعره الوطنية والديمقراطية مبكرة واضحة . فشارك فى الجامعة فى هبة ١٩٣٥ واحداث ١٩٣٦ . وتعرض للقبض عليه مرارا . انتمى وجدانيا الى حزب الوفد ثم الى الطليعة الوفدية . وتطلع الى تقدم مصر اجتماعيا . فلما تخرج من كلية الحقوق عين فى مجلس الدولة الذى اتخذ فى بداية تكوينه وتحت رئاسة « عبد الرزاق السنهورى » مسلك الدفاع عن الحقوق والحريات ازاء سلطة الدولة اذا ما تعسفت . وسرعان ما رشحته كفاءته للعمل فى البرلمان باحثا دستوريا حتى صار صاحب الراى فى كل ما يتعلق بالدساتير . واستعانت به ثورة يوليو . وصار الامين العام لمجلس الأمة فى عام ١٩٦٣ . واشترك فى وضع دساتير الثورة . ومنذ تولى « السادات » رئاسة مجلس الأمة فى عام ١٩٥٨ اتخذ « الزيات » مستشارا له دستوريا وسياسيا . وتقاربا الى حد الصداقة . واخلص له « الزيات » ووضع نفسه فى خدمته والحرص عليه وحمايته حتى من نفسه ، فقد اخلص للثورة باقتناع وقناعة .

بادر فتولى ـ من موقعه كأمين لمجلس الأمة ـ بدء حملة ترشيح « عبد الناصر » لرئاسة الجمهورية فى عام ١٩٦٦ . وتحرك بعد هزيمة ١٩٦٧ ـ الثقيلة على نفسه ـ مبادرا بدعوة مجلس الأمة للانعقاد واصدار قرار رفض استقالة « عبد الناصر » وتفويضه باعادة بناء الدولة . بادر بالوقوف الى جانب « عبد الناصر » فى المحنة الصاعقة ، فقد اختار الوقوف من أجل مجتمع أكثر حرية وعدالة .

وقدر « عبد الناصر » فيه قدرته على التعبئة والتنظيم فأوكل اليه أمانة المؤتمرات القومية للاتحاد الاشتراكى . وأشرف على انتخابات الاتحاد بعد بيان ٣٠ مارس .

وبعد ما تولى « السادات » رئاسة الدولة ظل « الزيات » فى موقعه أمينا عاما لمجلس الأمة حتى استدعاه قبل أحداث مايو بقليل وعهد اليه بأعمال وزير الدولة بشئون مجلس الأمة . كان « السادات » يعد عدته لانقلاب مايو ، وأراد أن يضمن المجلس الى جانبه فى الصراع المحتدم . وبعد الانقلاب تولى الزيات . مع « عزيز صدقى » الاشراف على اعادة تشكيل الاتحاد الاشتراكى بعد استبعاد أنصار ما سمى بمراكز القوى . وتولى الرجلان فى هذه الأثناء اعداد وثيقة برنامج العمل الوطنى امتدادا وتطويرا لوثيقة ميثاق العمل الوطنى ـ وقد شاركت فى وضعها مع « محمد الخفيف

واسماعيل صبرى عبد الله » .

وانتخب « الزيات » من مؤتمر الاتحاد الاشتراكي في يوليو ١٩٧١ ــ أمينا أول للاتحاد ، وانتخبت امينا لبرنامج العمل الوطني .

وكنت قد عملت مع الزيات منذ أن عينني « عبد الناصر » عضوا في مجلس الأمة الجديد في مطلع عام ١٩٦٩ . وتعرفت بعزيز صدقي بعد احداث مايو وعملت معه من موقعي في أمانة الاتحاد الاشتراكي .

وأدار « الزيات » كأمين أول للاتحاد الاشتراكي معركتي أنتخابات كل من الاتحاد العام للعمال ومجلس الشعب الجديد . وأسفرت معركة انتخابات نقابات العمال التي جرت في ظل حرية كبيرة عن تشكيل نقابي أقرب ما يكون الى تمثيل الحركة النقابية . بينما أسفرت انتخابات مجلس الشعب عن مجلس للثأر من ثورة يوليو . والسبب في ذلك هو استبعاد أنصار الثورة سلفا بالعزل أو الاعتراض ، ان لم يكن بالسجن . لكن ذلك لم يحصل تماما دون وجود عناصر موالية للثورة هنا وهناك . وكان ذلك يجرى برضا صامت من جانب « الزيات » .

مات « عبد الناصر » وهو يعد معركة كبرى مع اسرائيل لازالة آثار عدوانها . وقبل « عبد الناصر » ما سمي بمبادرة روجرز بأمل استكمال عدته للقتال . فلما تولى « السادات » أوحى الى الأمريكان أنهم سيجدون فيه شخصا أخر غير « عبد الناصر » وبدأ بمواصلة تجميد الموقف العسكري استجابة لمبادرة روجرز منذ اغسطس ١٩٧٠ . وقدم لذلك ما سمي بمبادرة ٤ فبراير ١٩٧١ التي انفرد « السادات » بوضعها بعيدا عن قيادة الاتحاد الاشتراكي ومجلس الوزراء . ودعا فيها الى انسحاب اسرائيلي جزئي وفتح قناة السويس للملاحة العالمية . وعلى الرغم من اهمال اسرائيل وامريكا المبادرة « السادات » فانه استمر في موقف التجميد بحجة تقاعس الاتحاد السوفيتي عن استكمال تسليح الجيش واتفاق موسكو وواشنطن على الاسترخاء العسكري في المنطقة . وفي ابريل ١٩٧١ أعلن السادات عن قيام اتحاد الجمهوريات العربية المتحدة بين مصر وسوريا وليبيا ضاربا عرض الحائط باجماع قيادة الاتحاد الاشتراكي على معارضته . لكنه مع التخلص مما أسماه مراكز القوى ، واعادة تشكيل الاتحاد الاشتراكي ومجلس الشعب الجديد ، تطلع السادات الى اقامة نظام عربي جديد انتهى الى تسليم قيادة المنطقة العربية للسعودية . وعلى الرغم من توقيعه في يونيو ١٩٧١ معاهدة للصداقة والتعاون مع الاتحاد

السوفيتي ، فانه سعى حثيثا لتوتير العلاقات المصرية السوفيتية والبحث المستمر عن أسباب للصدام . ولم تمر سنة واحدة على المعاهدة حتى قام السادات بطرد الخبراء السوفيت دفعة واحدة - تقربا وزلفى الى الامريكان . لكن الامريكان واصلوا اهمالهم له .

ولقد فعل السادات ذلك كله وهو يعلن على الملأ أن أهداف امريكا في المنطقة العربية ثلاثة هي اخراج الاتحاد السوفيتي من المنطقة وعزل مصر عن أمتها العربية وضرب التجربة الاشتراكية في مصر .

يقول « الزيات » معلقا على تصرفات « السادات » الخارجية :كانت مبادرة ٤ فبراير لفتح قناة السويس دليل اثبات يقدمه « السادات » ليعبر لأمريكا عن استعداده للسير مع السياسة الامريكية لحل امريكي للنزاع في المنطقة . وكانت مبادرة ١٧ ابريل دليل اثبات أخر يقدمه « السادات » ليبرهن لامريكا أنه لن يكون وحده في السير مع السياسة الامريكية بل ستكون معه دولتان أخريان هما سوريا وليبيا . وكلا الحدثين ارهاص في اتجاه « السادات » للارتباط بعجلة الاستراتيجية الامريكية .

أما في الداخل فقد رأى « الزيات » في الصراع المحتدم بين « السادات » و « على صبري » صراعا بين طرفين ينتمان الى خط « عبد الناصر » بل ان « السادات » في ولائه غير المحدود وتوافقه غير المشروط على خط « عبد الناصر » ومع الثورة ومبادئها والقيم التي أرستها « ليذهب الى أبعد مدى كما توهمت اذ ذاك وهو ان استمر في الحكم سيضيف عمقا ديمقراطيا الى الثورة كما توهمت ايضا اذ ذاك » . ولقد كان ذلك محتملا لو لم يكن « السادات » قد بيت النية على الانقلاب على الثورة واستخدم في سبيل ذلك كل ما يجوز وما لا يجوز .

والواقع أننا جميعا بدأنا نستشعر الخطر من جانب « السادات » وظن « الزيات » أن كلمة أخرى أو وثيقة أخرى تصدر عن « السادات » كفيلة بقطع الطريق على محاولات الردة التي بدأت تتجمع قواها الكامنة وتلتف حول زعيمها المنشود .

ومن هنا كتب له بيان ١٠ يونيو وهو بيان تاريخي مشهود القاه السادات من التليفزيون ليبدد أوهام الثورة المضادة التي كان يعد لها ويتزعمها ! !

كان البيان وعدا وعهدا الجماهير ثورة يوليو بالعمل على تجاوز اخطاء المرحلة السابقة وخلق ديمقراطية حقيقية تجعل الشعب ومؤسساته الدستورية صانع القرار ومنفذ القرار معا - ومعادلة الجانب الاجتماعي للديمقراطية

بالجانب السياسى ـ ودفع عجلة الاقتصاد بالاعتماد على القدرات الذاتية .
وعلى الصعيد العربى الاقرار أولا واخيرا بقومية المعركة وعروبتها وبأن ما أخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة وتعبئة الشعب لخوض معركة المصير ضد العدو الاسرائيلى المرتبط ارتباطا جذريا بالامبريالية الامريكية ـ وترسيخ موقف مصر فى حركة عدم الانحياز كفائدة من قيادات هذه الحركة ـ مع توطيد علاقات الصداقة مع الاتحاد السوفيتي الذى يمدنا بالأسلحة التى تزيد من قدراتنا على النصر ومع شعوب العالم الثالث وقوى التحرر العالمى .

كان « السادات » مازال ضعيفا يتحسس طريقه الى هدفه فوافق على بيان ١٠ يونيو . وقال بلسانه عكس ما يبطن فى جوفه . واعتاد « السادات » فيما بعد فى خطاب اعده له «الزيات » واشار فيه الى ذلك البيان أن يشطب هذه الاشارة بالقلم الأحمر . وكذلك فعل مع « برنامج العمل الوطنى » الذى رفض أن يلقيه فى المؤتمر القومي للاتحاد الاشتراكى مشيرا الى الاعضاء بقراءته فيما بعد .

لم يكن « السادات » بالقطع راضيا عن وجودنا فى قيادة الاتحاد الاشتراكى . فلقد واصلنا العمل امتدادا وتطويرا لتقاليد ومبادىء ثورة يوليو . ورفضنا الانزلاق الى معركة الصراع اللامبدئى بين السادات و« على صبرى » ـ كنا نراه صراعا بين طرفين ينتميان الى ثورة يوليو . واذا كنا أقرب الى طرف « على صبرى » اليسارى فلقد حاولنا تأكيد مكسب الديمقراطية السياسية على أيدى السادات وحاولناه بصفة خاصة فى الحركة العمالية وفى صفوف منظمة الشباب .

ولقد استخلص « الزيات » الدرس من هذه المحاولات . فكتب أن تحقيق الديمقراطية وتثبيت دعائمها لا يعتمد على النوايا الحسنة والوعود الطيبة من جانب الحكام أو على الشعارات الجذابة التى يرفعونها ولكنه عملية نضالية مستمرة شأنها شأن النضال من اجل الحياة . وكان لابد من حركة جماهيرية واعية .

وحاولنا أن نصنع هذه الحركة من داخل الاتحاد الاشتراكى نفسه . لكنها كانت عملية بالغة الصعوبة . فرحنا نؤكد على ضرورة التعجيل بالمعركة ضد اسرائيل باعتبارها معركة قادرة على بلورة الموقف بأكمله وتعبئة اوسع للجماهير الوطنية . ونجحت بمعونة «الزيات» فى استصدار قرار باجماع الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى بدعوة الرئيس « السادات » لتشكيل حكومة قوية تعد البلاد للمعركة ورشحنا « عزيز

صدقى » لرئاسة هذه الحكومة . وحمل « الزيات » القرار الى « السادات » لكنه لم يأخذ به الا بعد شهور وعندما ازداد تدهور الاوضاع الداخلية فى يناير ١٩٧٢ .

وفى تلك الاثناء حلت لحظة الصدام . انتهت المحكمة العسكرية العليا التى شكلها السادات لمحاكمة « على صبرى » ورفاقه وأصدرت احكامها بالاعدام والاشغال الشاقه . ودعا « السادات » « الزيات » فكانت مواجهة عاصفة لم يتوقعها « السادات » يقول فيها « الزيات » : انتصبت واقفا بلا وعى وأنا أقول يستحيل على وأنا مستشارك أن اتحمل عبء هذا القرار ويضيف : فى تلك الجلسة رأيت وجها جديدا للسادات اصابنى بالرعب والاحباط . كان اصراره على أحكام الاعدام يزيد وكانت عبارات الكراهية تتكرر على لسانه وهو يردد أنه انتظر هذه اللحظة منذ وقت طويل . وعدل « السادات » فى النهاية عن أحكام الاعدام . ويبدو أنه كان لقادة الجيش دخل فى ذلك . غير أن « الزيات » يقول لنا : بدأت من هذا اليوم أخذ حذرى من السادات .

وحلت لحظة النهاية بين الرجلين . كان « الزيات » لا يتدخل فى أعمال الاتحاد العام للعمال على غير رغبة « السادات » .

ولم يكن مستعدا لتحويل الاتحاد الى ادارة ملحقة برئاسة الجمهورية .

كما لم يكن مستعدا لتحويل منظمة الشباب الى منظمة فاشية تأتمر بامر رئيس الجمهورية . كان ذلك فى ديسمبر ١٩٧١ . وكان الموضوع هو منظمة الشباب . وثارت ثائرة « السادات » وقال للزيات :

«لقد ضقت بسياستك وحوارك . لقد حسمت الموضوع . أنا فى حاجة الى شباب رجالة يضربون ويهاجمون ويقتحمون وقد كلفت « محمد عثمان اسماعيل » ومعه عدد من نواب الصعيد بأن يعدوا لنا فرقا من طلبة الجامعات يسلحونها ويدربونها وهناك « الاخوان المسلمين » يمكن كمان يتصدوا للطلبة اللى لهم لون . مش ممكن حوادث الجامعات هتنتهى الا بالطريقة دى . العنف وحده هو الذى يوقف هذه المهازل والبذاءات . أنا مش فاضى لحوار وسياسة روح حاورانت . »

وهكذا تقرر مصير « الزيات » . وعندما تشكلت وزارة « عزيز صدقى » فى يناير ١٩٧٢ أقالنا « السادات » ـ الزيات وأنا من مواقعنا فى الاتحاد الاشتراكى بدعوى عدم الجمع بين عملين بينما استمر غيرنا يجمعون ويجمعون . وفكرنا فى رفض المنصب الوزارى . ثم قبلناه تحت الحاح

الاصدقاء الذين رأوا الاستمرار فى صد محاولات الردة .

★★★

وعين « الزيات » نائبا لرئيس الوزراء بلا مهام على الاطلاق . وتوليت وزارة التموين والتجارة الداخلية . ورأينا أن أفضل ما نستطيع أن نفعله هو أن نجعل من الحكومة الجديدة حكومة الأئتلاف الوطنى الواسع لاعداد البلاد للمعركة القادمة مع العدو الاسرائيلى . ومع ذلك وفى النهاية قدم « عزيز صدقى » استقالة حكومته فى مارس ١٩٧٣ وقد ادت مهمتها الوطنية بأمانة — وبعد أن كان « السادات » قد تدخل بنفسه اكثر من مرة لتأليب الاتحاد الاشتراكى ومجلس الشعب ضدها . وانتقل « الزيات » الى المعارضة السافرة للسادات من موقعه الجديد نائبا عن الشعب . كان قد انتخب فى عام ١٩٧١ عضوا فى مجلس الشعب الجديد عن دمياط . ومن هذا المنبر بدأ « الزيات » يمارس دوره فى المعارضة . قال « الزيات » :

« ساعمل بكل ما منحنى الله من صلابة وعزم وايمان من اجل مجتمع العدل والسلام والطمأنينة على اليوم والغد — هذا المجتمع الذى لن يتحقق الا اذا كان للرأى الاخر من يتصدى للدفاع عنه وهذه هى الحرية »

وعندما اندلعت حرب اكتوبر كتب فى الأخبار : اذا كنا نخوض الحرب بكل ما فيها من الآم ومحن من أجل استرداد ارضنا المغتصبة وحقوقنا المشروعة فان كل حرب عادلة تستهدف ايضا وفى المقام الأول توفير حياة افضل وظروف اكثر عدالة .

كان من القلة النادرة التى عارضت قانون الانفتاح الاقتصادى فى مجلس الشعب — مع « محمود القاضى » و« ابو سيف يوسف » و« احمد طه » . فى جلسة ١٧ فبراير ١٩٧٥ راح يعلن ان هناك جماعات او عصابات وبعضها من قيادات العمل السياسى تكونت لاغتصاب المال العام .

وفى جلسة ١٦ ديسمبر ١٩٧٥ كان يقول لهم ان الذى يرفع الاسعار فى الاسواق ليس الاجور بل الدخول الكبيرة .. لا يمكن ان نترك الراسمالية المحلية مشغولة بتكديس الثروات والاثراء الفاحش من عمليات المضاربة فى اسعار العقارات واراضى وتقسيمات اراضى البناء ، ومن العمليات التجارية من استيراد وتصدير وتخزين وتهريب واتجار فى السوق السوداء فى العلف والكسب ومواد التموين ومن التلاعب فى اقوات الشعب ومستلزمات الانتاج . ان هذه الاعمال تلحق بالقطاع العام ابلغ الضرر وتضر براس

المال الشريف الذي يسعى الى الربح الحلال وتضغط على نشاط الحرفيين وصغار التجار وتزيد من اسباب التضخم وارتفاع الاسعار التى تسطحن الجماهير العريضة من الشعب . راح ويحذر لاول مرة من القطط السمان.

وفى جلسة ٢٣ فبراير ١٩٧٦ كان يقف الى جانب الفلاحين ببساطة شديده . يقول : ان هناك ٤ ملايين فلاح يستأجرون ثلاثة ملايين فدان اى مايعادل ٦٠ ٪ من الاراضى الصالحة للزراعة وهم يمثلون قطاعا كبيرا هو الاساس والقاعدة الراسخة لمجتمع المنتجين - ذلك المجتمع الذى يمثل العمل فيه القيمة الحقيقية لان الارض وراس المال يظلان كما جامدا لا يضيف جديدا الى الدخل القومي ولا الى حركة التنمية بغير عنصر العمل وهو العنصر الفعال والمبدع .

وفى جلسة مارس ١٩٧٦ يعلن وقوفه الى جانب الحركة النقابية العمالية ضد كل محاولات الوصاية عليها ويعتبرها بمثابة مدارس غرست معانى الوطنية واكدت قدرة جماهير العمال على النضال من اجل التغيير الى الافضل .

وفى جلسة ١٨ ابريل ١٩٧٦ يعلن الزيات مساندته للشباب فى سعيه للحصول على مسكن ويقول ان المسكن لا يقل ضرورة والحاحا عن لقمة العيش ، مؤكدا انه لايمكن ان نجد حلا منظورا لهذه المشكلة الا بتدخل الدولة وبمزيد من هذا التدخل .

ومرة اخرى حانت لحظة اقصاء « الزيات » من مجلس الشعب وقاد السادات بنفسه معركة اسقاطه فى انتخابات ١٩٧٦.

وبعد الكلمة المدوية من ساحة مجلس الشعب ، انطلق الزيات الى ساحات العمل السياسي المختلفة - ظل يمارس دوره كرئيس لجمعية الصداقة المصرية السوفيتية ، ونشط فى ساحة العمل فى حركة السلام وكان من قيادات حركة تضامن شعوب اسيا وافريقيا وراس لجنة الدفاع عن الحريات وناصر حزب التجمع لكنه اخذ يهتم بالكلمة المكتوبة.

وشغلته قضية الديمقراطية فكانت سمه الدائم . كان موضع فخره واعتزازه انه كان دائما مع الفلاحين ومع الكادحين ومحدودى الدخل والحرفيين ومع كل مثقف حر ارتفع صوته او جرى قلمه بمشاكل الناس ومتاعبهم وتطلعاتهم ولكن قضية الديمقراطية ظلت قضيته الاولى .

كان يعتبر نفسه الاب الروحي للدستور الدائم الذى اعلنه السادات فى يوليو ١٩٧١ وكان يرى الدستور ملكا للجميع ومسئولية الجميع . لكن

« السادات » كان يبتذل الدستور ويخرج على احكامه حكما فحكما وضاع الفرق بين الدستور وبين اى برنامج عمل . فالبرنامج يتحدث عما ينبغى تحقيقه فى المستقبل اما الدستور فيتحدث عما يوجد بالفعل اى عما امكن تحقيقه فى الوقت الحاضر وتنبغى حمايته وتأمين عدم الخروج او العدوان عليه . واستقر فى ضمير « الزيات » ان « السادات » قد خرج على المشروعية الدستورية التى يحميها الدستور الدائم فضلا عن خروجه من قبل على مشروعية ثورة يوليو .

وانكب « الزيات » طويلا وبدأب شديد وامانة موضوعية على اعداد كتابه الخطير : « مصر الى اين ؟ » واعده للنشر فى اغسطس ١٩٨٠ فصادره « السادات » . وهو معذور فى ثورته على « الزيات » بعدها . فالكتاب وثيقة اتهام كاملة وهى صالحة لمحاكمة « السادات » امام محكمة التاريخ امس واليوم وغدا .

فجوهر الديمقراطية فى نظامنا السياسى تهدده النزعات الانفرادية والتصرفات الغاضبة والتدخلات المفرضة السلطة وأجهزتها .

وكلمة الاشتراكية قد عصفت بها القوة التى أصبحت تمسك بكل الثروات الاقتصادية .

وقلاع الصناعة المصرية التى شيدها القطاع العام بكفاءة رجاله تترنح وتتمايل تحت ضربات قاصمة تنهال عليها . ان القوى التى تتحكم فى الاقتصاد الآن من طبيعتها ألا تقف تطلعاتها وأطماعها عند حد .

ـ لقد أدخل الانتخاب بالقوائم الحزبية وبالأغلبية المطلقة ليكون الأداة الطيعة لواقع جديد يتمثل فى السيطرة على كل انتخابات المنظمات السياسية والشعبية .

ـ وتدور آلة الاستفتاء استكمالا لهذا الواقع الجديد تحت شعارات براقة من سيادة الشعب . والحقيقة أنه خروج على الدستور واهدار لكيان السلطات والمؤسسات الدستورية المتخصصة لأن سيادة الشعب انما تمارس عن طريق هذه المؤسسات وليس باهمالها . ان الاستفتاء فى النظم الديمقراطية اجراء شاذ لكنه تحول ليصبح أسلوب حكم للسادات .

ـ ان وجود رئيس الجمهورية على رأس الحزب الحاكم وخاصة بعد تعديل الدستور واطلاق مرات اعادة انتخابه رئيسا للجمهورية يجعل من الاستحالة العملية أن يصل حزب آخر إلى الحكم ويجعل تبادل الحكم بين الحزب الحاكم وأحزاب المعارضة أمرا غير متصور .

ـ ان النص فى الدستور على أن تصبح الصحافة سلطة رابعة معناه ترويض هذه السلطة والسيطرة عليها كنقابة وأفراد وفكر ورأى عن طريق مـــايسمى بالمجلس الأعلى للصحافة . وهذا المجلس سيكون وحده هو السلطة فعـــلا وليست الصحافة هى السلطة .

ـ شملت التعديلات الدستورية فيما شملت فتح الطريق لرئيس الجمهورية لشغل مركز رئاسة الجمهورية مدى الحياة . وتأبيد شغل هـــذا المنصـــب يتنافى وطبيعة النظام الجمهورى نفسه . ومامن دستور جمهورى ديمقراطى فى العالم إلا ويحدد مرات التجديد كى لايتحول رئيس الجمهـــورية الى ملك غير متوج .

ـ تتزايد باستمرار واضطراد السلطة الأحادية لرئيس الجمهورية ليصبح وحده وفى أعقاب حرب اكتوبر محور القرار ومركزه ومصدره .

ويخلص الزيات بهذه النتيجة القاتمة . فان هناك مخـــططا يســـتهدف الواقع المصرى اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا عن طريق فرض نظام واقعى جديد يكون بديلا عن الشرعية الدستورية . ويجرى تنفيذ المخطط خـــطوة خطوة فى ظل شعار تعميق الـــديمقراطية وســـيادة القـــانون ودولـــة المـــؤسسات .

كان الكتاب تحديا لم يألفه « السادات » . ولهذا بدأ سلسلة من أعمال التنكيل بالزيات أنتهت بمذبحة سبتمبر ١٩٨١ بعد أن لعب « الزيات » دورا ملحوظا فى تأسيس « ائتلاف المصريين » الذى تزعمه « ممتاز نصار » . وخرجنا من المعتقل بعد اغتيال السادات لنواصل مابدأناه .

□□□

كان قد عاهدنى فى سجن طرة على ألا يشمت السادات فيه .. اذ كان قلبه قد اختلج على غير مايريد بعد أحداث ١٩٧٢ . ولقد ظل يعانى بشدة مـــن احوال قلبه لكن ارادة الحياة بل وارادة التحدى فيه كانت اقوى من علـــه . ونسيها فى غمار انهماكه فى العمل الوطنى . لكنه عـــكف على وضـــع كتـــابه الراهن درسا نادرا فى النقد والنقد الذاتى . وحين أتم آخر صـــفحاته كان راضى النفس مرتاح الضمير . فلقد أدى واجبه .

وخانه قلبه للمرة الأولى والأخيرة وهو يناقش فى اجتماع للجنة السـلام ونزع السلاح .. وأسلم الروح فى مساء ١٧ يوليو ١٩٨٧ ولـــم يتـــم عـــامه السبعين .

ومضى الزيات وكتابه بيمينه . وهاهو كتابه بين أيدينا الآن . ولقد كتبه بكل الصدق والأمانة للتاريخ ومصر وللقارىء . والعجيب أنه لايقدم لنا فى هذا الكتاب حقيقة السادات وحده ، لكنه يعطينا الاحساس الغامر بمذاق حقيقة « الزيات » أيضا . وترتفع أمامنا قامة « الزيات » مناضلا حرا شامخا شديد الكبرياء . لقد تحدى « السادات » حين كان يحسب نفسه شبه اله . فلم يخش أحدا ولم يرهب شيئا . وكان بحق مناضلا لايلين .

« وموضع فخرى واعتزازى العظيم أن الله قد أعطانى القدرة على أن أقول لا عندما يفرض على الواجب والمسئوليه أن أقول لامهما غلا الثمن وعظمت التضحية التى تنتظرنى .

وموضع فخرى واعتزازى العظيم اننى وقفت ضد الانحراف وضد التسلط والاستغلال وضد الكسب الحرام . لم أنافق ولم أستغل مركزى السياسى أو الشعبى أو التنفيذى لتحقيق كسب حرام أو لمسايرة مواكب الحرام . »

لكنه سار بثبات فى موكب الخالدين .. أبناء مصر البررة .. حملة مشاعلها على طريق المستقبل . ومصر لاتعقم ولاتستكين .

فؤاد مرسى

القاهرة ـ نوفمبر ١٩٨٨



افتتاحية

هذه الخواطر عن رجل زائف

كنت ممن شملتهم حملة السادات فى ٣ سبتمبر سنة ١٩٨١ ، ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى يأمر السادات فيها بالقاء القبض علىّ ، واكتشفت بعدما يزيد على الشهرين من سجنى أن التهمة الموجهة إلى هى العمالة للسوفيت وتكوين تنظيم يتعامل مع السوفيت ودول الرفض ومنظمة التحرير الفلسطينية برئاسة ياسر عرفات ، كما اكتشفت أن التنظيم الموهوم يضم أشخاصا من أبرز وأشرف رجال وسيدات مصر ، لا يجمع فيما بينهم سوى معارضة كامب ديفيد وكل ما يترتب عليها من نتائج ، ومحاولة تكوين جبهة وطنية عريضة تتصدى لمعارضة سياسة السادات الداخلية والخارجية . ولم تكن المرة الاولى التى يحاول السادات فيها تلفيق تهمة العمالة لى . وقد أسقط النائب العام هذه التهمة ، كما أسقط تهمة تكوين تنظيم عنى وعن زملائى وزميلاتى من الوزراء السابقين والمحامين والصحفيين وأساتذة الجامعات .

وقد جاء إسقاط هذه التهمة الموجهة الينا بمثابة إدانة كاملة لعصر السادات وللوسائل القذرة التى استخدمها لتلويث معارضيه . لم يكتف السادات بإخضاع بيتى وبيت شقيقتى الاستاذة الدكتورة لطيفة الزيات لأجهزة الإستماع والتصنت والتصوير متتبعا لثلاث سنوات ، من ١٩٧٩ الى ١٩٨١ لأدق تفاصيل حياتنا وحياة اصدقائنا وزوارنا ، بل استخدم لمدة ثلاث سنوات من ١٩٧٩ الى ١٩٨١ أحدث وسائل المونتاج لاختلاق أدلة مزعومة تدين هذه المجموعة المتميزة واللامعة والتى نتشرف بصداقتها وزمالتها .

وقد سجل الاستاذ الدكتور اسماعيل صبرى عبد اللـــه واقعـــة تزييف عن طريق المونتاج فى محضر التحقيق معه أمـــام المـــدعى الاشتراكى وفى حضور محاميه ووصف العملية كلها بأنها ووترجيت صغيرة وحقيرة ، وانها تشكل فضيحة تدين من دبرها ولا تدين من اتهموا فيها . اما انا فقد استعرت قولا لشيخ القضاة فى مصر عبـد العزيز باشا فهمى فى وصفه لأحداث تعذيب أحـد ضـباط شرطـة اخطاب ــ دقهلية لأحد المواطنين إبان عهـد صـدقى بـاشا فى الثلاثينيات بأنها « إجرام فى إجرام»

ولا أعرف على وجه التحديد متى بيّت الســادات تلفيـق تهمـة العمالة لـى وإن كنت على ثقة من أن هذه النية توفرت لديه منذ زمن طويل .

وقد جمعتنى علاقات عمل بالسادات فى الستينيات فى ظل حـكم عبد الناصر وكنت مديرًا لإدارة الابحاث فى مجلس الامة وكان هـو وكيلا للمجلس ، وكنت أمينًا عاما لهذا المجلس وكان هو رئيســا فى فترة لاحقة ، وفى سنة ١٩٦٩ كنت مقررا للمؤتمر القـومى العـام للاتحاد الاشتراكى العربى .ثم مقررًا للجنة السياسية فيه ، وكان هو أمينا لنفس اللجنة ، وتوطدت بـالتدريج العـلاقات بيننـا فى الستينيات بحيث كان يعتبرنى فى منزلة الاخ والصديق .

وفى السبعينيات اختارنى السادات بعد فترة من تعيينه رئيســا للجمهورية وقبل أحداث ١٥ مايو ، وزيرا لشئون مجلس الأمة ، ثم أعاد تعيينى فى هذا المركز بعد هذه الأحداث إلى جـانب تعيينـى مستشارا سياسيا له ، وعهد إلىّ بالاشراف على إعـادة تشـكيل الاتحاد الاشتراكى العربى وعقد المؤتمر القومى العام . وفى أعقاب تشكيل الإتحاد الإشتراكى إنتخبتنى لجنته المركزية سكرتيرا أول لها ، واستمر احتفاظى فى ذات الوقت بمنصب المستشار السياسى للسادات واستوعبنى العمل الجماهيرى لفترة فى إتجاهين ، إتجاه الإعداد للمعركة مع العدو الصهيونى ، واتجـاه إرسـاء قـواعد

الديمقراطية تطبيقا وممارسة داخل الاتحاد الاشتراكى ، مع اعداد واقرار دستور دائم يضمن استمرار الخطوط الرئيسية لسياسة الدولة خارجيا وداخليا ، كما يضمن ترسيخ أسس الديمقراطية الإجتماعية والسياسية .

وفى ختام جلسة من جلسات اللجنة المركزية أعلن السادات أنه فى حاجة الى « الزيات» فى عمل تنفيذى ، وتوهم البعض ان هذا تعبير عن المزيد من الثقة فى شخصى وانه عمل جديد يضاف إلى عملى كالسكرتير الأول المنتخب للجنة المركزية ، غير أن السادات كان قد عقد النية على استبعادى من الاتحاد الاشتراكى ، واصدر قرارا بتعيين سيد مرعى بديلاً عنى ، مخلاً بمبدأ الانتخاب الذى نص عليه صراحة نظام اللجنة المركزية ، ثم تولى هذا المركز بالتعيين من بعده « حافظ غانم» و« رفعت المحجوب» ليؤدى كل منهما دوره فى قبر الاتحاد الاشتراكى حتى أجهز عليه مصطفى خليل آخر أمين عام للجنة المركزية .

ولم يلبث قرار تعيينى نائبا لرئيس الوزراء فى وزارة عزيز صدقى أن صدر ، وقبلت المنصب بعد تردد .. لم أشأ أن أتخلى عن وزارة عزيز صدقى وهى تخوض المعركة الأخيرة فى وقف سياسة الردة وفى الحفاظ على منجزات ثورة ٢٣ يوليو ، وفى الدفاع عن الصناعة المصرية والقطاع العام .

وقضيت فى العمل التنفيذى فترة اصبت خلالها بجلطة فى المخ عولجت منها طويلا بين القاهرة ولندن ، واستقلت مع وزارة عزيز صدقى التى يؤرخ الآن لخروجها من الحكم بانتهاء حقبة من السياسة الداخلية والخارجية ، وبداية اخرى وصلنا بها الى ما وصلنا إليه الآن . على أن إستبعادى من العمل الجماهيرى فى الاتحاد الاشتراكى وبهذه الصورة المفاجئة كان بداية النهاية فى علاقتى الوطيدة بالسادات ، إذ لم يجرؤ ان يواجهنى بقرار

الإستبعاد قبل اتخاذه ولم يجرؤ على مقابلتي على انفراد بعد اتخاذه القرار تهربًا من مسئولية تفسير اسباب اتخاذه ، وتلك كانت طبيعته كما سنرى فيما يرد من احداث في هذا الكتاب .

ولم يكن قرار الاستبعاد مفاجئًا لي ، وكان مفاجئًا لي في نفس الحين فقد بدأ الخلاف بيني وبين السادات في العديد من النقاط بمجرد ان عينت وزيرًا ومستشارًا سياسيًا له ، وتزايد هذا الخلاف على مر الأيام ، وأبديت رأيي في هذا الخلاف واضحًا وصريحًا ، وأدليت بالنصيحة والمشورة التي اعتقدت ان فيها صالح البلد ، وتوهمت ان فيها صالح السادات . وكنت على ثقة أنني اؤدي واجبي على افضل وجه كسكرتير اول للجنة المركزية وكمستشار سياسي للسادات .

كنت ادرك ان بيني وبين السادات خلافا ، ولكن لم أع في ذلك الحين ان هذا الخلاف خلاف جوهري ، يحتم على كل منا ان يسير في طريق معارض لطريق الآخر . كنت أعرف السادات ــ المتحمس لكل خطوة من خطوات عبد الناصر ، وكل إنجاز من إنجازات ثورة ٢٣ يولية داخليًا وخارجيًا . ولم أكن أعرف السادات الذي يخطط بصبر وإناة وبالتدريج لنسف كل منجزات الماضي وللسير في طريق يغاير كل التغيير ذلك الطريق الذي اختطه عبد الناصر .

ولو حاولت التزلف قربي إلى السادات بعد خروجي من الوزارة ، أو إكتفيت حتى بالتزام الصمت لما تربص بي السادات ولا لفق لي الإتهامات ولكن كانت قناعتي أن أصحاب المبادىء لا يتزلفون ، ولا يلتزمون حتى الصمت وبهذه القناعة إلتزمت ، وبهذه القناعة عانيت .

وقد انتقلت من الوزارة إلى موضع المعارضة في مجلس الأمة حيث كنت عضوًا منتخبًا عن دائرة دمياط ، وعارضت فيما عارضت سياسة إنشاء البنوك الأجنبية ، وتمليك الأراضي للأجانب وتفكيك القطاع العام ، والعدول عن سياسة التخطيط . وكنت أول من بدأ

حملة على سوء توزيع الدخل فى مصر وتضخم الثروات وزيادة عـدد المليونيرات زيادة فلكية ، وهى حملة فسرها السادات أيامها بأنها حملة موجهة الى اسرته ، وعلق عليها أكثر من مرة فى خطبه مضـفيًا علىَّ صفة الماركسية ، وأنا الذى كنت معاونه الأول لمدة تزيد على العشر سنوات ، وفاته أن يعرف عنى هذه الصفة .

وبعد نهاية فترة مجلس الأمة اخترت أن أدخل انتخابات ١٩٧٦ معارضًا فى دائرتى دمياط ، رغم العروض التى توالت علىَّ من منبر الوسط أو حزب السادات . وقد اشتركت اجهزة السادات الامنية والتنفيذية والدينية والاعلامية فى معركة الانتخابات كمـا لـو كان السادات هو شخصيا المرشح ضدى فى هذه المعركة وحين تعادلت مع مرشح حزب الوسط وتأتى أن تجرى إنتخابات إعادة بيننا تحولت محافظة دمياط إلى محمية تحتلها قوات الأمن المركزى المسـلحة بالدروع والمدافع ، وتمركز فى دمياط الشيخ بيصار وكيـل شـيخ الأزهر يدعو إلى إسقاطى ، ونشطت وزارة الداخلية والحكم المحلى بالتزوير والرشوة ، وخصصـت الصـحف اليـومية المقـالات والإفتتاحيات اليومية بهدف إسقاط الزيات . وفى هـذه المـرحلة بالذات تبدت نية السادات فى تلفيق تهمة العمالة لى ، اذ كرر بوق من أبواقه ، هو موسى صبرى ، هذه التهمة فى أكثر من مقال إفتتاحى فى أخبار اليوم وفى أخبار مختلفة ، تزعم أن الروس قد أقاموا فى دمياط غرفة عمليات بهدف انجاحى ، وانهم يوزعون الثـلاجات والأدوات الكهربائية على الناخبين ، وكانت الاختلاقات مضحكة ومزرية لحد لم يدفعنى الى محاولة تكذيبها ، وشـعب دميـاط هـو الـكفيل بالتكذيب ، وكانت هذه الاختلاقات ترفع اسمى بين الناخبين الى حد جعلنى لا اهتم بها . وانتصرت اجهزة السادات فى المعركة ، واعلن انتخاب مرشح حزب الوسط ، ولكن حصـولى على احـد عشرة الف صوت فى هذه الانتخابات رغم التهديد والـوعيد والتشريـد بقـى كالشوكة فى حلق السادات ...

ومع زيارة السادات الاولى لاسرائيل ، نزلت بثقلى معارضا لهــذه الزيارة ومعارضا لكل ما ترتب عليها من اتفاقيات ومعاهدات ، ثــم لعمليات تطبيع العلاقات ، ونشطت فى تنســيق معــارضتى مــع المعارضين لهذا الاتجاه ، سواء فى مجموعة المصريين والائتلاف الوطنى من مختلف الاتجاهات الســياسية او فى نشــاطات حــزب التجمع الوحدوى .

وشرعت فى إعداد كتاب بعنوان « مصر إلى أيــن » « دراســات وخواطر فى الدستور الدائم (١٩٧١) » ابين فيه مــدى تجــاوز سياسة الدولة لهذا الدستور ، واحذر فيه من السير فى الطريق الذى كاد يؤدى بمصر الى الخراب الاقتصادى والسياسى.ومــا ان تمــت طباعة الكتاب حتى ضبط بمعرفة اجهزة الامــن فى اواخــر شــهر اغسطس سنة ١٩٨٠ .

وفى شهر اكتوبر سنة ١٩٨٠ داهم البوليس منزلى بدعوى ضــبط اصول الكتاب والقى القبض على ، وواجهنى المحقق بأسئلته عــن نشاط الائتلاف الوطنى ولم يسألنى فى شىء عن الكتاب ، وافرج عنى فى منتصف الليل اثر الضجة التى اثارها القبض على داخليــا وعلى مستوى الاذاعات العالمية ، ورغم ان الاشاعات التــى روجتهــا اجهزة الأمن فى كواليس اجهزة الاعلام اشارت الى ان القبض على لم يكن للتحفظ على اصول الكتاب بل للاستجواب فى تهمة تخابر ، ورغم أن هذا النبأ قد تسرب الى بعد الافراج عنى لم تعلق التهمة قط بــى نفسيا ولم آخذ هذا الكلام مأخذ الجد .

واثناء التحقيق معى بعد انقضاء ثلاثة شهور مــن القبض على فى سبتمبر ١٩٨١ اتضحت الحقيقة ، فقضية التخابر مسجلة ضدى فى النيابة منذ ١٩٧٩ ، حيث بدأت عمليات التصنت والاســتماع على منزلى ، ومركونه على الرف ، حيث لا ادلة ، ولا ظل لأدلة ، وظهــور الكتاب فجر الموضوع ، واثار السادات الــذى اصر على ان تــكون

قضية حيث لا قضية ، فداهم البوليس بيتي وحمل كل اجهزة الريكوردر والراديو التي املكها الى جانب احمال من اوراقي الخاصة ، وكتبي على امل ايجاد ولو دليل واحد يحول اللاقضية الى قضية ، ولم يسفر التفتيش عن شيء واضطر رئيس نيابة امن الدولة الافراج عني .

وبعد اسبوعين من حملة سبتمبر ١٩٨١ ، وبعد رد الفعل العنيف لهذه الحملة في العالم العربي ، وفي العالم الغربي الذي يهتم به السادات اهتماما شديدا ـ كان لابد من خلق قضية تخابر لتهدئة العالم الغربي ، حتى ولو لم تكن هناك قضية تخابر ، وكان لابد من وضع أكبر عدد من المعارضين في سلة واحدة وكان عدد المتهمين في القضية ارتفع على صفحات الجرائد القومية في حياة السادات من ١٢ إلى ٢٢ ، فلا راد لمشيئة السادات أو هكذا توهم ، وقال إنه لن يرحم ونسأل له الرحمة ممن تعلو مشيئته على كل مشيئة ، وعلى من يملك الرحمة ويمنعها .

وكان لابد وان اكتب هذه العجالة القصيرة لتسلسل علاقتي بالسادات ، قبل ان اسجل خواطري عن الفترة التي عملت فيها معه ، لكي اساعد القارىء على الربط اذ انها خواطر لا يربط بينها غير توارد الافكار .

ويبقى ان اذكر حقيقة الى جانب كبير من الاهمية ، حقيقة كلفتني الكثير ، وورطتني في الكثير ، وجعلتني مسئولا امام نفسي وامام الاخرين عن الكثير .

ففي الفترة ما بين ١٩٦٤ الى ١٩٧٠ لم تقف علاقاتي مع السادات عند حدود العمل بل تعدت علاقة العمل بكثير الى الصداقة والمودة والافضاء وتبادل الاسرار ، واستمعت اليه في احاديثه الخاصة والعامة ، وتوهمت انى عرفت ظاهره وباطنه ، غير ان هوة كبيرة فصلت بين صورته الحقيقية والصورة التي قدمها لي

وللاخرين طوال هذه الفترة فقد أحكم وضع القناع على وجهه حتى بدأ الأصل والصورة واحدا وكان السادات الذى عرفته قبل رئاسته للجمهورية ، او توهمت انى عرفته وطنيا مرتبطا بقضايا التحرر الوطنى ، معاديا للاستعمار . ولسياسة امريكا الامبريالية ، كما يتضح من احاديثه الخاصة جدا ، ومن كتابه « هذا عمك جمال ياولدى » الذى منع تداوله فى السوق بعد ان انحرف كلية الى التبعية الامريكية ، وكان عدوا لدودا للصهيونية ، مؤمنا بان ما انتزع بالقوة لا يمكن ان يسترد الا بالقوة ، وبحتمية المعركة العسكرية مع العدو الصهيونى المرتبط بالاستعمار الامريكى . كان السادات كما توهمت انى عرفته متحمسا لقوانين التأميم ، اشتراكيا كأشد ما تكون الاشتراكية ، مدافعا عن القطاع العام ومهاجما للاقطاع والاقطاعيين ، متفاخرا بانجازات ثورة ٢٣ يولية ، وبانتصارات بطلها عبد الناصر . وباختصار كان الوجه الذى يبديه السادات لى فى اخص الجلسات وجها ناصريا اكثر من وجه عبد الناصر ذاته ، كما يتضح من موقفه فى اللجنة المركزية من مبادرة روجرز الذى رفضها فى غيبة عبد الناصر عن مصر ، ليعود فيتقبلها عندما اعلن عبد الناصر قبولها .

كان هذا وجه السادات الذى عرفته قبل ان يرأس الجمهورية وحسبت انه وجهه الحقيقى ، وكانت هذه المعرفة المزيفة والموهومة التى جعلتنى اسانده واؤيده فى انقلاب مايو . كانت هى التى جعلتنى اكذب كل ما قيل حول هذا الانقلاب وهى التى حالت بينى وبين استيعاب المعنى الكامل لبعض تصرفاته فى الفترة التى عملت معه فيها وهو رئيس للجمهورية ، وفهم هذه التصرفات على حقيقتها كمقدمات لنتائج كما اثبت تطور الاحداث ، وكنت اتصور ما هو استراتيجية فى الاتجاه الى « الامريكان » تكتيك على ضوء معرفتى الموهومة بتوجهاته ، وكان من المستحيل على ان اتصور ان انسانا ما عاش سنوات طويلة اكذوبة متصلة ، وانه واجه حتى

اخص خصوصياته بوجه مزيف ، وانه لعب دورا طويلا ومتصلا لم يخطيء فى جملة ، ولا كلمة من كلماته .

وقناعتى الان ان الدور المرسوم المقصود كان قناعا متقنا يخفى حقيقة رهيبة وأود قبل أن أبدأ ، ان اؤكد ان السادات استطاع بمهارة فائقة ان يحجب عنى حقيقة مكتملة اثناء فترة تعاونى معه . ولم اكن بالاعمى ، وبدأت بعض الحقائق تتكشف امامى بعد ان وصل الى رئاسة الجمهورية ، غير ان الخيوط لم تتقابل ، والصورة لم تكتمل الا بمضى السنين واندراج التفصيلات الصغيرة فى مجمل الشخصية ، وفى مجمل التحولات الجذرية التى ادخلتها هذه الشخصية على سياسة بلدنا الخارجية والداخلية . والمنظور الذى استخدم فى كتابة هذه الخواطر ، ينتقل والأمر كذلك ، بين منظورى القاصر فى الفترة التى تعاملت فيها مع السادات ، ومنظورى وقد اكتسب تكاملا ابعد بعد ان اندرجت الاحداث فى اطارها الواضح .

وأرجو أن أوضح للقارىء أن الكتاب الذى اضعه بين يديه ليس تأريخا للسادات فأنا لست من كتاب التاريخ وليس دراسة لازدواجية الشخص فلا أدعى لنفسى اننى من علماء النفس ولكنها مجرد خواطر تجمع بين هذا وذاك فى محاولة لالقاء بعض الضوء على مساحة زمنية محدودة ، كنت قريبا فيها من السادات . وتكتسب هذه المرحلة أبعادها الهامة نظرا لأنها المرحلة التى تخلقت فيها سياسات السادات وتوجهاته لتتتابع بعد ذلك حلقاتها . والبدايات تحمل دائما معها مؤشرات النهايات والسقوط يبدأ بخطوة على المنحدر يتتابع بعد ذلك الى مالا نهاية .

ومن هنا تكتسب كل كلمة وكل حقيقة وكل معلومه عن هذه المساحة الزمنية أهمية كبيرة ، وهذا ما حملنى على أن أجمع هذه الخواطر فى كتابى هذا .

واذا كنت قد عرضت خلال هذا التقديم الى ما عانيته فى عهد السادات من سجن وعدوان ومتابعة واتهامات مختلقة ومحاولات

لتلويث شرفي وسمعتي وتشويه تاريخي فليس هذا من باب المباهاة أو التفاخر . فان ما عانيته لا يقاس بما عاناه غيري من الوطنيين الشرفاء وهم كثيرون وكثيرون . كما انه لا يمثل قطرة في بحر المعاناه التي يكابدها الشعب المصري حتى اليوم والى الغد الطويل كنتيجة حتمية لسياسات السادات الوطنية والقومية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والتي عمق من جذورها الوحشية في أرضنا الطيبة .

لذلك فالحديث عن السادات وسياساته حديث متصل لا ينقطع والنضال ضد هذه السياسات هو أيضا نضال متصل لا ينقطع لأنه نضال في سبيل المستقبل . والعذابات التي يتحملها المناضل خلال ذلك شيء من طبيعة الأشياء ...

وأرجو أن استميح القارىء عذرا اذا شعر بنقلة مفاجئة من موضوع الى آخر فهذه طبيعة الخواطر وهذه طبيعة الالتزام بالتتابع الزمني للموضوعات في محاولة لتغطية هذه المساحة الزمنية التي عايشت فيها السادات بكل الصدق والامانة للتاريخ ولمصر وللقارىء ....

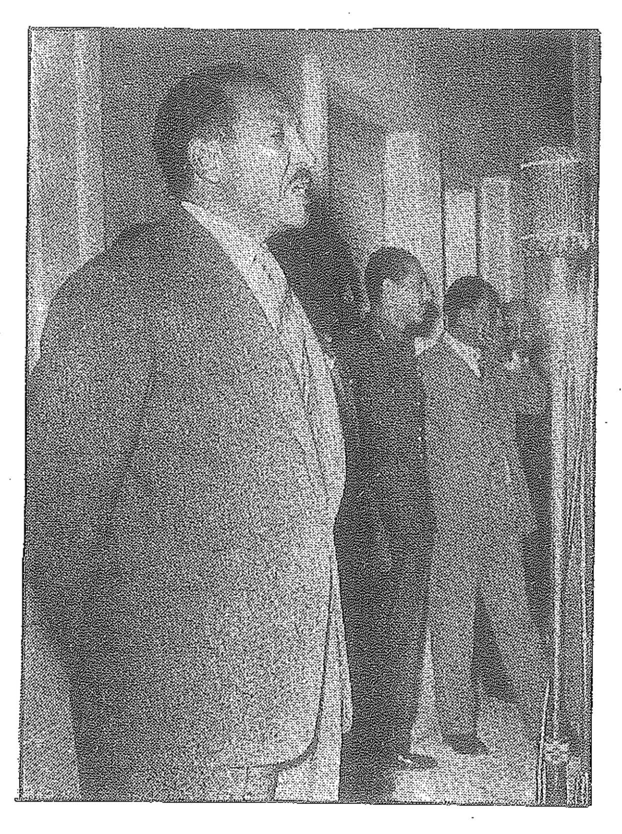
محمد عبد السلام الزيات





السادات كما عرفته قبل رئاسته للجمهورية [١٩٦٤ - ١٩٧٠]





عبد اللطيف البغدادى رئيس مجلس الأمة يخطب والسادات الوكيل يسمع

الفصل الأول

السادات وكيلا لمجلس الامة

لا أدعى معرفة بالسادات ولا دوره فى ثورة يوليو ١٩٥٢ أو دوره فى تنظيمات الضباط الأحرار فهناك من هم أكثر اتصالا منى بهذه الفترة وأكثر قدرة منى على تناول هذا الجانب من حياته ,

وكل ماتعيه ذاكرتى عن السادات قبل الثورة انه اتهم بالاشتراك فى حادث مقتل أمين عثمان فى ١٩٤٦ ثم برأته المحكمة من هذه التهمة . ثم ماتردد عنه فى بداية الثورة من أنه كان عضوا من أعضاء الحرس الحديدى الذى شكله الدكتور يوسف رشاد الطبيب الشخصى للملك فاروق ورئيس جهاز المعلومات الخاص بالسراى — لاغتيال مناوئى الملك .. وانه اشترك أكثر من مرة فى محاولة اغتيال مصطفى النحاس رئيس الوفد . هذا بالاضافة الى ما سمعناه وقرأناه خلال الحرب العالمية الأخيرة عن صلته بشبكة للجاسوسية تابعة لألمانيا النازية وتوليه لمسئولية جهاز الارسال السرى التابع لهذه الشبكة .

ولم أسمع عنه الكثير فى السنوات الأولى من الثورة — غير ماكان يسمعه غيرى من أنه ظل لعبد الناصر تجده حيث تعود دائما أن يكون منذ بداية الثورة — على وقع خطى عبد الناصر .

كان البعض يطلق عليه اسم « البكباشى صح » ذلك لأنه يعلق على كل رأى أو قول لعبد الناصر بكلمة « صح » حتى قيل أن عبد الناصر كان يسخر منه بالقول « لو أنه يغير من طريقة التعبير عن موافقته بدلا من ترديد كلمة صح لكان ذلك أخف على أعصابى »

ثم التقيت بالسادات لقاءات عابرة عندما استدعانى عبد الناصر ، كشخصية برلمانية متخصصة ، ليستفسر منى عن الاستعدادات لافتتاح اول مجلس أمة فى سنة ١٩٥٦ ، وعن بعض

الاوضاع والاجراءات التي تلازم مثل هذه المناسبة .

ولم اعرف السادات شخصيا الا عندما اصبح وكيلا لمجلس الأمة الأول ، وكانت معرفتي به محدودة ايضا ، كما كانت احاديثي معه عابرة مقتضبة . ولمست خلال هذه الفترة انه يكاد يكون منصرفا عن اعمال المجلس ، وانه قليل التردد على مكتبه ، رغم الازمات المتتالية التي كانت تتطلب تدخله كعضو مجلس قيادة ثورة ، وكصديق لعبد الناصر .

لم يكن هناك ما يبرر انصرافه عن اعمال المجلس وندرة تردده عليه غيرما سمعته في ذلك الحين من أن السادات كان مرشحا لرئاسة المجلس ثم عاد عبد الناصر وسحب هذا الترشيح ، وعهد الى عبد اللطيف البغدادي برئاسة المجلس ، مما ترك في نفسية السادات جرحا بالغا .

ويحاول السادات ان ينفي هذه الحقيقة في كتاب « البحث عن الذات » فيروي عن هذه الواقعة مايأتي :

قبل الاجتماع (اى اجتماع مجلس الأمة) بثلاثة ايام كنت مع عبد الناصر في استراحة برج العرب ..... فاذا بي افاجأ بطلب منه ان استعد لرئاسة المجلس وقبلت ... ولكن قبل افتتاح المجلس بليلة واحدة دعانا عبد الناصر الى الاجتماع في القاهرة ... وقال انه يفكر في اسناد رئاسة المجلس الى عبد اللطيف البغدادي بصفته اقدمنا .... كيف غير عبد الناصر رأيه في خلال يومين فقط .... وما الذي دعاه الى ذلك لا اعرف الى الان ...

ويمضي قائلا : لم اهتم انا برجوع عبد الناصر عن قراره في مسألة تعييني رئيسا لمجلس الامة .... لم اكن في حياتي اسعى الى منصب او مركز ما ...

ثم اذا به يقول كان لابد على اى حال ان يتولى منصب وكيل المجلس احد الضباط الاحرار فعرض عبد الناصر على اكثر من واحد ولكن الجميع رفضوا ... فلم يجد مناصا من أن يتقدم بهذا

الطلب إلىَّ « ...... وقبلت ...... »

ويدافع السادات عن نفسه لقبول هذا المنصب فيقول « لم يحدث فى حياتى ان ميزت عملا عن اخر ما دام العمل من اجل مصر .... فالعمل عندى يتساوى والعبرة بالعمل لا بالمنصب (ص ١٦٣) .

ولكن السادات فى مكان اخر من الكتاب يعبر عن حقيقة المرارة التى كان يعيشها من جراء معارضة زملائه لترشيحه فى أى مركز قيادى فيقول :

عندما أنظر اليوم الى الثمانية عشرة عاما الاولى من الثورة قبل ان اتولى الرياسة اجد ان هذه المرحلة من حياتى كانت فترة معاناة لم ادرك سببها فى ذلك الوقت ، فقد ظلت كامنة فى العقل الباطن .... ولكنها احدثت خللا فى توازنى (ص ١٠١) .

قد يكفى هذا القول من السادات لنقترب من تكييف التصرفات التى اقدم عليها خلال السنوات العشرة التى قضاها رئيسا للجمهورية ، داخليا وخارجيا ووطنيا وقوميا وسياسيا واقتصاديا .... وقد يكفى ايضا لتقييم الصفحات الطويلة التى ملأت كتاب « البحث عن الذات » بالحديث عن اخلاقيات السادات وتجرده ونجاحه الداخلى .

ونعود الى السادات وهو وكيل مجلس الامة فى فترة رئاسة البغدادى للمجلس ، فقد كانت شخصية البغدادى طاغية ومؤثرة على سير اعمال المجلس ، الأمر الذى لم يترك مجالا لظهور السادات فى اى حدث هام من الاحداث التى مرت على المجلس فى ذلك الحين .

وللتاريخ اقول ان البغدادى حاول ان يأخذ الأمور بجدية ، وان يجعل الحياة الديمقراطية حياة حقيقية ، تذخر بالحوار والرأى الاخر ، وان يحافظ على كرامة العضوية ، وان يجعل من المجلس مؤسسة حقيقية فى مواجهة مؤسسات الدولة الاخرى . ولكن كانت

هناك جماعة فى المجلس يتزعمها طعيمة والطحاوى وقد كانا اسمين توأمين او متلازمين ، جمعا حولهما عددا من الاعضاء اذكر منهم الآن حمدى عاشور موهمين الجميع انهم يتلقون توجيهاتهم من أعلى .

كانوا يريدون للمجلس ان يكون مجرد ديكور ، لأن قوة المجلس فيه قوة لرئيسه ، فسعوا بالوشاية لدى عبد الناصر عن اطماع البغدادى ومدير مكتبه فى ذلك الحين عمر اباظة .

واستغل هؤلاء خلافا دستوريا قام حول شرعية تعيين بعض اعضاء المجلس كموظفين او مستشارين فى مديرية التحرير ، التى كان يتولى ادارة مشروعها مجدى حسنين ، لزيادة هوة الخلاف بين عبد الناصر والبغدادى .

كان احد الصحفيين المتصلين بالبغدادى وهو محمد الليثى قد تابع نشر بعض التحقيقات عن هذا الموضوع فى صحيفة الأهرام ، ثم كلفنى البغدادى ، باعداد دراسة دستورية عن هذا الموضوع ، وقدمت اليه مذكرة ايدت فيها الرأى القائل بعدم شرعية تعيين اعضاء المجلس فى وظائف بمديرية التحرير .

واحتدمت المعركة ، يحركها من جانب عمر اباظة مدير مكتب البغدادى ، ومن جانب اخر على صبرى مدير مكتب عبد الناصر ، حتى قيل فى ذلك الحين ان المعركة الحقيقية هى معركة بين مديرى المكاتب . ووجدت نفسى فجأة فى خضم المعركة تتجاذبنى اطراف متعددة ، لأعدل عن الرأى الدستورى الذى ضمنته مذكرتى الى البغدادى ولكننى اصررت على الالتزام به .

واذكر ان تقديرى لعبد الناصر قد ازداد عندما طلبنى ليسألنى عن هذا الموضوع ، وابدى تقديره لتمسكى برأيى ، رغم التحذيرات التى تلقيتها من الكثيرين قبل هذه المقابلة .

وتحركت كل القوى خلال هذه الأزمة ، القوى الساعية للخير ، والقوى الساعية بالقطيعة بين عبد الناصر والبغدادى ، وظل

السادات وكيل مجلس الأمة ، والمفروض ان يكون اقرب الأشخاص إلى مثل هذه الأحداث والخلافات ، بعيدا لايبدى رأيا أو يتوسط خيرا .

وانقطعت خطوط الاتصال بين عبد الناصر والبغدادى وازدادت الأزمة حدة عندما وصل الى علمي ان البغدادى ينوى اثارة موضوع الخلاف هذا فى جلسة علنية من جلسات المجلس ليقرن هذا باستقالته من رئاسة المجلس . وقد قدرت ما فى هذا الأمر من خطورة وانعكاسات على استقرار النظام . وفى هذه المرة سارعت الى مقابلة السادات وكيل مجلس الامة ونقلت اليه هذا الخبر وقلت له ان الأمر يحتاج الى تدخلك لتدارك ما يسفر عن ذلك من نتائج .

وكان رده غريبا اذ قال انني لست طرفا فى هذا الصراع ولا أريد ان اكون طرفا فيه ، والبغدادى حرٌ فى ان يستقيل أو لايستقيل .

قلت له ان اثارة مثل هذا الموضوع فى جلسة علنية ليس من مصلحة احد ولابد من وجود شخصية تحاول ان تطوق الموضوع وستكون انت رئيس الجلسة التى يحتمل ان يتحدث فيها البغدادى .

وكان رده أعجب فقد سألنى : هل انت مع عبد الناصر أم مع البغدادى ؟ .

وعجبت ان يكون قياس الأمور الخطيرة من جانبه بهذا الميزان « مع أو ضد » ويزول عجبى بعد ذلك مع تتابع الأحداث وخاصة بعد امساكه بكل السلطات بين يديه فقد أصبح شعاره « من ليس فى ركابى فهو ضدى ولاشىء بين هذا وذاك » .

وكان شعاره بالأمس « من يعارض عبد الناصر أو يبدى رأيا مخالفا لرأيه عليه أن يتنحى عن مركزه وأن يذهب فى زوايا النسيان » .

وعلى كل فقد كان ردى عليه اننى مع النظام واننى نقلت اليه هذه المعلومات حماية للنظام واقترحت عليه ان يقترح على المجلس ان

تكون الجلسة سرية اذا صمم البغدادى على أن يتكلم .

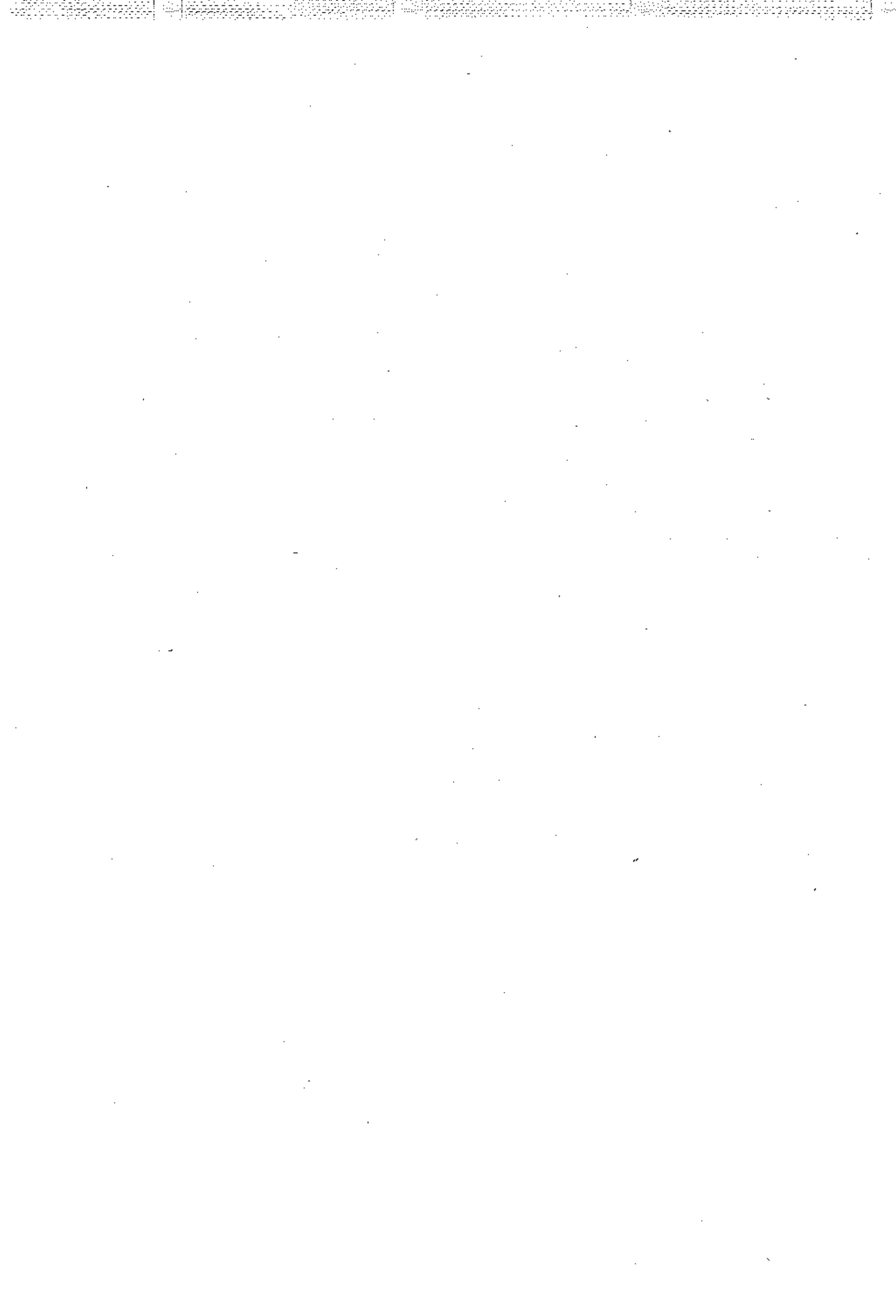
ولم أجد منه تجاوبا لما اقترحته .

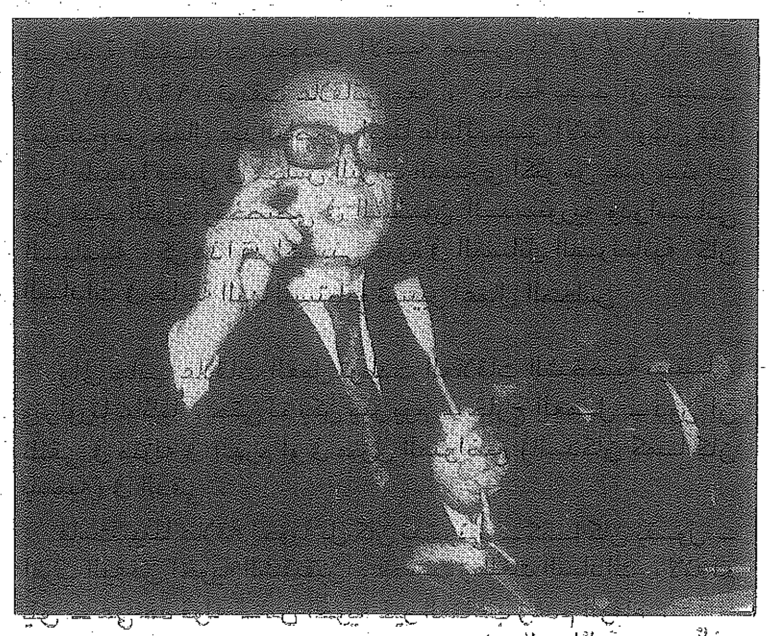
وخرجت من هذه المقابلة الغريبة لألتقى بأحد أعضاء المجلس وهو السيد زكريا لطفى جمعه وكان صديقا لى ونقلت لـه الصـورة فتحمس لما ابديته من رأى وقال انه سيعد طلبا بعقد الجلسة سريـة (مع الاحتفاظ بسرية الموضوع كما رجوته) وسيطلب طـرحه على المجلس عند نزول البغدادى الى منبر المجلس .

وقد كان وعقدت الجلسة سرية ثم تدارك عبـد الناصر المـوقف وانتهت الأزمة ولو انها تركت جروحا فى النفوس .

وقامت أزمة أخرى بسبب منـاقشات دارت فى المجلس حـول سياسة التعليم اعتبرها كمال الدين حسين ، وكان وزيرا للتعليم فى ذلك الحين ، عدم ثقة بسياسته فتقدم باستقالته ثم سوى الموضوع بعد ذلك ، وكان الأمر فى كل هذا لايعنى السـادات ، وهـو وكيـل المجلس ، من قريب أو بعيد .







الزيات يتحدث إلى أعضاء مجلس الأمة

الفصل الثاني

السادات ومسئوليات الرئاسة في مجلس الأمة

بـرئاسة السـادات لمجلس الامـة مـن ١٩٦٤/٢/٢٦ الى ١٩٦٨/١١/١٢ توثقت علاقاتى معه ، خاصة بعـد ان عينـت بترشيح من جمال عبد الناصر ، امينا عاما لمجلس الامة ، وكان هذا امرا طبيعيا فعملى فى مجلس النواب المصرى اكثر من عشر سنوات قبل قيام الثورة وتخصصى فى الشئـون الـدستورية ودراسـاتى السياسية ، كل هذا قد اكسبنى خبرة فى المسائل البـرلمانية كان السادات فى حاجة اليها ليستطيع تسيير اعمال المجلس

والى جانب علاقات العمل توطدت العلاقات الشخصية بيننـا ، وتزاورنا عائليا ، حتى لم يكن يمر يوم ــ خارج العمـل ــ دون ان نلتقى فى منزله فى الهرم او فى منزلى المتواضع (الـدكان كمـا كان يسميه) فى الدقى .

قامت بيننا علاقة اخوية بل كان يعتبرنى ــ كمـا كان يقـول ــ اقرب اليه من اخويه الشقيقين . عصمت وطلعت السادات ، لانه لم يلق ــ على حد قوله ــ من اخويه غير المتاعب وعدم الوفاء .

كان يلجأ الىّ حتى فى اخص خصوصياته العـائلية ويسـألنى الرأى فيها او فى حل بعض مشاكلها ، يكفى ان اشير تعميما الى ذلك دون الدخول فى أية تفصيلات ، فاذا كنت تناولت هذا الجانب فقـد تناولته وانا حريص على خصـوصيات اى انسـان كحـرصى على خصوصياتى ، وإنما تناولته لما تعكسه حياة الانسان الخاصة على تصرفاته العامة

قال السادات إنه لم يعرف السعادة العائلية إلا يوم أن أنجـب

جمال (الابن الذكر الوحيد) وأنه قاسى أياما صعبة خوفا عليه .
فقد ظل بين الحياة والموت أياما طويلة فى ناموسية (هكذا كان يقول لى) من الأوكسجين .

وكان يكرر القول إن جمال هو إمتدادى الوحيد فى الحياة ..

كان اليأس يملؤه ، ويردد دائما امام عبد الناصر ، يومى قبل يومك ياريس وصيتك جمال .. كنت اشعر فى أحاديثه التى كانت تستطيل بيننا بمرارة فى اعماقه فقد كان يعتقد انه احق من غيره من زملائه ومن البغدادى الذى تولى قبله رئاسة مجلس الامة .

وكان يسر الى بنفس المرارة بالنسبة لجميع زملائه .. فقد تعرض – على حد قوله – للموت مرات ، وعاش متنقلا بين المعتقلات والسجون ، كان يقول طردت من عملى فى الجيش وتسولت عيشى ..

وحرمت من ضروريات الحياة .. وكان غيرى ينعم بالبيت المريح وبالاسرة وبالحياة السهلة .. لديهم كل شىء وازدادوا بعد الثورة راحة وتميزا على تميز .. ويبقى هو فى مكانه . قلت له مرة ولكنك الآن رئيس مجلس الامة ، وهذا مركز الرجل الثانى .

رد على إن مجلس الأمة مجرد ديكور .

وقلت له انه يستطيع ان يحول المجلس الى اكثر من ديكور ، وان هذا هو واجبه ، وانه قادر على ان يفعل ذلك ، ولكننى كنت فيما يبدو احمله اكثر من طاقته .

واذكر ان قال لى السادات فى احدى المرات انه كان يحسب الف حساب وهو فى طريقه الى رئاسة جلسات المجلس ، وانه ظل وقتا طويلا يشعر انه فى حاجة لان يتعاطى بعض الكحوليات ليستجمع قواه قبل ان يتجه الى كرسى الرئاسة ، كان عاجزا عن مواجهة المواقف الصعبة ، او غير راغب فى مواجهتها ، مختارا طريق السلامة ، والامان لنفسه ، كانت هذه طبيعته فى كل المواقف الصعبة التى واجهتنا خلال رئاسته لمجلس الامة .

والقصص عن ذلك كثيرة .

اذكر على سبيل المثال قصة فى مناسبة الانتخابات التى جرت فى ١٩٦٦ لرئاسة الجمهورية فقد ارسل عبد الناصر كتابا لرئيس مجلس الامة يوجه النظر فيه الى قرب انتهاء مدة رئاسته للجمهورية ويطلب من المجلس اعمال احكام الدستور الخاصة بترشيح رئيس الجمهورية ، وما كاد هذا الكتاب يعلن ، حتى تـوالت الوفود على مجلس الامة ، والاف البرقيات من مختلف الطوائف ومن مختلف انحاء الجمهورية مطالبة بترشيح عبد الناصر ، وفود لا تنقطع ليل نهار .

واحتجب السادات فى منزله بدعوى المرض وغاب سيد مرعى وكيل المجلس فى ذلك الحين عن الظهور فى الصورة وتركونى وحدى امام هذا السيل من الوفود . ولم البث ان فهمت اسباب الاحتجاب ، قيل وقتها ان هناك ازمة بين عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ، فعامر يريد ان يجرى ترشيحه نائبا لرئيس الجمهورية بنفس الطريقة التى يجرى بها ترشيح رئيس الجمهورية والاستفتاء عليه ، لا عن طريق التعيين من رئيس الجمهورية ، كما ان حسين الشافعى ، وكان فى ذلك الحين أمينا عاما للاتحاد الاشتراكى ، كان يرى ان تتوجه هذه الوفود الى الاتحاد الاشتراكى وليس الى مجلس الامة .

واثر السادات كعادته الابتعاد انتظارا لما يسفر عنه الخلاف .

ولم يكن امامى الا ان اسعى الى اجراء اتصال مع عبد الناصر وعرضت عليه الموضوع ، واقتنع بأن المجلس هو المكان الطبيعى ، وان مهمة المجلس فيما يتعلق بالترشيح لا تنتهى الا بعد الاستفتاء واداء الرئيس اليمين الدستورى امامه .

وعاد السادات وسيد مرعى لاستقبال الوفود .

وحكاية اخرى مماثلة

عند اعادة تشكيل الاتحاد الاشتراكى العربى فى اعقاب بيان ٣٠ مارس اختارنى عبد الناصر عضوا فى لجنة الخمسين التى اشرفت

على هذه الانتخابات ثم مقررا لها ، واعقب ذلك تعييني مقررا للجنة المائة التى اعدت اوراق المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى ثم عينني عبد الناصر امينا عاما للمؤتمر القومى ، ثم مقررا للجنة التى اعدت النظام الداخلى للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى ولجنتها التنفيذية العليا

وفى اليوم الذى حدد لانتخاب اللجنة التنفيذية العليا ، او فى اليوم السابق عليه (لا اذكر على وجه التحديد) اتصل بى هيكل تليفونيا قبل الظهر وسألنى « انت الذى وضعت نظام اللجنة التنفيذية العليا وحددت اعضائها [illegible] عضوا فهل يمكن ان يقتصر الانتخاب على اقل من هذا العدد على ثمانية مثلا »

كنت حذرا فى ردى — وقد كنت دائما هكذا مع هيكل — قلت ان هناك ردا قانونيا على سؤالك وردا سياسيا .. فالرد القانونى ان اللجنة لا يكتمل هيكلها القانونى الا اذا انتخب عددها كاملا ، اما اذا كانت هناك اعتبارات سياسية تقتضى ان يجرى انتخاب عدد اقل ، فيمكن ان يستبقى عدد خال من المقاعد ، على ان يتم شغلها بعد ان تتهيأ ظروف التعاون بين اعضاء اللجنة المركزية وتبرز من خلال عملها قيادات تستحق هذا المركز . قال هيكل ، انت دبلوماسى

ولم يكن [illegible] هيكل [illegible] المسئوليات فاتجهت الى منزل [illegible] فى الهرم لانقل اليه ما جرى من حديث بيني وبين هيكل ونقلت اليه الصورة كاملة

وحدث بعد ان انتهيت من حديثي مباشرة ان طلبه عبد الناصر تليفونيا وجرت المكالمة [illegible] فلم اسمع من جانب السادات الا ترديد العبارة مضبوط يا ريس .. [illegible]

وانتهت المكالمة [illegible]

والتفت إلى السادات قائلا : « الرئيس متضايق منك قوى وثائر عليك .. انت قلت لهيكل انه لابد من انتخاب ١١ عضوا وطبعا فتواك دى علشان تجيب خالد محيى الدين عضوا فى اللجنة التنفيذية العليا . الريس بيقول كده . »

قلت للسادات .. انا نقلت لك ماجرى بينى وبين هيكل والصورة امامك واضحة قبل ان يتصل بك عبد الناصر ، فلماذا سكتَّ عن تصحيح الوقائع التى نقلها هيكل .

رد علىَّ رداً عجيباً ..

قال « انا عادتى كده مع الريس لما يكون ثائرا ما اقدرش أواجهه .. اسايره .. واسكت لما يبأه يهدى اقول له الحقيقة » .

قلت له وانا فى اشد حالات الاستغراب .

غريبة .. لما يهدى .. امتى بعد اسبوع .. بعد شهر .. بعد سنه ، وهل يمكن أن نتفادى ما يكون قد حدث . وقلت فى نفسى كيف يستطيع عبد الناصر ان يحكم حكما صحيحا على الاشياء واقرب المقربين اليه يحجم عن ان يقول له الحقيقة .. بل يخفيها عنه مسايرة واسترضاء له .

كانت هذه حقيقة ، قالها عبد الناصر فى اول اجتماع اللجنة التنفيذية للاتحاد الاشتراكى بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ ففى اجتماع اللجنة فى ٣ اغسطس وكانت فى ذلك الحين مشكلة من الرئيس واعضاء مجلس قيادة الثورة الباقين معه فى الحكم (زكريا محيى الدين ــ انور السادات ــ حسين الشافعى) وعلى صبرى ثم رئيس الوزراء فى ذلك الحين ــ صدقى سليمان .

نقد عبد الناصر نفسه فى هذا الاجتماع نقدا ذاتيا ، ونقد نظام الحكم واسلوبه :

قال عبد الناصر انه من متابعة الاحداث التى جرت اخيرا

وتحليلها بدقة يتبين لنا انه لم يكن لدينا نظام سليم ثم قال .. ان الذى اوصلنا الى هذه الحالة اننا نسكت عن أن نتكلم الحقيقة ، ونرفض ان نقبل النقد ، وان هذا سيؤدى بنا الى مستقبل مظلم .. (محضر اللجنة التنفيذية العليا فى ٣ ، ٤ اغسطس سنة ١٩٦٧) .

وهكذا تتابعت امامى نفس الصورة صورة الهروب من اتخاذ المواقف وانعدام القدرة على المواجهة واختيار طريق النجاة واقتناص الفرصة للوصول ، ايا كان الثمن .

وكانت هذه هى نفس صورة السادات فى علاقاته بزملائه اعضاء مجلس قيادة الثورة .. تفادى اتخاذ أى موقف والتهرب من المواجهة .

واذكر واقعة حدثت عندما كان زكريا محيى الدين رئيسا للوزراء ، فقد دعى اعضاء مجلس الامة الى حفل اقيم فى المحلة الكبرى واظنه كان بمناسبة احتفال بعيد اول مايو ، وعوملوا من قوات الشرطة اسوأ معاملة ، وعادوا فى حالة غضب شديد وقابلوا السادات فاحالهم السادات إلىَّ . واتفقنا على ان يتقدم عدد من الأعضاء باسئلة الى رئيس الوزراء ووزير الداخلية عن هذا الحادث . كان عبد الفتاح حسن (ولا اذكر رتبته العسكرية) وزير دولة فى ذلك الحين ، ويتولى شئون مجلس الامة ، ونقلت اليه الصورة وطلبت منه ان يستعد للرد على اسئلة الاعضاء فى جلسة الغد ، وكان ذلك باتفاق بينى وبين السادات.ولم يستطع عبد الفتاح حسن ان يصمد امام غضبة الاعضاء فى جلسة الرد على الاسئلة ، فشكا الى زكريا محيى الدين بدعوى ان هذا الهجوم كان مخططا .

وفى اليوم التالى طلبنى السادات فى مكتبه وكان معه زكريا محيى الدين وفوجئت به يقول لى :

زكريا متهمك بانك كنت مخططا للهجوم عليه .

عجبت من هذه العبارة وجلست فى مواجهة زكريا محيى الدين

وبدأ في اسئلته وكأنه يتولى التحقيق معي

رفضت هذا الوضع وقلت له انني لا اتحمل عجرفة وزيرة عن مواجهة اسئلة اعضاء المجلس ، وانه كان لابد لى من اتخاذ اجراء لامتصاص الغضبة بين اعضاء المجلس ، واذا كنت لا اقبل التحقيق معى بهذه الصورة فانني لا انتصل من المسئولية

وسكت السادات ولم ينطق بكلمة واحدة فاستأذنت وخرجت

وعدت اليه مرة اخرى بعد خروج زكريا محيي الدين وقدمت استقالتي

وعلمت بعد ذلك انه جرى اتصال مع بعض الفاصلين وتلكوى الموضوع .

هذا مثل من امثلة كثيرة على تنصل السادات من أية مسئولية كان واجبه وهو رئيس مجلس الامة ان يحافظ على كرامة اعضاء المجلس ، ولكنه آثر السلامة ، وآثر ان يلتزم برج الامان الذى شيده لنفسه ، ليعيش فيه لا يغضب منه احد ولا يغضب على احد

واقعة اخرى فقد كان المهندس عبد الخالق الشناوى وزيرا للرى وجرى فى المجلس نقاشا حادا بينه وبين اعضاء المجلس لقصور الرى فى محافظة البحيرة برئاسة محمود ابو وافية بسبب عدم توافر المياه فى الترع وحول مسئوليات تلك الوظيفة ، وكان عبد الخالق الشناوى من الشخصيات التى تحتفظ بكرامتها فلم يقبل بعض الالفاظ الجارحة التى وجهت اليه من محمود ابو وافية وغيره من الاعضاء الذين شجعهم محمود ابو وافية على مهاجمته فهاجم هؤلاء الاعضاء هجوما مريرا ، وتصاعد الامر الى اقصاها ، وبدلا من ان يستخدم السادات سلطاته كرئيس للمجلس فى وقف مثل هذا الهجوم المتبادل ، وفى حذف الالفاظ الجارحة من مضبطة المجلس ، او برفع الجلسة ليصفى الخلاف بين الجانبين فاذا به يعلن انه سيرفع الامر الى رئيس الجمهورية

كان قرارا عجيبا وغريبا ، فما دخل رئيس الجمهورية في مثل هذا

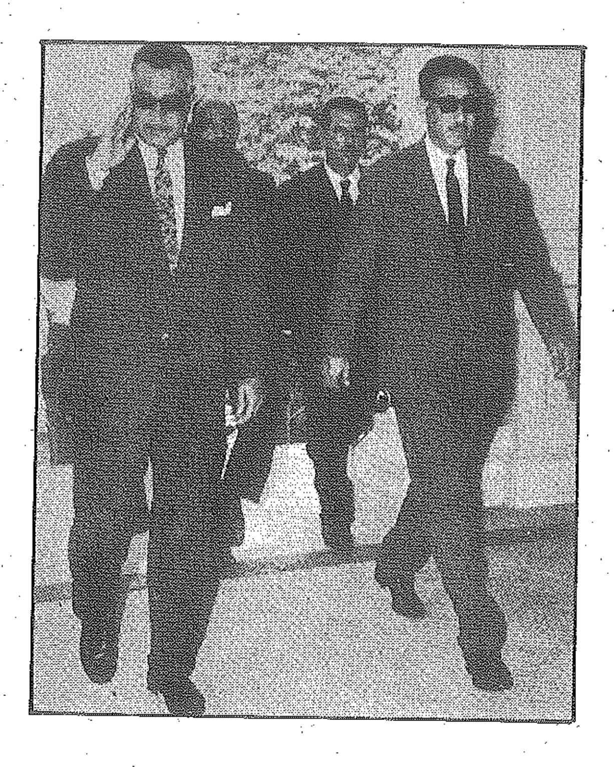
الموضوع . والمجلس يملك ان يستجوب الوزير ويسحب الثقة ما دام الخلاف قد استحكم بينه وبين الوزير .

ولكن السادات كعادته ، لايريد ان يتخذ موقفا قد يحسب عليه او قد يحاسب عليه ، وقد تناولنا فى مناسبات اخرى بعضا من هذه المواقف _ اذا كان لنا ان نصفها بالمواقف من باب المجاز .

ويذكرنى كل ذلك بقصة طريفة ، فقد دخلت على السادات مرة فى مكتبه بمجلس الامة ، وكان ذلك بعد حرب ١٩٦٧ فوجدته مع مندوب للاذاعة يسجل بصوت جهورى ومنغم وبعد انتهاء التسجيل وانصراف المندوب قال لى لقد اردت ان ابدل الشريط الموجود فى ارشيف الاذاعة بصوتى يوم اعلان نجاح الثورة صبيحة يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ لان صوتى كان فى هذا اليوم خافتا ومترددا والقصة لاتحتاج لتعليق .







عامر وعبد الناصر ـ الصراع الذى هرب منه السادات

الفصل الثالث

السادات يهرب من مواجهة عبد الحكيم عامر وعلى صبرى

في الاعداد لجلسة اداء اليمين الدستورية ـ بعد ان وافق الشعب في الاستفتاء على اختيار عبد الناصر ـ قال لي السادات انه يريد ان يكون خطابه في هذه المناسبة متميزا عن أي خطاب ألقاه قبل ذلك .

أعددت له الخطاب ، لم تكن الكتابة عن عبد الناصر صعبة ، ولكن الجديد كان قصة عبد الناصر مع الديمقراطية ، وكيف اختلف مع الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار في ٢٧ يوليو ١٩٥٢ ، بعد نجاح الثورة بأيام قليلة ، حول أسلوب الحكم الذي يتعين ان تلتزمه الثورة : الديمقراطية أم الديكتاتورية .

واحتوى الخطاب على دفاع عبد الناصر عن الديمقراطية في هذا الاجتماع ، وكيف ترك الاجتماع بعد أن صوت جميع الأعضاء في صف الديكتاتورية قائلا لهم : انني مستقيل ولكن آخر كلمة أقولها لكم « أن الطريق الذي يبدأ بالدم لابد ان ينتهي بالدم »

وانتهت مراسم جلسة أداء اليمين الدستورية وبارح عبد الناصر مبنى المجلس .

ورأيت بعد ذلك منظرا مثيرا ، فقد وقف عبد الحكيم عامر مع السادات بعيدا ، ووجهه محتقن وهو يشوح بيديه ثم ينصرف مسرعا من مبنى المجلس .

ثم دخلت على السادات في مكتبه فوجدته في حالة فزع وتهالك قال :

ـ لقد هددني عبد الحكيم عامر .. ياريتني ما قلت هذا الخطاب .. عبد الحكيم غاضب ولن يحضر حفل أم كلثوم .. (وكان المجلس قد أعد حفلا كبيرا في قاعة جمال عبد الناصر في جامعة القاهرة احتفالا بهذه المناسبة في مساء نفس اليوم)

وكفاية تهنئة السادات .. انا رايح بيت ابو الكوم ولن أعود منها ابدا

قلت : كيف تذهب الى بيت ابو الكوم وانت صاحب الدعوة الليلة ؟ هل نلغى الحفل ؟!

قال انا ما اقدرش أواجه عبد الحكيم بعد الانفصال (أبعد ان المواجهة مرة اخرى) قلت له اتصل بعبد الناصر قال لى حاتصل بيه من البيت

وانصرف السادات من المجلس

لم يتوقف عن الاتصال بى تليفونيا : انا مش عارف اتصل بالرئيس ولا عبد الحكيم .. كان يستطيع ان يذهب الى منزل الرئيس ويواجهه .. او يذهب الى بيت عبد الحكيم ويواجهه .. ولكنه لم يفعل .. اشعرنى فى احاديثه اننى المذنب

كان الوقت يمر بسرعة وكنت اعرف ان عبد الحكيم كانت له بطانته ، ومن بينها عضوان فى مجلس الامة كانا صديقين لى ، كامل عبد الهادى ومحمد عبد الصمد محمد ، من اعضاء المجلس عن محافظة عبد الحكيم (محافظة المنيا)

أخذت سيارتى وذهبت الى منزل كامل عبد الهادى فى الدقى ، وطلبت منه ان يصطحبنى الى بيت عبد الصمد وهو فى الدقى ايضا فلم نجده .. فقلت لكامل عبد الهادى اننى اريد بأى صورة ان اقابل المشير لأمر هام جدا

وتوجهنا الى منزل المشير فى الدقى ولم اكن قد زرته فى حياتى .

كان المشير يستريح بعد ان تناول غذاءه وانتظرت فى الصالون الكبير ، وانا اتحسب لهذه المقابلة ، تمت او لم تتم ، ألف حساب .

وخرج الى كامل عبد الهادى يدعونى الى الدخول على المشير فى غرفة ملحقة بالصالون وتركنى مع المشير وخرج الى الصالون الكبير ..

كان المشير شخصية لها طبيعتها الاجتماعية ، يمكن ان تقبل

عليه من اول لقاء ، وترتاح الى الحديث معه ، وهو بشوش دائما ومنطلق بلا عقد . قابلته قبل ذلك وسافرت معه مرة فى زيارة لليمن للمشاركة فى الدراسات التى تجرى لتنظيم دولة اليمن بعد الثورة ..

بادرنى عبد الحكيم قائلا انا عارف انت جاى ليه .. جمال عارف وانا عارف وكلنا عارفين انك انت اللى بتكتب خطب السادات .. قلت له يا سيادة المشير علشان كده انا جايلك ...

حدثنى عن السادات ولا اسمح لنفسى ان أقول ما قاله لأننى لا استطيع ان استشهد به فهو فى رحاب الله .. واكتفى بالقول أن الحديث كله كان يدور على انه هو الذى أشرك السادات فى الثورة وفى تنظيماتها وان اغلب زملائه كانوا يعارضون انضمامه الى اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار بسبب ماضيه فى خدمة السراى وفى خدمة النازى ثم قال : وأنا عارف السادات مجاش ليه ..

واستدرك قائلا لازم انت لسه ما اتغدتش

فقلت ضاحكا : باين لاحاتغدى ولاحاتعشى بعد كده ..

وانتهى الحديث بأن وعدنى بأنه سيحضر الحفل وانه سيتصل بجمال لاصطحابه الى الحفل .

وخرجت من عنده الساعة السادسة مساء لأزف البشرى الى السادات ، ولاتوجه بعد ذلك الى جامعة القاهرة لأشرف على الاستعدادات للحفل .

مرة أخرى .. تتأكد طبيعة السادات فى انعدام المواجهة .

وننتقل الى حدث اخر يتصل ايضا بعبد الحكيم عامر

حدث عندما احتدم الصراع بين عبد الناصر وعبد الحكيم عامر بعد هزيمة ١٩٦٧ ، انني فوجئت بالسادات يرسل الى منزلى إحدى سياراته فى الساعة السادسة صباح يوم كان مقررا ان تعقد فيه جلسة للمجلس فى الساعة السادسة مساء وذلك لأوافيه على وجه السرعة فى منزله فى الهرم .

وفى منزله فى الهرم وجدته فى حالة هلع شديد ـ وكانت هذه حالته كلما واجهته مشكلة من المشاكل ـ قال لى :

عبد الحكيم مصمم يحضر جلسة النهارده ويتحدث الى اعضاء المجلس .. وانا لا استطيع ان اواجه عبد الحكيم أو امنعه من الكلام ، فقد يعتدى علىّ ، ودا فى حالة جنون .. قد يقتلنى لو منعته ..

كان يتحدث الىّ وكأنه يتحدث الى نفسه من فرط خوفه وهلعه .

وكان عبد الناصر فى هذا الوقت فى الاسكندرية اوبرج العرب لا اذكر .

هدأت من روعه وقلت له اننى سأذهب مباشرة الى المجلس ، وسأتصل بالاذاعة لتذيع فى جميع نشراتها تأجيل جلسة المجلس اداريا ، ولن يعود موظفو المجلس بعد الظهر ، وسأتفاهم مع الصحفيين على عدم الحضور .

لم يتركنى الابعد ان اطمأن على ان الاعلان الذى ستذيعه الاذاعة سيكون صادرا عنى وليس عنه .

جاء بعض الاعضاء والصحفيين ليسألونى عن السبب فقلت لهم اننى لم اجد من الاعمال ما يستحق أن تعقد من اجله جلسة للمجلس ، فأجلت الأعمال الى الاسبوع المقبل حتى تكون بعض اللجان قد أنجزت اعمالها .

ولم يجتمع المجلس فى هذه الليلة ولم يتوقف السادات عن الاتصال بى طوال اليوم وحتى المساء ، ومرت الأزمة بسلام ، وعلمت بعد ذلك ان السادات أفهم عبد الحكيم ان هذا التدبير قد تم باتفاق بين عبد الناصر وبينى وانه لايعلم عنه شيئا وانه سيحقق معى فى هذا التصرف .. ونستطرد الى حدث اخر .

ففى اعقاب انتخابات الاتحاد الاشتراكى العربى فى ١٩٦٨ واجتماع المؤتمر القومى العام واختيار لجنته المركزية ، اجتمعت اللجنة المركزية لانتخاب لجنتها التنفيذية العليا ودارت مناقشة

حول هذا الموضوع ، كان من رأى بعض الاعضاء أن يختار عبد
الناصر اعضاء اللجنة التنفيذية العليا ، ولو بصفة مؤقتة حتى يتم
التعارف بين أعضاء الهيئة المركزية ويصبح من الممكن لهم من
خلال العمل والممارسة اختيار القيادات التى تتولى مثل هذه
المسئولية ..

وأصر عبد الناصر على اجراء الانتخابات ، واخذ يتصل بأمناء
المحافظات ليستطلع آراءهم ، كانت الانباء تتردد حول ما أبلغه
أمناء المحافظات من مطاعن كثيرة على السادات ([illegible] من
الخوض فيها) واعتراض بعضهم على ترشيحه .. واخذت
الاجتماعات الطويلة والاتصالات تجرى وكان مقر الاتحاد الاشتراكى
كخلية النحل وجاء يوم الانتخابات
وظهرت نتيجة الانتخابات فاذا على صبرى يحرز اكبر
الأصوات ، ويسبق السادات فى الترتيب [illegible] وحسين
الشافعى [illegible] ، ويليه فى ترتيب الأصوات عبد
المحسن ابو النور ولبيب شقير وضياء داود .

[illegible] السادات فى هذه الليلة ، واتصلت بعلى صبرى [illegible]
السادات مبكراً فى صباح اليوم التالى [illegible] .. وذهبت
الى منزل السادات فاذا به يحزم أمتعته

قال إننى ذاهب الى ميت ابو الكوم وسأقيم هناك .. ويكفينى ما
اصابنى من مؤامرات على صبرى

حاولت ان اهدىء من ثائرته على قدر ما أمكننى [illegible] ان
الأمور لا تعالج بهذه الطريقة الآن فى ظروف حرب لا تحتمل مثل هذه
الخلافات ، ولماذا لا تواجه الرئيس بما جرى ، ولماذا لا تواجه على
صبرى نفسه ، ان المواجهة ضرورية وهى كفيلة بحل المشاكل و
الخلافات

قال إننى لن اواجه احدا

طلبت منه ان يتريث بعض الوقت [illegible] وأن يقابل عبد الناصر

سيتدخل فى الموضوع .

وعدت الى الاتحاد الاشتراكى وقابلت على صبرى ، ونفى نفيا حاسما انه تدخل فى الانتخابات ، وقال إنه إقتصر على تزكية ضياء داود لتطعيم اللجنة التنفيذية بعناصر جديدة .. وطلبت منه أن يزور السادات فى منزله فوعدنى بذلك .

ومر يوم وآخر وانا احاول تهدئة السادات . ووجدت نفسى مرة اخرى تحت الحاح السيدة حرم السادات أن اطلب مقابلة عبد الناصر .

نقلت اليه صورة الحياة فى هذه الأيام فى منزل السادات فضحك ضحكة طويلة .. وقال لى انه احيانا يحسد السادات على وجودى الى جانبه ..

قلت له لقد طوقتنى ياسيادة الرئيس بأفضالك (وكان قد منحنى وسام الاستحقاق من الدرجة الاولى فى اعقاب إعادة انتخابه رئيسا للجمهورية) وسأظل فخورا بهذا الوسام الذى منحته وانا مازلت فى مقتبل عمرى ٤٥ عاما .

وعدنى عبد الناصر بانه سيعالج الأمر بمعرفته ويمكننى ان اطمئن السادات على ذلك .

وعالج عبد الناصر الأمر ، بالالتزام فى تحديد اسبقية اعضاء اللجنة التنفيذية العليا ، بأقدمية اعضاء مجلس قيادة الثورة ، وكان منظرا طريفا عند اجتماع اللجنة المركزية ، السادات وحسين الشافعى يتزاحمان كتفا بكتف خلف عبد الناصر عند صعود اعضاء اللجنة التنفيذية العليا الى منصة الرئاسة .









عبدالناصر يداعب أبناء السادات فى زيارة لمنزله عام ١٩٦٢

الفصل الرابع

عبد الناصر يتنازل والسادات يعد غرفة العمليات

مازلت لا أفهم كيف عاش السادات أيام الهزيمة حياته العادية ، وهو مطمئن كل الاطمئنان ، لاتبدو عليه أية انفعالات أو احـزان ، مما كانت تعتصر قلوبنا جميعا . أرسل باسرته الى ميت ابـو الـكوم وظل وحده فى منزله بالهرم ، وفى الليلة السوداء ليلة ٦ يونيو ، صمم على الا اتركه وحده فى منزله ، وكانت هذه الليلة من الليـالى التـى فرض فيها الاظلام الكامل ، وحظر سير السيارات فى الطرق ائعامة ليلا ، لم ابال بهذا ، وقدت سيارتى الى منزلى لاطمئن على اسرتى ثم عدت الى منزله تحت الحاحه الشديد .

كانت جروحنا جميعا دامية ، ولكنه امر بأن تعد مائدة العشاء ، وكان الطبق الرئيسى زوجا من الدجاج ـ قال انه جاء به من البلد ـ واخذ يأكل بشهية عجيبة ، حتـى كاد يـأتى على دجـاجة مـن الدجاجتين الكبيرتين ، وهو يلح علـىّ فى الأكل ، وانا ارفض فقـد فقدت شهيتى للأكل بل حتى شهيتى للحياة ..

لم انم ليلتها فقد اثقلتنى آلام نفسـية شـديدة ، وفى الصـباح ارتديت ملابسى ، ودخلت عليه فى الحجـرة ، فـوجدت ان المدلك الذى يدلكه كل صباح يباشر عملية التدليك كعادته ، ليحلـق دقنه بعد ذلك ثم ليباشر رياضته ، وياخذ حمامه الساخن او البـارد ـ لا ادرى ـ ويستعد بعد ذلك لتناول وجبة الافطار .

لم يغير نمطا واحدا من انماط حياته ، وكأن الاحداث الخـطيرة التى تمر بها البلاد لا تعنيه فى كثير او قليل .

ألح علـىّ أن انتظر لتناول الافطار ، ولكننى تناولت فنجانا مـن الشاى وانصرفت ، على وعد بان اعود ، وأعتذرت بكل الاسباب بعد

ذلك عن اجابة دعوته ولم اره الا في مساء ٩ يونيو .

تذكرت هذه الواقعة وانا أقرا ما كتبه ـ او كُتِبَ له ـ في كتاب « البحث عن الذات » وهو يصف نفسه بعد هزيمة ٥ يونيو :

« ....لم اكن اعرف ماذا أفعل بنفسي ...كنت معتادا على ان اخرج للمشي اربعة كيلو مترات يوميا ..ولكن بعد ٥ يونيو كنت اسير وحسب ..لم اكن ادرى كم من الزمن اسير ... عشرة كيلو مترات ، او اقل ، لا اعرف فقد استولى على ذهول غريب لم اكن استطيع معه ان اتبين الزمن او المسافات او حتى المكان نفسه في بعض الاحيان .(ص ١٩٠) .

وما ابعد القول عن الحقيقة في كل ما قال وكتب السادات :

وفي يوم ٩ يونيو وكانت جروحنا جميعا تنزف نتيجة الهزيمة ، اتصل بي السادات تليفونيا وطلب منى الحضور الى منزله في الهرم لاسمع خطاب عبد الناصر معه .. قلت له انني عازف عن الخروج ولكنه الح عليَّ في الحضور .

وسمعت معه خطاب عبد الناصر الذى اعلن فيه تنازله عن رئاسة الجمهورية ، وفاجأني قبل انتهاء الخطاب بانه كان مع عبد الناصر ظهر اليوم وابلغه بفحوى الخطاب ونبه عليه بعدم افشاء ذلك لأحد .

قلت لقد كنت معك قبل الخطاب وتحدثنا عن كل شيء .. كان يمكننا ان نتناقش وان نتحاور وان نتساءل وماذا بعد التنازل .

ولكن غلب عليه طابع التكتم واسلوب العمل السرى والتزام التعليمات .

وتوقف عقلي عن القدرة على التفكير لم اقل الا عبارة واحدة .. هذا يعني امرا واحدا هو تصفية الثورة ..

سألته : ماذا انت فاعل؟ .. قال : لا ادرى .

اعتقدت ان عبد الناصر أسرَّ له بذلك ليتدبر الامر ، وهو رئيس لمجلس الأمة ، اذا استقال رئيس الجمهورية وجه كتاب استقالته اليه وفقا لاحكام الدستور ، ولكنني ، لم اسمع منه اية اجابة .

انتصبت واقفا لأودعه .. سألني اين انت ذاهب .. قلت بلا وعى : الى المجلس .
قال : خذني معك .

كان يلبس قميصا وبنطلونا وصندلا فى قدميه .. ملبس المنزل .

ركعب معى سيارتى وكنت اقودها بنفسى وكانت الجماهير قد بدأت تزحف الى الشوارع تنادى عبد الناصر بالبقاء .. قدت السيارة بكل صعوبة حتى وصلت الى بداية شارع القصر العينى ، اضطرت الى الانحراف يمينا فى شارع المواردى حتى وصلت الى شارع المبتديان ثم اول شارع نوبار واستحال علىّ بعد ذلك قيادة السيارة فقد غطت الجماهير الطريق امامنا .

تركت السيارة فى الطريق ، وترجلنا بكل صعوبة حتى وصلنا الى الابواب الخلفية للمجلس ، حيث كانت الجماهير تسد المنافذ الى ابواب المجلس فى شارع مجلس الامة .

واتصلت فور وصولى الى المجلس بالاذاعة لتذيع خبر الدعوة لعقد جلسة المجلس فى الساعة العاشرة مساء .

واخذت احاول ان استجمع شتات فكرى ، فقد كنت فى غاية الانفعال ، وضنَّ فكرى على حتى بالكلمة ، وامتلىء مكتبى على سعته بالاعضاء ، وغير الاعضاء وكان من بين من توافدوا أختى الدكتورة لطيفة الزيات التى اعتقلها السادات فى حملته الارهابية فى ٣ سبتمبر ١٩٨٣ ليضمن ان بيتنا قد اغلق نهائيا (بالضبة والمفتاح كما كان يقول) ومعها زوج اختى صفية الدكتور محمد على الخفيف الذى قال السادات عندما علم بموته فى ابريل ١٩٧٢ :

« لقد سبقنى الموت اليه ، ولو عاش لانتقمت منه اقسى انتقام »
وكانت جريمة الخفيف التى لم يغتفرها السادات ، انه وقف ، قبل وفاته بايام ، فى اللجنة السياسية فى الاتحاد الاشتراكى فى مواجهة سيد مرعى ، ليكشف عن اتجاهات الردة التى بدأت ، وكأنه كان يستشرف ، وهو قريب الى الله ، ما جرى لوطنه ـ الذى

وهب حياته من أجله _ بعد ذلك .

جلسنا نحن الثلاثة ، الخفيف ولطيفة وانا ، فى حجرة جانبية لمكتبى وانتهينا الى اعداد مشروع القرار « نحن نقول لا لعبد الناصر » .

أما السادات فقد كان فى مكتبه يعد حجرة جانبية ملحقة لتكون غرفة عمليات _ كما أسماها _ نصب فيها سريرا واستكمل فيها وسائل الراحة ، واستحضر ملابسه الانيقة على عجل من منزله ، واستعد ولا ادرى لماذا استعد ... (وهو وحده الذى يعرف لماذا استعد . وقد تكون هناك جهات اخرى _ لا أعرفها _ أوعزت اليه بان يستعد واجتمع المجلس على ضوء الشموع ، فقد كانت حالة الظلام الكامل معلنة ، وتلوت بنفسي القرار ووافق عليه المجلس واخذت الاذاعة تذيعه تباعا .

واثار القرار مرة اخرى حفيظة عبد الحكيم عامر ، فقد كان ينتظر ان يتضمن القرار دعوة المجلس له بالعدول عن الاستقالة ، رأسا برأس مع عبد الناصر ، وكان قد اعلن استقالته فى الاذاعة بعد تنحى عبد الناصر .

وتتابعت الأحداث بعد ذلك وعدل عبد الناصر عن استقالته ..

وتفجر الصراع بين عبد الناصر وعبد الحكيم عامر ، وكانت زيارات عبد الحكيم عامر للسادات خلال فترة الصراع هذه لا تنقطع .

سألته مرة عما يتحدث عنه عبد الحكيم قال ان عبد الحكيم يتحدث عن اعادة تنظيم القوات المسلحة ، وله رأى حول التركيز على القوات الميكانيكية (اى القوات المحمولة وليست المشاه حسب مافهمته وانا لا ادعى الفهم فى المسائل العسكرية) ..

وأضاف السادات : وأنا أجاريه ..

قلت له الا يعلم عبد الحكيم ان عبد الناصر قد فوض تفويضا كاملا من مجلس الامة باعادة تنظيم القوات المسلحة ..

قال لى .. انا عارف .

ويمكن لى القول الان ، مع استقراء احداث ذلك الوقت ، ومع متابعتها بعد ذلك ، ومع استخلاص اسلوب السادات ، ان الفرصة قد واتته ليجمع كل المعلومات عن تحركات عبد الحكيم فى ذلك الحين ، ونقلها الى عبد الناصر .

كان اسلوبه ان يبقى على علاقات طيبة مع الاثنين ، ليضمن المستقبل ، فقد كان امامه سابقة الصدام الذى حدث بين الاثنين ، فى اعقاب انفصام الوحدة بين مصر وسورية ، وخروج عبد الحكيم منتصرا من هذا الصدام .

وايا كانت النتيجة فسيكون على خير ووفاق مع من ينتصر ..

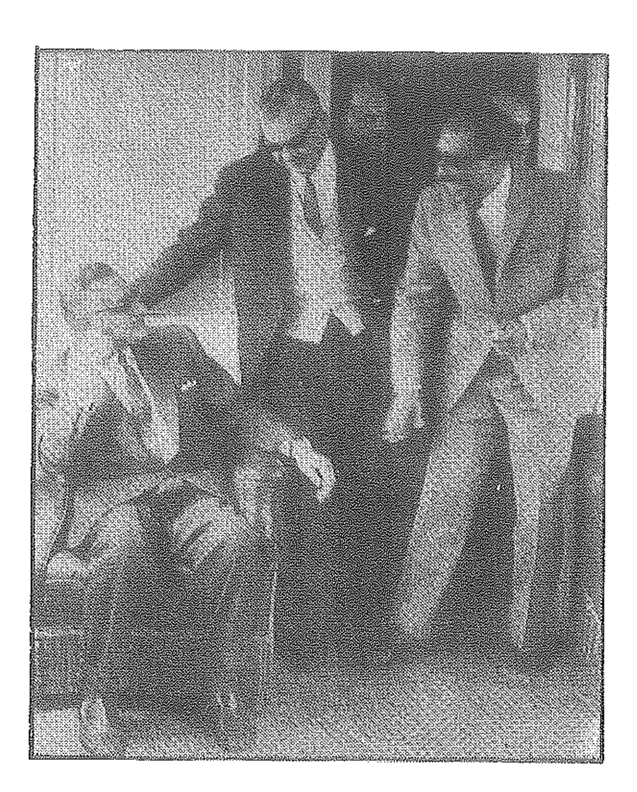
كان الواجب يدعوه ان يحاول اقناع عبد الحكيم بأن يبقى بعيدا عن الجيش ، ويترك المسئولية كلها لعبد الناصر ، ولكنه سكت عن هذا .. اقتناص الفرص ، والارتباط بالمنتصر ، ايا كان المنتصر .

وعندما انتهى الصدام الى المقابلة الاخيرة بين عبد الناصر وعبد الحكيم فى منزل عبد الناصر ، وقرار عبد الناصر بفرض الاقامة الجبرية . على عبد الحكيم ، وخروجه من المنزل فى رفقة الفريق محمد فوزى . كان على باب الخروج زكريا محيى الدين وحسين الشافعى والسادات ، وركز عبد الحكيم كل شتائمه وسبابه على رأس السادات وحده ..

وسألنى السادات بعد ذلك ، انا لا اعرف لماذا اختصنى عبد الحكيم بهذا الهجوم وقد كنت اقرب المقربين اليه .. سألنى ولديه الرد على سؤاله .

وبعد ذلك زاد السادات قربا الى عبد الناصر واصبحت زيارة عبد الناصر لمنزل السادات تكاد أن تكون منتظمة .

وسألت نفسى بعد ذلك .. الم يكن هذا من بين الاسباب التى حملت عبد الناصر على اختيار انور السادات نائبا لرئيس الجمهورية ؟.



البكباشي « صح » يضحك عبد الناصر الذي لا يضحك

الفصل الخامس

العلاقة بين عبد الناصر والسادات

بعد صدور الميثاق سنة ١٩٦٢ ، واختيار الحل الاشتراكي طريقا للتطور الاقتصادى ، تسابق السادات مع غيره من القيادات ، ليحظى عند عبد الناصر بصفة الاشتراكي .

كانت تصيبه الغصة ، عندما يردد عبد الناصر امامه ، انه ليس حوله من اشتراكي غير على صبرى . كنت امينا عاما لمجلس الامة وكان السادات رئيسا للمجلس ، وانا اؤمن بالاشتراكية قبل الميثاق وبعده ، وقبل السادات وبعده ، لم يتغير قط ايماني بالاشتراكية ، وكان السادات رئيسا لمجلس الامة فى عهد عبد الناصر ، فى عهد ينادى فيه عبد الناصر بالاشتراكية ، واذن فليتلقف كل كلمة أكتبها تمجيدا او تحبيذا للاشتراكية ، وليفهمها ويتغنى بها ، واذن فليطلب منى المزيد ، مادام ذلك السبيل الى التقرب من عبد الناصر .

هكذا عشت مع السادات طوال ما يقرب من سبع سنوات وهو رئيس لمجلس الامة ، وهو امين للجنة السياسية فى الاتحاد الاشتراكي ، وعضو اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي العربى ، كتبت عشرات الخطب التى القاها فى مصر والخارج .

وجاء الى القاهرة « ادوارد كاردل » فى اول زيارة لمصر ، كان رفيقا للرئيس تيتو فى حرب التحرير ، ورئيسا للجمعية الوطنية اليوجوسلافية ، وكان الى جانب ذلك المنظم للسياسة اليوجوسلافية ، وعلى وجه خاص لسياسة التسيير الذاتى ، التى تشكل اساس الاشتراكية المطبقة فى يوجوسلافيا . كانت الزيارة تحظى باهتمام كبير من عبد الناصر ، وكان المضيف السادات بوصفه رئيسا لمجلس الامة . وفى حفل كبير . فى فندق سمير

اميس ، اقـــــامه المجلس على شرف « ادوارد كاردل » ، وقف السادات ليرحب بالضيف وبالصداقة المصرية ـ اليوجوسلافية ، وبالرئيس تيتو ، وليتحدث عن الاشتراكية فى الميثاق(والخـطاب مكتوب بطبيعة الحال) .

وفى اليوم التالى جاء السادات الى المجلس بعد مقابلته للـرئيس عبد الناصر مرافقا للضيف ، جاء وهو يكاد يطير من الفرح .. لقـد قال كاردل للرئيس انه استمع امس باهتمام كبير الى خطاب السادات وقد استطاع ان يستوعب الاسس العلمية فى اشتراكية الميثـاق .. وانه قال(للريس) لابد ان السادات كان من بيــن مســتشاريك فى اعداد الميثاق .. فقد كانت كلماته تعبــر عــن ايمــان ثـــابت بالاشتراكية ..

قابلت « ادوارد كاردل » بعد هذا التاريخ بسنوات ، بعد ان تولى السادات رياسة الجمهورية ، واجهض الميثاق واسقطه حتى مــن وثائق التاريخ ، قابلته خلال اشتراكى فى مؤتمر فى يوجوسلافيا .

وكان مراد غالب سفير مصر فى يوجوسلافيا قد استقال احتجاجا على اتفاقات كامب ديفيد ، وتحدثنا طويلا عن الاحوال فى مصر وعن السادات ، كان الرجل حزينا مما يجـرى فى مصر ، ومــازلت اذكر عبارة قالها .. قال « ان الارتداد عن الاشتراكية هو ارتـــداد عـــن الديمقراطية وهو ارتداد عن الوطنية » .. وقد صدق فيما قال .

وقد مات « ادوارد كاردل » منذ عامين وحزنت على الرجل الذى وقع فى مصيدة الخديعة التى وقعنا فيها « الازدواجية المقيتـــة فى شخصية السادات » .

كان الولاء الذى يظهره السادات لعبد الناصر لاحدود له ، بل ما كان عبد الناصر ليجد ولاء عند اى انسان عرفه ، مثل ما توهم مـــن ولاء السادات له ، وعلى طول علاقتى بالسادات لم اســـمعه ســـوى مرددا لكل ما يقوله عبد الناصر ، متحمسا لكل قراراته ، ايا كانـــت هذه القرارات .. والامثلة التى عايشتها كثيرة وشـــاملة ولـــكننى

اكتفى ببعض وقائع ـ بعيدة عن السياسة ـ ولكنها قد تكون فيها الدلالة على صورة الولاء التى كان السادات يريد ان يكون متميزا بها لدى عبد الناصر .

كان لابد ان يزور بيت عبد الناصر صباح كل يوم .خاصة فى السنة الاخيرة لمرضه ، وكان يبادر عبد الناصر بأكلشيه يومى « صحتك يا ريس اهم من كل شيء .. حتى اصبح يطلق عليه من اسرة عبد الناصر ومن كل من فى منزل عبد الناصر ، عند وصوله الى منزل عبد الناصر ، « صحتك ياريس وصل » .

اذكر فى ١٩٦٩ خلال المؤتمر القومى العام ، وبعد عودة عبد الناصر من العلاج فى الاتحاد السوفييتى ، وكنت أجلس فى منصة الرياسة الى يسار عبد الناصر بوصفى الأمين العام للمؤتمر ، وكان السادات يجلس مع أعضاء اللجنة التنفيذية العليا فى الصف الأول من القاعة .

ورغم مرض عبد الناصر فقد بعث الحياة فى مناقشات هذا المؤتمر ، وكان اول مؤتمر يعقد للاتحاد الاشتراكى .

كان من طبيعة عبد الناصر ان تلمع عيناه ، ويشع وجهه ، ويتحفز عقله لكل صغيرة وكبيرة ، خلال مناقشة اى امر من الامور ، وكان مستعدا دائما خلال مثل هذه المناقشات ان يتحدى وان يقبل التحدى وان يحاور وان يتحاور .

كانت جلسات المؤتمر تطول بالساعات ، وهو يتحامل على آلام ساقه اليسرى المصابة ، ويحاول ان يسكن الالام المتزايدة بتدليكها بيده اليسرى ، ويحافظ على حضور عقله وفكره وكل خلجة فى نفسه الحضور الكامل ، لتأخذ مناقشات اعضاء المؤتمر وتعليقاتهم غايتها كاملة ـ بلا ملل او ضيق من جانبه ..

ولم يكن يشغل السادات وهو جالس فى الصف الامامى الا ان يرسل لى ـ لا ابالغ اذا قلت كل خمس دقائق ـ بورقة « قول

للريس ، انور بيقول لك كفاية » ..

عرضت ورقة واثنين وثلاثة على عبد الناصر ولكن اوراق السادات اخذت تتكدس امامى وهو يشير على بأن اعرضها ، اخذت تتكدس حتى تجاوزت أوراق الاسئلة والاستفسارات وطلبات الكلام من الاعضاء .

واسرع السادات الى عبد الناصر وهو فى طريقه الى الخروج من قاعة الاجتماعات « انا بعت لك الف ورقة يا ريس علشان صحتك ، والزيات ما عرضهاش عليك .. رد عبد الناصر : الزيات عرضها .. »

وحدث ان حدد لى السادات موعدا للقائه فى منزله فى الجيزة ظهر احد الايام فى الاشهر القليلة الاخيرة من حياة عبد الناصر ، وانتظرته فى المنزل فلم يصل الا بعد الساعة الثانية بعد الظهر .

قال اعمل ايه ... اكل الريس .. الدكاترة الروس واضعين اكل الريس « رجيم صعب » وبيتصلوا من موسكو يوميا للتأكيد على ضرورة التزام الرئيس بهذا النظام .. انا وجدت اضمن شىء أن اشرف على تحضير اكل الريس ...

النهاردة طبخت الريس رز ... هو بيحب الرز ولكن ممنوع منه علشان النشا .. الله يستره عبد الله (يقصد عبد الله المبارك الصباح) احضر لى ارزا خاصا من ايران خال من النشا .. الريس كان مبسوط قوى النهاردة علشان اكل رز .

اى صورة من صور الحب والولاء والصداقة والتقدير والاعزاز والاحترام ،كان يمكن ان يلقاها عبد الناصر ، اعظم واروع من هذه الصورة ، وعلينا بعد ذلك ان نتابع ما جرى بعد ان تهيأت الفرصة للسادات ليكشف عن صورته الحقيقية ، علينا ان نتابع ما جرى ، لنحكم على الفارق بين ظاهر الصورة وباطن السريرة ..

ونكتفى الان بالاشارة الى واقعة حدثت ونحن فى وزارة عزيز صدقى بعد ان نحانى السادات عن مركز السكرتير الأول للجنة المركزية وعيننى نائبا لرئيس الوزراء . فقد شكلت فى ذلك الحين

لجنة السياسات برئاسة عزيز صدقي وعضويتي وعضوية وزير الداخلية ممدوح سالم ووزير الحربية محمد صادق ووزير الاعلام عبد القادر حاتم ووزير الخارجية مراد غالب ، وفي اجتماع من اجتماعات هذه اللجنة أشار عزيز صدقي الى ان السادات توقف عن الاشارة الى الاشتراكية في خطبه وأحاديثه ، وان هذا يحمل معاني تفسر بما قد لايقصده السادات نفسه ، وان علينا ان ننقل هذه الصورة للسادات ، كما اثير في هذا الاجتماع اقتراح باقامة تمثال لعبد الناصر على القاعدة الخالية في ميدان التحرير ، وقد أيدت عزيز صدقي في كلا الموضوعين .

وما كدت أصل إلى منزلي بعد ظهر هذا اليوم ، وبعد إنفضاض إجتماع اللجنة بما لايزيد على النصف ساعة ، حتى تلقيت مكالمة من السادات حمل فيها حملة ضارية على ما قيل في اللجنة مؤكدا ان على كل واحد منا ان يعرف حدوده ولسنا نحن الذين نرسم له السياسة التي يسير عليها كما أبدى امتعاضه الشديد من فكرة تمثال لعبد الناصر ورفضه لها رفضا قاطعا ...

لم اعرف كيف وصلت الاخبار بهذه السرعة الى السادات ، ولكنني تبينت بعد ذلك ان احد الوزراء البارزين ، كان مكلفا بأن يقدم تقارير شفوية ومكتوبة للسادات ، وكانت كلها تنتهي بلفظ « أفندم » وهو الأكلشيه المعروف في التقارير المباحثية ..

وكان اخر لقاء لي مع عبد الناصر ، خلال جلسات المؤتمر القومي الذي عقد في يوليو سنة ١٩٧٠ ، وكنت امينا عاما لهذا المؤتمر ..

كان من عادة السادات ان يذهب مبكرا الى بيت عبد الناصر ليكون في رفقته في طريقه الى جلسات المؤتمر ..

وفي يوم من ايام المؤتمر جاء عبد الناصر وحده ، واخذني معه وهو في طريقه الى الصالون الملحق بقاعة الاجتماعات ، وسألني فين انور ...

أجبته بانني لم اره اليوم فقد كنت مستغرقا تماما في اعمال

المؤتمر ..

فكان رده ... « ازاى سبته .... (اوعى تسيبه يازيات .. خليك دائما معاه) .

كانت هذه الكلمات فى حضور القيادات التى اعتادت أن تكون فى استقبال عبد الناصر وفى حضرته ، ومضى عبد الناصر الى رحاب الله قبل ان يمضى شهر على هذه الكلمات .

وترسبت هذه الكلمات فى عقلى وكأنها وصية لى من بعد عبد الناصر .. وكأن عبد الناصر كان يستشرف المستقبل ببصيرته وهو قريب الى ربه .

واشهد الله أننى لم اتنكر لوصية عبد الناصر ، وحاولت ما فى طاقتى ، وما فى قدرة انسان ان يفعله وما فى طاقة بشر ان يتحمله من تنكيل وتشهير ظالم باغ وحرب مشرعة .

حاولت وانا قريب من السادات وانا بعيد عنه ، بالرأى ساندته وبالرأى عارضته .. وبالقناعة وقفت الى جانبه وبنفس القناعة خالفت نزعاته .

كان دليلى حكمة عربية قديمة سمعتها مرات من عبد الناصر « صديقك من صدقك القول لا من صدقك » صديق العلانية وصديق السريرة .

عجبت وانا اقرأ كتاب « البحث عن الذات » الذى كتبه السادات ، او من كتبه للسادات ، وهو يجرد عبد الناصر من مشاعر الحب والصداقة والوفاء .

يقول الكتاب :

« فلم يكن من السهل على عبد الناصر ان ينشىء » علاقة صداقة بمعنى الكلمة مع اى انسان وهو المتشكك دائما ـ الحذر ـ المليء بالمرارة .. العصبى المزاج ..

(ص ١١٤ من البحث عن الذات .)

كذلك لم يكن لعبد الناصر صداقات بالمفهوم البسيط لمعنى الصداقة . اما صداقتي له فكانت تعتمد على قيمة انسانية كبيرة من القيم التي شكلت حياتي منذ الطفولة وهذه القيمة هي الوفاء (١٨٩و ١٩٠ من وصيتي) .

وانا اقول وقد عايشت الاثنين عبد الناصر والسادات ان عبد الناصر احب السادات وانه كان حريصا على هذا الحب ، رغم المطاعن والشكاوى والتقارير التي كانت تصل اليه حول تصرفات السادات وانه حاول ان يبقي على هذا الحب ، وان يحمي السادات من نفسه في كثير من الاحيان . وهناك قصص كثيرة تدلل على ذلك ، حكى السادات قصة منها في كتاب « البحث عن الذات » ، فقد قرر السادات في اواخر الخمسينيات وهو عضو في مجلس قيادة الثورة ان يقدم حديثا اسبوعيا في اذاعة صوت العرب يتلقى عنه أجرا .

يقول السادات في كتاب « البحث عن الذات » في خصوص هذا الموضوع ما يأتي :

سالني عبد الناصر عن احاديثي في صوت العرب .. وقال ان الاذاعة دفعت لي حوالي ٤٠٠ جنيه مقابل تلك الاحاديث ..قلت نعم – .. فعلا حدث .. وإستمر عبد الناصر في كلامه بما يشير الى أن الناس سوف تتكلم وإن كلام الناس كثير ... الخ (٩٤ , ٩٥ من البحث عن الذات) ويحاول السادات في كتابه أن يغطي مثل هذا التصرف بتبرير ما ، بانه كان قد كون جمعية باسم مسجد ميت ابو الكوم ، وان شيك الاذاعة تسلمه صندوق الجمعية كما هو .

وطبيعي ان هذا تبريرا لم يقله السادات لعبد الناصر ، لأنه كما يقول مرارا في كتابه لم يضع نفسه يوما في موقع الدفاع امام انسان .(ص ٩٥)

وقصة اخرى عايشتها ، ففي بداية الستينيات جاء عبد الناصر لزيارة دمياط ، وكان معه السادات ، واقام ليلة في رأس البر في فندق اخترناه ، بعد أن رفض ما عرضه عليه حمدي عاشور ،

وكان امينا للاتحاد القومي لمحافظة دمياط في ذلك الحين ، من المبيت في شاليه لأحد الراسماليين في دمياط ، وحدث خلال وجود عبد الناصر في رأس البر ، ان عرضت عليه بعض التقارير ، ومن بعضها تقرير عن تصرفات مالية خاصة بالمؤتمر الاسلامي ، الذي كان يتولى السادات منصب السكرتير العام له ، والموضوع يتعلق بشيك بعشرة الاف من الجنيهات تبرع بها احد مشايخ الخليج باسم السادات سكرتير عام المؤتمر ، وتراخى إثبات هذا الشيك في حسابات المؤتمر .

وحاسب عبد الناصر السادات حسابا عسيرا ، وارتفع صوته حتى سمعه البعض ممن كان في خارج حجرته في الفندق ، كان من بين ما قاله للسادات :

« يا اخي خلصني بأه .. انت حتقعد عبء عليَّ طول العمر »

سمعت ذلك وكان معي حمدي عاشور ، وبعض افراد من سكرتارية الرئيس ولم يرد عليه السادات في هذه المرة .. الم يكن من عادته الا يضع نفسه يوما موضع الدفاع امام إنسان ! .. ولكن السادات احس بعد هذا الحساب بارهاق شديد ، اضطررنا بعده الى نقله في عربة اسعاف خاصة الى منزله في الهرم ، مع الطبيب الخاص الذي كان يرافق عبد الناصر .

وقيل يومها كما قيل في مرات مماثلة – ان السادات اصيب بازمة قلبية ، والله وحده يعلم هل السادات كان حقيقة مصابا بمرض القلب .

لم يشر السادات في كتاب "البحث عن الذات" الى هذه الواقعة ولكنه اشار الى انه في تاريخها اي سنة ١٩٦٠ « شعر ان عبد الناصر قد بدأ يأخذ موقفا مني ربما نتيجة لوشايات مغرضة وصلته – فقد كانت لدية عادة الاستماع الى الوشايات .. اللهم اني كالعادة في مثل هذه الأحوال كنت أيضا آخذ موقفا منه فاعتكف او

ابتعد عنه الى ان يعود الصفاء الى نفسه فيتصل بى ... وتزول الجفوة (ص ١٦٩) .

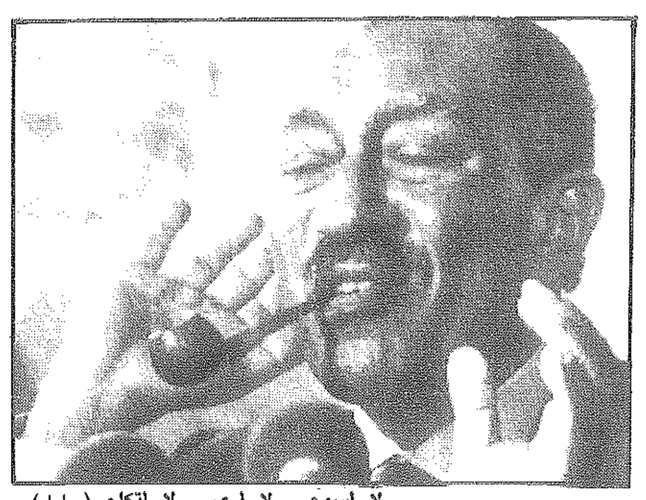
وكأن الاعتكاف أو الابتعاد هو موقف ، وليس هروبا من المواجهة او انعدام المواجهة .

مرة ثالثة يتكرر حدث مماثل ، وتأتى روايته خلال وقائع قصتنا عن زيارة السادات لأمريكا فى سنة ١٩٦٦ ، وهو الخاص بالشيك الذى ادعى السادات إنه منحة من الشيخ (الأمير) عبد الله المبارك الصباح بعشرة آلاف دولار صرفها السادات من بنك بلجيكا .

وفى هذه المرة ايضا لم يضع السادات نفسه موضع الدفاع امام عبد الناصر أو غيره من الناس ولكنه مضى الى ميت ابو الكوم ، ليعتكف فيها بدعوى المرض .

وتأتى بعد ذلك قصة المنزل الفخم الذى يقع على النيل ، الذى يملكه اللواء الموجى والذى استجاب السادات لأطماع السيدة حرمه فى تملكه ووضع اللواء الموجى تحت الحراسة فى غيبة جمال عبد الناصر عن مصر ـ ليسهل للسيدة حرم السادات الاستيلاء عليه وعاد عبد الناصر ليعالج هذا التصرف المشين وليعيد للواء الموجى منزله،ويخصص فيلا على النيل فى الجيزة لاقامة نائب رئيس الجمهورية .

وفى هذه المرة استطال الجفاء بينه وبين عبد الناصر وكاد الأمر يعصف به كنائب لرئيس الجمهورية فقد كانت حالته النفسية تنبىء بأنه ينتظر أمرا وإن كان لم يكشف لى عن هذا الأمر ولكن الكآبة التى أحاطت بمنزله فى الهرم فى الفترة التى سبقت وفاة عبد الناصر كانت تنبىء بالكثير .



لا أسمع .. لا أرى .. لا أتكلم (! !)

الفصل السادس

لماذا اختار عبد الناصر السادات نائبا له

تعرضنا فى مناسبات سابقة إلى السؤال الحائر لماذا اختار عبد الناصر السادات نائبا له فى ٢٠ ديسمبر ١٩٦٩ ، وقد تعرض البعض لنفس هذا السؤال الحائر ، وقالوا إن هذا الاختيار كان مؤقتا ، ولمواجهة مقتضيات معينة ، اذ وصل إلى عبد الناصر ، قبل سفره إلى المغرب لحضور مؤتمر القمة العربية فيه ، معلومات تفيد أن هناك مؤامرة لاغتياله ، فلجأ على عجل الى اختيار السادات لهذا المركز ، وأقسم السادات اليمين أمام عبد الناصر فى المطار وقبل السفر مباشرة .

قد تكون هذه الاجابة صحيحة ، وهى تتناسب مع الظروف التى كانت قائمة فى ذلك الحين ، فقد كان السادات أقرب شخص من اعضاء مجلس قيادة الثورة الى عبد الناصر ، وخاصة بعد الهجوم الذى شنه عليه عبد الحكيم عامر قبل انتحاره ، وقد أشرنا إلى ذلك فى موضع سابق .

إلا اننا نستطيع ان نستشف عاملا اخر ، من خلال تتابع الاحداث ، وترابط الوقائع والتسلسل التاريخى ، فخلال الفترة التى جرى فيها اختيار السادات نائبا لرئيس الجمهورية ، كانت إسرائيل قد كثفت مخططها فى اذلال عبد الناصر والحكومة والشعب المصرى الى اقصى درجات الاذلال ، وكان الهدف من ذلك هو اظهار مصر فى مظهر العجز الكامل ، والتعجيل بالتخلص من النظام واجهاض فكرة الاتحاد بين مصر والسودان وليبيا ، التى كان يخطط لها عبد الناصر فى ذلك الحين .

ففى شهرى يوليو وسبتمبر عام ١٩٦٩ بدأ العدو الاسرائيلى يتسلل خلال دفاعاتنا الجوية لضرب اهداف عسكرية واقتصادية فى

العمق المصرى ومنذ اواخر هذا العام بـدأ العـدو فى اسـتخدام طائراته الفانتوم ٤ التى زودته حديثا بها الولايات المتحدة والتـى مكنته من اختراق دفاعاتنا على ارتفـاعات منخفضـة فى ضربـات متلاحقة فى العمق المصرى شملت المصانع والمدارس وغيرها مـن المرافق الى جانب الأهداف العسكرية .

لقد كانت هذه الفترة من اشد الفترات قسوة على عبد النـاصر ، ولم يكن يستطيع ولا كان الشعب نفسه بقادر ، على ان يتحمل مثـل هذا الاذلال المستمر ، ولا مثل هذه الضحايا اليومية .

ولم يكن هناك من حل غير تطوير دفاعاتنا الجـوية والارتفـاع بكفاءاتها وقدراتها وإستعدادها لتكون قـادرة على وقف العـربدة الاسرائيلية فى العمق المصرى . وقام عبد الناصر بزيارة سريـة الى موسكو من ٢٢ ــ ٢٥ يناير سنة ١٩٧٠ لهذا الغرض وقد سمحت لى الظروف ان اطلع على محضر المحادثات التى جرت بين عبد الناصر والقادة السوفيت حول هذا الموضوع .

كان عبد الناصر حاسما ومحددا فى طلباته . وقد تـركزت هـذه الطلبات فى وحدات كاملة من الصواريخ سام ٣ بأفرادها السـوفيت واسراب كاملة من الميج ٢١ المعدلة بطيارين سـوفييت واجهـزة رادار متطورة للانذار والتتبع باطقم سوفيتية . وبرر هذه الـطلبات وغيرها بأن الزمن ليس فى صالحنا لأن تدريب الأطقـم المصريـة والطيارين المصريين على الأسلحة الجديدة سوف يسـتغرق وقتـا طويلا .

وإنتهى عبد الناصر الى القول :

ليس امامى الا خيارين ، اما ان توافقوا على طلباتى كاملة ، واما ان اعود الى مصر وأواجه الشـعب المصرى بـالحقيقة . سـأقول لجماهير الشعب ان الوقت حان لأن اتنازل لرئيس يـكون مـواليا لأمريكا ، فانا لم استطع حمايتهم ، وعلى هذا الشـخص ان يتـولى ذلك .

ان لدى من الشجاعة ان اواجه شعبنا بالحقيقة .... ولن اكون هذا الشخص الذى يستسلم لأمريكا ... سيأتى شخص ليحل محلى وسيكون عليه ان يفعل ذلك .. كان اللقاء متوترا كما تنطق به سطور محضره وانتهى بأن وعد الرئيس بريجنيف بعرض هذه الطلبات على مجلس السوفيت الأعلى وبالعمل بسرعة لاجابة طلب الرئيس عبد الناصر . وفى جلسة المباحثات التى جرت فى ٢٥ يناير ١٩٧٠ أعلن الرئيس بريجنيف موافقة اللجنة المركزية ومجلس السوفيت الأعلى على طلب الرئيس عبد الناصر وقال انها اول مرة يخرج فيها جندى سوفيتى من الاتحاد السوفيتى الى دولة صديقة منذ الحرب العالمية الثانية ، ثم تلا بعد ذلك قرار مجلس السوفيت الاعلى ونظرا لان هذا القرار يمثل نقطة تحول كبيرة فى مسيرة الصراع العربى ـ الاسرائيلى وحدثا تاريخيا هاما بالنسبة للاتحاد السوفيتى فاننا نوجز نقاطه فيما يلى :

١ ـ امداد مصر بفرقة كاملة من صواريخ سام ٣ بافرادها ومعداتها واجهزتها وحملتها وأسلحتها المعاونة من فرق الدفاع الجوى للاتحاد السوفيتى على ان تصل الى موانى مصر فى خلال شهر واحد ، وان تعمل تحت القيادة المصرية لأغراض الدفاع الجوى عن العمق المصرى

٢ ـ امداد مصر بقوة ٣ لواء جوى كامل من ٩٥ طائرة ميج ٢١ معدلة بالمحرك الجديد بالقادة والطيارين والموجهين والفنيين السوفيت واجهزتها وراداراتها للانذار والتوجيه والمعدات الفنية والعربات

وأن توضع هذه المعدات والأطقم تحت القيادة المصرية للمساهمة فى الدفاع الجوى عن العمق المصرى ، على أن تصل خلال شهر ، ذلك الى جانب عدد من طائرات السوخوى وموتورات لتطوير طائرات الميج العاملة فى سلاح الطيران المصرى .

٣ ـ امداد مصر بأربعة اجهزة رادار متطورة لرفع كفاءة الانذار الجوى فى شبكة الدفاع الجوى المصرى .

٤ ـ تتولى مصر تجهيز الدفاعات والتحصينات والمرافق الانشائية لهذه المعدات بحيث تكون جاهزة في الأماكن التي تخططها القيادة العسكرية المصرية قبل وصول هذه المعدات السوفيتية إلى مصر .

٥ ـ اعتبار تواجد الجنود السوفيت مؤقتا لحين استكمال تدريب اللواءات المصرية من قوات الدفاع الجوى والقوات الجوية في مراكز تدريب الاتحاد السوفيتي والجمهورية العربية المتحدة في وقت واحد وعندئذ يعود الأفراد السوفييت الى دولتهم .

وقد وصل الدعم السوفيتي وافراده الى ميناء الاسكندرية تحت حماية الاسطول السوفيتي يوم ٢٥ فبراير ١٩٧٠ اى في الموعد الذى حدد في المباحثات المذكورة .

وكانت قد بدأت في مصر ملحمة اعداد وتجهيز الانشاءات الهندسية لمواقع الصواريخ وانتهت هذه الملحمة بعد مجهود متواصل وتضحيات متصلة وقعت من العاملين فيها من قادة وضباط وجنود وحدات ادارة المهندسين العسكريين وعاملين من جميع شركات المقاولات للبناء والتشييد والطرق من القطاع العام والخاص من رجال ونساء وتمت هذه الملحمة الوطنية خلال تسعة وثلاثين يوما .

واعود الى محضر الاجتماع فأقول انى خرجت من قراءة هذا المحضر بانطباع ان عبد الناصر كان مصمما على التنازل عن رياسة الجمهورية اذا لم يكن قد وصل الى هذا الاتفاق الذى تحقق مع تنفيذه بروح التعاون البناء بين الجانبين المصرى والسوفيتي . وتوقف التسلل الجوى الى العمق المصرى اعتبارا من النصف الثاني من شهر ابريل ١٩٧٠ .

ويبقى بعد ذلك التساؤل عن الشخص الذى كان يعنيه عبد الناصر « برئيس موال لأمريكا » وهل كان عبد الناصر يعد لشيء مثل هذا عندما بادر الى تعيين السادات نائبا له قبل شهر واحد من هذه المحادثات التاريخية . لقد كان يقدر ـ كما جاءني محضر

المحادثات المذكورة ـ ان القرار الذي يطلبه من السوفيت قرار تاريخي خطير يدفع بهم الى مشاركة فعلية في العمليات العسكرية ، وان احتمال موافقة السوفييت عليه احتمال ضئيل .

وعلى اى حال فان الطبيعة الوقتية لتعيين السادات لرئيس الجمهورية متحققة في كلا الفرضين فقد كان عبد الناصر قبل وفاته ، على تصميم اكيد على اعادة تنظيم الدولة . واذا كان قد تأخر عن اعادة تنظيم الدولة خلال الفترة التي اعقبت تعيين السادات في ديسمبر ١٩٦٩ وبعد زيارته لموسكو وحتى وفاته في سبتمبر ١٩٧٠ ، فقد كانت هناك أسباب ضاغطة على مصر ، فرضت اولويتها على غيرها ، شغلت عبد الناصر عن غيرها ، منها مشروع روجرز واستثماره لصالح المعركة ، وازمة تحريك قواعد صواريخ سام ، ثم الأزمة العربية الكبرى ، وهي أزمة تصفية المقاومة الفلسطينية ، في أيلول الأسود (سبتمبر) . ويجمع بعد ذلك من كتبوا عن عهد السادات ، إن عبد الناصر كان قد بدأ فعلا في اجراء بعض الاتصالات في الايام القليلة السابقة على مذبحة ايلول الأسود ، تمهيدا لاعادة تنظيم الدولة ، وهذا ما تأكد لي حسب المعلومات التي وصلتني في ذلك الحين .

فقد جرت اتصالات مع عبد اللطيف البغدادي كما جرت اتصالات مع زكريا محيي الدين ، وأقدمية البغدادي بين اعضاء مجلس قيادة الثورة تؤهله لمنصب نائب رئيس الجمهورية كما أهلته من قبل لمنصب رئيس مجلس الامة وكان عبد الناصر يضع الاقدمية بين اعضاء مجلس قيادة الثورة موضع الاعتبار الأول في كل تصرفاته . ورغم هذا يبقى السر مغلقا لم تتضح حقيقته بعد ، والذين يعرفون لا يريدون ان يبيحوا بما يعرفون . قد يكون السر الذي كان يخشى السادات ان يبوح به سامي شرف خلال محاكمات قضية مايو ـ والذي أشرنا اليه في موضع آخر ـ هو المفتاح لكثير من الأسرار التي مازالت مغلقة .



السادات .. صلى وصام لأمر كان يطلبه

الفصل السابع

الشيك المشبوه والكرسى الهزاز

كان ذلك فى سنة ١٩٦٦ عندما زار السادات الولايات المتحدة الامريكية اول زيارة له وكان رئيسا لمجلس الامة فى ذلك الحين ، ولهذه الزيارة قصة بل قصص .

اعتاد « المستر رايت » المستشار العمالى فى سفارة الولايات المتحدة الامريكية ، وهو امريكى اسود ، زيارتى فى مكتبى فى مجلس الشعب بين الحين والحين ، وكنت ارتاح اليه لآرائه الليبرالية ، ولنقده لسياسه بلاده فى الشرق الأوسط وفى بعض المناطق الأخرى ، وكان حريصا على ان يرتب لى زيارة للولايات المتحدة الامريكية واذكر مرة إنه جاءنى بدعوة على النقطة الرابعة، اومشروع فولبرايت لا أذكر وقال ان هذه الدعوة لا تناسب مركزى فهى توجه الى الموظفين العاديين ، ولكنه يتعهد ان يضع مع وزارة الخارجية الامريكية ترتيبات خاصة لهذه الزيارة يشرف عليها السفير الامريكى بنفسه .

ولم أبد قبولا للدعوة ، فقد كنت من البداية متحفظا على قبول دعوة على النقطة الرابعة أو غيرها لما لمثل هذه الدعوة من إيحاءات سياسية .

وكان مستر رايت فى كل مرة يزورنى يستعجل قبولى للدعوة.وكنت امهله فى كل مرة ومن خلال حديثنا حورت صيغة الدعوة ، من دعوة شخصية الى دعوة لوفد من اعضاء مجلس الشعب ، وجاء فى مرة وهو سعيد لينقل الى أن وزارة الخارجية رحبت بهذه الفكرة وانها على استعداد لاستقبال وفد برلمانى برئاسة رئيس مجلس الامة . حدثنى عن البروتوكول فى دعوة الشخصيات الاجنبية فوزارة الخارجية الامريكية هى التى توجه الدعوة دائما سواء كان الضيف

حكوميا او برلمانيا والكونجرس الامريكي لا يوجه دعـوات ، وان الزيارة وان كانت أساسا على النقطة الرابعة الا ان وزارة الخارجية افادت بانها ستكون لها ترتيبات خاصة .

لم اكن قد عرضت هذه الفكرة على السادات لانني كنت متـرددا منذ البداية فى قبول دعوة على « النقطة الرابعة » او مثيلتها ورأيت امام هذا التعديل الذى اخطرنى به مستر رايت ، ان أعرض الامـر على السادات .

لم يكن السادات ليبدى رأيا فى مثل هذا الموضوع الا بعد الرجوع الى (الريس) وهو اللفظ الذى كان يستخدمه دائما فى حـديثه الى عبد الناصر شخصيا او تليفونيا ، او فى حديثه عن عبد الناصر ولـم اسمعه طوال سنوات عملى معه يتحدث عن عبد الناصر باسم جمـال مجردا ...

ابدى السادات ترحيبا كبيرا بالفكرة ، وبدلا من ان يـرفع هـو الامر للرئيس جمال عبد الناصر ، طلـب منـى ان اعـد مـذكرة بالموضوع مقدمة منى شخصيا الى الرئيس .

وبعد عدة ايام طلبنى السادات واطلعنى على تأشيرة « الريس » وكانت التأشيرة « لا مانع اذا كان الزيات مطمئنا الى معاملة الـوفد المعاملة المناسبة » ـ وأضاف السادات بعـد ان اطلعنـى على تاشيرة الريس « لقد اصبحت انت المسئول .. وكنت دائما معـه المسئول »...

واخذنا فى اقتراح اسماء اعضاء الوفد ، وفى اجراء الاتصـالات لتحديد موعد سفره ، ورأيت ان تكون رئاسة الجمهورية على صـلة دائمة بالموضوع ، مادامت قد حملتنى هذه المسئولية .

وبعد تشكيل الوفد طلب منى السادات اضافة اسم طناشى رانـد وبلو ، بدعوى انه استجاب لرجائه فى ان يكون عضوا فى الوفد ، لان ابنته تتلقى دراساتها فى الولايات المتحدة ، وهو يريد ان يـزورها

ويطمئن عليها ، كان طناشي راند وبلو ، وهو متمصر من اصل يوناني ، مديرا لشركة جناكليس الى جانب عضويته للمجلس .

لم يلفت نظرى طلب السادات اضافة اسم راند وبلو الى اعضاء الوفد فى ذلك الحين ، ولكن كان لابد ان يلفت نظرى هذا الطلب وبشدة بعد ذلك بسنوات ، ففى سبتمبر سنة ١٩٧١ اتهم راند وبلو بالتجسس على المطارات المصرية والطائرات السوفيتية وعلى الخبراء السوفيت فى منطقة جناكليس لصالح المخابرات الامريكية ، وصدر امر بالقبض عليه وعلى إلمس سيفين هيريس سكرتيرة قسم الفيزات بالقنصلية الامريكية التى كانت الاتصالات بالمخابرات الامريكية تجرى عن طريقها ، وانتحر راند وبلو فى سجنه ورحلت السكرتيرة الامريكية واغلق الملف .. وتم ذلك كله بأوامر مباشرة من السادات رئيس الجمهورية .. واتسمت كل الاجراءات التى لازمت هذا الموضوع بالسرية الكاملة والعجلة الشديدة

وتذكرنى هذه الواقعة بواقعة اخرى ، وقد يبدو للوهلة الاولى التباعد بين الواقعتين ، ولكننى وانا اطل على الواقعتين من بعد ، وعلى تطور الأحداث وتتابعها يبدو الارتباط قائما بينهما .

فقد طلبنى السادات وهو رئيس لمجلس الامة وقال انه يريد ان يعطى علوى حافظ وكان عضوا فى المجلس فى ذلك الحين ثلاثة الاف جنيه كسلفة يردها على اقساط وكان ذلك فى شهر مارس ١٩٦٦ ، عارضت هذا معارضة شديدة وقلت له ان المجلس ليس بنك تسليف ، وقلت اننا نستطيع ان نقرض العضو مكافأة شهرا او شهرين لظروف طارئة ، ونقسطها عليه بما يضمن استردادها قبل نهاية عضويته ، وهذا ما اسير عليه ، اما مثل هذا المبلغ الكبير فلن يستطيع علوى حافظ ان يرده حتى لو دفع كل مكافأته الشهرية اذ يحتاج فى هذه الحالة الى ٥٠ شهرا ولم يبق من مدة المجلس غير سنتين .

قال : إنه سيدفع ٤٠ جنيها قسطا شهريا .

قلت : فان هذا يزيد المسالة صعوبة فانه يحتاج الى ٧٠ او ٨٠ شهر ا ليرد المبلغ .

صمم على ذلك بصورة غريبة .

قلت : ارجو ان تؤشر بهذا الامر بنفسك فانا لا اتحمل مسئوليته .

وصرف علوى حافظ المبلغ وكان لابد ان يلفت نظرى تصميم السادات على منح علوى حافظ هذه السلفة ،كان لابد ان يلفت نظرى وبشدة ما نشره علوى حافظ بمذكراته فى الاخبار ، عن اتصاله بأحد الباكستانيين من عملاء المخابرات الامريكية ، والذى أراد تجنيده لخدمة المخابرات المركزية الامريكية .

كما لفت نظرى هذا التصميم وبشدة وانا اتابع كلمات علوى حافظ فى جلسات مجلس الأمة فى ١٩٦٨ وما فيها من مهاجمة مريرة لعلى صبرى واتهامه له بنشر الشيوعية والالحاد ، واتهام منظمة الشباب بأنها منظمة شيوعية .

وقد وجدت فى اوراقى القديمة اصل الطلب المقدم من علوى حافظ الى السادات مع تأشيرة السادات بمنحه مبلغ ٣٠٠٠ جنيه ارفقه فى نهاية هذه القصة .

ولم يتوقف السادات عندما اصبح رئيسا للجمهورية عن اصدار اوامره لرؤساء المجالس المتعاقبين بصرف القروض التى طلبها علوى حافظ .

ولا ادرى لاى رقم فلكى وصلت هذه القروض ، أو مجموعة القروض التى أمر السادات رؤساء المجالس المتعاقبين ، بصرفها لبعض الاعضاء من ذوى الحظوة ..وقد قرأت مرة انها وصلت الى اكثر من نصف مليون جنيه ،بل وتجاوزت ذلك بكثير ولم ترد او تتخذ اى اجراءات لاستردادها ... واعود بعد ذلك الى رحلة امريكا .

بعد ان اخطرت السفارة الامريكية باسماء اعضاء الوفد واتفقنا على موعد السفر طلب منى السادات ان اجرى اتصالات مع السفير الامريكى لسفر السيدة حرمه ، وطبيعى ان ياخذ هذا الموضوع وقتا لان اساس الدعوة ان يكون المدعو ممن يشغل مركزا حكوميا ، ولم تكن السيدة حرم السادات تشغل فى ذلك الحين . مثل هذا المركز ..

واهتم الرئيس عبد الناصر بسفر هذا الوفد ، وقرر ان يسافر مترجمه الخاص سليم رزق الله ليكون الى جانب السادات ، ورأيت من باب الاطمئنان ان اسبق الوفد فى السفر الى واشنطن لاستكمال الترتيبات اللازمة مع السفير المصرى ومع المختصين بوزارة الخارجية الامريكية . كان السفير المصرى فى ذلك الحين هو الدكتور مصطفى كامل ، وهو استاذ سابق للقانون الادارى فى كلية الحقوق وكانت لى معرفة سابقة به منذ ان كنت طالبا فى الكلية .

وتقابلت فى اليوم الثانى لوصولى مع المستر (باركر) رئيس القسم المصرى فى وزارة الخارجية الامريكية ، وكان شابا انيقا ومثقفا ، وعلمت بعد ذلك ان زوجته كانت من احدى الاسر الامريكية الكبيرة وهى التى دفعت به الى مناصب السلك الدبلوماسى . وعاوننى (باركر) الى اقصى حدود المعاونة وجرت بيننا مناقشات مطولة حول الأوضاع فى مصر وفى الشرق الاوسط وحول العلاقات المصرية الامريكية .

وشعرت ان السفير المصرى يشعر بضيق شديد لتدخلى فى كل صغيرة وكبيرة ولكننى كنت حريصا على ان يلقى الوفد البرلمانى المصرى المعاملة اللائقة فى الولايات المتحدة .

واذكر حادثا طريفا يدل على اهتمامى حتى بالامور الصغيرة ، فقد وجدت صعوبة فى حجز جناح لنزول السادات وحرمه فى فندق هيلتون واشنطن الذى كان من المفروض ان ينزل فيه ، والاجنحة فى هذا الفندق محجوزة دائما لرجال الاعمال الأمريكيين ، حتى اتصل

بي المدير قبل وصول الوفد بيوم واحد واخطرني ان هناك جناحا سيخلو ، ولكن ذلك لن يكون الا في موعد لاحق لوصول الوفد بساعة او ساعتين ، ومهدت الامر بحيث يبطيء سائق السيارة التي تقل السادات وحرمه من المطار حتى يصلا الفندق بعد خلو الجناح . وقد كان هذا التباطؤ مسار تساؤل السادات بعد ان وصلنا الى الفندق وعندما افهمته السبب قال« يامحمد انت ما بتفوتكش حاجة ابدا»

لم يكن هذا اهتماما بالسادات بقدر ما كان اهتماما بمصر ومركزها .

اتفقنا على ان ينقسم الوفد الى قسمين وان يبقى السادات في واشنطن حتى يحدد له الرئيس جونسون موعدا للقائه ، وان تتم زيارة اعضاء الوفد وفق برنامج خاص بهم .

واذكر في يوم وصول الوفد انني تفاديت الذهاب الى المطار في موكب السفير المصري ، ونقلني الى المطار في سيارته الخاصة صديق عمري احمد فتحي بهيج كان نائبا لمدير مكتب البعثات في واشنطن وقد اختاره الله الى جواره في عمر مبكر ، وكان طريفا ان يضل فتحي الطريق الى المطار وان يصل بعد وصول الطائرة .

وصلنا وكان السادات يسأل بصوت عال « فين الزيات ، فين الزيات » ولما وجدني اخيرا اطمأن ، وهذه اللهفة على السؤال عليّ خفت بعد ذلك فقد أخذ السفير المصري يستحوذ على السادات وحتى المترجم الذي ارسله الرئيس عبد الناصر لم يكن حظه اسعد مني ، فقد تقدمه محمد حبيب المستشار الصحفي المصري في ذلك الحين وكان متزوجا بسيدة امريكية ويقيم اقامة دائمة في امريكا .

كنت اعتقد ان باركر سيكون هو المرافق للسادات ولكن فجأة حل محله (مايكل ستيرنر) وقد رأيت ان اشير الى مايكل ستيرنر لانه سيكون له دور فيما بعد ، الى جانب دوره في هذه الزيارة ، فقد اصبح

منذ سنة ١٩٧١ قاسما مشتركا فى كل الاتصالات الامريكية التى جرت مع السادات منذ بداية عهده كرئيس الجمهورية ، مع روجر وسيسكو ومع كيسنجر ومع بيرجس عندما كان مشرفا على المصالح الامريكية فى مصر ، قبل ان يعيد السادات العلاقات الدبلوماسية بين مصر وامريكا .

ومايكل ستيرنر عمل فى اول السلم الدبلوماسي فى القاهرة فى الفترة من ١٩٦١ ــ ١٩٦٤ اى لمدة سنتين او ثلاثة .

كان على ان اظل فى واشنطن الى جانب السادات ، ولكنى كما قلت حجبت عن اكثر الاتصالات التى جرت ، واصبح السادات اسيرا الدكتور مصطفى كامل ولمايكل ستيرنر .

أصبح مايكل ستيرنر مقربا ومحببا الى السادات حتى اخذ يردد انه اصبح صديقا للرجل الثانى فى مصر .

وفى اليوم الذى حدد لمقابلة الرئيس جونسون ذهبت مع السادات حيث حضرت مع عدد من كبار موظفى البيت الابيض مراسم الترحيب واخذ الصور ثم انسحبت ليبقى السادات ومصطفى كامل مع جونسون .

عندما دخلت الى المكتب البيضاوى كان جونسون يجلس على كرسي هزاز ، وقد رأيت ان اشير الى هذا الكرسي الهزاز لأن له قصة بعد ذلك ، سأل جونسون كالعادة عن الرئيس عبد الناصر وعلى الاحوال فى مصر وصادف فى ذلك اليوم تجمع كبير من المتظاهرين حول البيت الابيض مطالبين بسحب القوات الامريكية من فيتنام ، وكان جونسون يضحك بصوت عال ويقول انكم تسمعون الهتافات ولكن امريكا لن تترك فيتنام الا بعد القضاء الكامل على الثوار .
ومضى جونسون وانسحبت القوات الامريكية من فيتنام وعاش شعب فيتنام البطل وانتصر فى احدى الملاحم التاريخية بين قوى الخير وقوى الشر .

انتظرت فى احدى استراحات البيض الابيض حتى انتهى

اجتماع جونسون والسادات ومعه السفير المصرى ، ورافقتهما فى العودة الى الفندق .

كان من عادة السادات وقد رافقته فى كل الزيارات التى قام بها الى الخارج بوصفه رئيسا لمجلس الامة او امينا للجنة السياسية او عضوا فى اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى ، كان من عادته اذا لم يتسن لى حضور الاجتماعات الهامة معه ، أن يسرد علىّ تفصيلات ما جرى لأضمنه التقرير الذى يحفظ فى المجلس او فى الاتحاد الاشتراكي وترفع منه صورة الى الرئاسة ، ولكنه فى هذه المرة لم يدل لى بأية تفصيلات غير العبارة التى كان يرددها السفير المصرى "لقد كان الاجتماع وديا مثمرا" .

اضاف السادات الى ذلك ان مصطفى كامل مقرب جدا الى جونسون ، فقد قال جونسون فى الاجتماع انه احد السفراء القلائل الذين يمكنهم ان يتصلوا به مباشرة بالتليفون ..

وانتقلنا بعد ذلك الى زيارة بعض الولايات ولم يخرج حديث السادات معى طوال الرحلة عن التعبير عن انبهاره بالحياة الامريكية وبالثراء الامريكي ، وبالفخامة والضخامة الأمريكية ..

كان يردد امامي اكثر من مرة ان رفاهية الشعوب ومستوى معيشتها تقاس بعدد السيارات ، واخذ يجرى مقارنة بين عدد السيارات فى الدول الاشتراكية التى زارها وعدد السيارات فى الدول الرأسمالية وخاصة فى امريكا ، كان هذا هو مقياس الرفاهية لديه . وبنفس النظرة القاصرة اقتصاديا واجتماعيا كان يردد ان فى عهد انفتاحه السعيد ارتفعت اسعار اراضى البناء بارقام فلكية واصبح لمصر سعر وهو يجهل او يتجاهل ان هذا الارتفاع هو دليل التضخم الفاحش والمضاربة على الاراضى التى اخذت براتب محدودى ومتوسطى الدخل ، وجعلت من اراضى البناء حكرا للشرائح العليا من البورجوازية. وانتهى بنا المطاف الى نيويورك .

اصبت ببرد شديد فى نيويورك وانحبس صوتى بسبب وجودى فى الطريق مع نزول الثلج دون غطاء على رأسى ، لازمت الفراش فى الايام التى قضاها السادات وحرمه فى نيويورك وودعنى فى حجرتى وهو فى طريقه الى المطار الى بروكسل هو وحرمه فى زيارة خاصة ، وقد أفهمته انني سأعود الى القاهرة بمجرد تحسن ولو بسيط فى صوتى .

لم تستمر اقامتى فى فندق هيلتون نيويورك غير يومين بعد سفر السادات ، وبارحت نيويورك وانا مازلت مريضا ، لأن اقامتى فى الفندق كانت تكلفنى الكثير وكذلك معاودة الطبيب لى يوميا .

سافرت الى واشنطن لاقضى فيها يومين لأعود منها الى القاهرة .

وصلت الى القاهرة ولم يكن السادات قد عاد اليها بعد ، وسجلت اسمى فى سجل التشريفات فى الرياسة فى اليوم التالى لعودتى وبدأت أمارس عملى فى مكتبى فى مجلس الامة .

فوجئت بطلب تليفون عاجل من الرياسة وجرى حديث قصير مع الرئيس عبد الناصر كان صوته ثائرا ولم يعلق فى ذهنى من عباراته الا كلمات « انت سبت انور ليه ؟» انا حكاية الشيك اللى صرفه فى بلجيكا ؟ كان ردى اننى لا اعرف شيئا عن هذا الموضوع وانهى الرئيس عبد الناصر المكالمة

وعاد السادات بعد ايام قليلة الى القاهرة وفى اليوم التالى لعودته ، رأيت فوزى عبد الحافظ مدير مكتبه فى المجلس وقد كان مرافقا له فى زيارته لأمريكا وبلجيكا رأيته يكاد يجن ، ودخل مكتبى عدة مرات وهو يسأل نفسه كيف أدبر هذا المبلغ وأنا فى حاجة الى ثلاثة آلاف دولار لأننى لم استطع ان ادبر غير سبعة فقط ، طلبت منه ان يجلس لأفهم الموضوع .. قال : ان الامير عبد الله المبارك الصباح اعطى للسيد أنور شيك بمبلغ عشرة الاف دولار لمشتريات الست من الخارج ، صرفنا منها ثلاثة وباقى سبعة فأبديت تعجبى مادام (الامير) هو الذى قدم الهدية فلمن سنردها ؟

كان فوزى عبد الحافظ يبدى عجبه الشديد من الكيفية التى

وصل بها خبر صرف هذا الشيك ، وقد كان حريصا ان يذهب الى بنك بلجيكا ، وليس معه احد من السفارة عند صرفه ، كان يردد عبارة كيف وصل خبر هذا الشيك الى القاهرة ؟

خرج وعاد اليَّ مرة اخرى وقال ان السيد انور يريدك ان تكتب مذكرة بأن الامير عبد الله المبارك الصباح تبرع للمجلس بمبلغ عشرة الاف دولار لاستيراد التركيبات الكهربائية للمبنى الجديد ، الذى كان يشيده المجلس فى ذلك الحين وهو القائم الآن على ناصية شارعى القصر العينى ومجلس الشعب ويواجه مبنى مجلس الوزراء .

قلت له اننى لا استطيع ان اكتب مثل هذه المذكرة الا بعد ان افهم الموضوع كاملا من السادات ، ولكن السادات لم يحضر الى المجلس هذه الايام . ولا اذكر هل اصابته وعكة صحية ، او هل اصيب فى هذه المرة بالذبحة الصدرية ، كعادته كلما اشتد عليه عتاب الرئيس عبد الناصر .

على كل لا اعرف ماذا جرى بعد ذلك لقصة الشيك المشبوه ، ومازال السؤال يحيرنى من أين جاء هذا المبلغ وكيف علم به عبد الناصر . وماذا اثاره هذه الثورة العارمة حتى اتصل بى تليفونيا ليسألنى عن الموضوع هل حقيقة ان مصدر الشيك هو« الأمير» عبد الله المبارك الصباح كما أسرَّ لى فوزى عبد الحافظ ام ان له مصدرا آخر ؟

سؤال حائر قد يلقى عليه بعض الضوء ان نعود الى قراءة ما سبق عن زيارة امريكا وقد يلقى عليه بعض الضوء السيد امين شاكر وهو احد الضباط الاحرار وكان مديرا لمكتب عبد الناصر فى بداية الثورة ، وسفيرا لمصر فى بلجيكا خلال زيارة السادات لبروكسل وهو حى يرزق ـ اطال الله فى حياته ، اما الشخص الذى يعرف الحقيقة كلها فهو فوزى عبد الحافظ وهو مازال على قدر علمى يعالج فى مصر

وفى الولايات المتحدة الأمريكية بعد اصابته فى حادث اغتيال السادات ـ شفاه الله .

لعله يتكلم ففى جعبته الكثير والكثير ، وهو كاتم اسرار السادات والسيدة حرمه ولكن هل يتكلم ؟

وكل ما استطيع ان أقوله ان وراء هذا الشيك الذى قال فوزى عبد الحافظ انه بعشرة الاف دولار سر خطير عرفه عبد الناصر ، ولكننى لم استطع ان اصل اليه ، ولكن يمكن ان نستشفه وان نفهم طبيعته من الإصرار غير العادى الذى اقدم عليه عبد الناصر خلال الأيام الأخيرة لزيارة السادات لأمريكا ، فقد اضطر عبد الناصر ، وهو الذى شجع على هذه الزيارة ، ان يدلى بتصريح فى القاهرة فى الأيام الأخيرة لزيارة السادات لأمريكا يحمل فيه على امريكا بأعنف الألفاظ (والسادات أشار الى الحديث فى كتاب البحث عن الذات ص ١٨١) ولعل الأمر يصبح مفهوما بعد ذلك ...

واذا كان الحديث قد تناول (الأمير) عبد الله المبارك الصباح فلابد من عجالة عنه وعن السيدة حرمه (الأميرة) سعاد الصباح ، فهو من الأسرة الحاكمة فى الكويت وبالتالى من كبار اثريائها ، ولكن يبدو ان خلافا وقع بينه وبين الأسرة فترك الكويت ونقل كل امواله ومصالحه الى سويسرا . وكان يتنقل بين القاهرة وأوروبا ، وكان له مكتبه وشقته فى جاردن سيتى ، ثم اشترى قصرا فى مصر الجديدة اجرى فيه المهندس عثمان احمد عثمان اصلاحات واسعة ، بتكليف من السادات ، واقام له فيه حوضا للسباحة ، ولا اعرف كم دفع فى هذا إلا أننى علمت أن ذلك كلفه أرقاما ضخمة بأسعار الستينيات وقد دفعت عن طريق السيد محمد حامد محمود الذى سيأتى ذكره فى سياق هذه القصة .

وعندما تعرفت على السادات كان (الأمير) صديقه كما كانت (الأميرة) صديقة لحرم السادات ، وكان الأمير دائم التردد

على منزل السادات وعلى مكتبه ، وهداياه للسادات ولمنزله لاتتوقف ، ولا أعرف كيف نشأت هذه العلاقة فالأمر لم يكن يهمني .

وكل ما اذكره انني كنت استأذن عندما اكون مع السادات فى منزله او مكتبه ويحل (الأمير) ضيفا ، ولكن السادات كان يتشبث بوجودى ، وسألته مرة لماذا يصر على بقائى بهذه الصورة ، قال بانه ليس هناك حديث يجمع بيني وبين عبد الله (المبارك) واذا كان ليس هناك من حديث يجمع بينهما فلماذا كانت هذه العلاقة الوثيقة وليس لدى من دليل على مانشرته بعض الصحف العربية من ان الشيخ عبد الله المبارك الصباح كان همزة الوصل بين المخابرات المركزية الأمريكية والسادات .

ورغم هذا فقد كان السادات يتولى رعاية مصالح الأمير ، وهو الذى رشح له محمد حامد محمود ليكون وكيلا لأعماله ، ومحمد حامد محمود كان فى ذلك الحين عضوا فى مجلس الأمة ، وهو من إحدى الأسر الاقطاعية فى البحيرة وطبقت عليه قوانين الاصلاح الزراعى ولكن السادات سعى سعيا حثيثا ليرفع عنه حظر الترشيح فى مجلس الأمة ، ثم عينه السادات بعد ذلك وزيرا ، وقربه اليه ، وفجأة هوى نجمه .

واذكر فى مناسبة الحديث عن (الأمير) انه فى اول احتفال بافتتاح مجلس الشعب ، بعد ان تولى السادات رئاسة الجمهورية ، كان (الأمير) احد المدعوين ولكن عند حضوره لم يتوجه الى شرفة المدعوين ولكنه توجه الى غرفة رئيس المجلس ، وكان فى ذلك الحين الدكتور لبيب شقير ، وجلس معه حتى حان موعد وصول رئيس الجمهورية ، وخرج معه وجلس فى الصالون المخصص لاستقبال رئيس الجمهورية مع رئيس الوزراء والوزراء واعضاء اللجنة التنفيذية ، حتى وصل السادات واستقبله وسلم عليه وجلس معه فى الصالون .

اذكر يومها ان السيد شعراوى جمعه اختلى بى وعاتبنى عتـابا شديدا على وجود (الأمير) فى صالون رئيس الجمهورية ، فقلت له است مسئولا عن ذلك فقد قدم مع رئيس المجلس ، ويمكن ان توجه العتاب الى الدكتور لبيب شقير ، فقال لى اننا لانعرف احدا مسئـولا عن المجلس غيرك .

اضطررت يومها ان اهمس فى اذن الأمير ، وان اطلب منه التوجه الى شرفة الزوار ، وطلبت من احد موظفى المجلس ان يصطحبه .

استمرت العلاقة بين الاثنين حتى بداية عهد السادات بـرئاسة الجمهورية ، وعلمت ان العلاقة توترت بعد ذلك بيـن الاثنيـن ، ونشرت بعض الصحف العربية تبريرات وتحليلات للخلاف بين حرم السادات و (الأميره) سعاد حول عقد من اللؤلؤ او الماس ، وليس هنا مجال مناقشة هذه الموضوعات ، ... والأكيد أن (الأمير) و (الأميرة) تركا القاهرة على تصميم على عدم العودة اليها .

نعود الى رحلة امريكا والكرسى الهزاز والانبهار الـذى اصـاب السادات بأمريكا وبالرئيس جونسون.بعد ان مرت ازمـة الشـيك المشبوه ، عاد السادات الى المجلس ، وكان اول شىء يطلبه منى ان اكلف من يبحث له عن كرسى هزاز ، مثل الـذى كان يجلس عليـه جونسون ورأيته فى البيت الأبيض ، وانطلق موظفوا المشـتريات فى المجلس الى السوق يبحثون عن مثل هذا الكرسى ، ووجدوه اخيرا فى محل الغليون فى شارع قصر النيل ، وأمر السادات بشراء كرسـيين احداهما للمكتب والاخر للمنزل .

ولم يهتم السادات بشىء قدر اهتمامه بهـذا الـكرسى ، لمـاذا لايجلس على كرسى مماثل لهذا الذى يجلس عليـه زعيـم احـدى الدولتين العظميين فى العالم ، وهو يتعلق بالكرسى المتميز ايـا كان وفى اى زمان ومكان ، فبعد نجاح الثـورة وتنـازل الملك فـاروق ومبارحته مصر يجد السادات نفسه مشدودا الى سراى القبة ويجلس

فى نفس المقعد الذى كان يجلس عليــه الملك فؤاد ومن بعده فاروق .. (ص ١٥ من كتاب البحــث عــن الذات) .

ونعود الى الكرسى المتميز والذى هو دائما محط النظر والمــركز والمحور عند السادات ، فيشيد بالاستقبال الذى لقيه عند زيــارته لامريكا فى سنة ١٩٦٦ وهو رئيس مجلس الأمة ، ويدلل على حــرارة هذا الاستقبال فيقول .. وعندما زرت الــكونجرس اجلســونى على مقعد الرئيس وهو نفس الكرسى الذى جلست عليــه عنــد زيــارتى لامريكا عام ١٩٧٥ (ص ١٨١)

كان السادات يفضل دائما ان يجلس طوال وجوده فى مكتبه على الكرسى الهزاز ولا ادرى ماهو مصير الكرسى هل مازال فى المجلس أو انتهى عهده بعد ان مضى راكب الكرسى الهزاز .

كلما كنت اراه جالسا على الكرسى الهزاز ، اذكر وانا طفل صغير ان جدى كان له كرسى هزاز ، واننى كنت اختلس الجلوس على هــذا الكرسى عندما يكون خاليا ، لأتمرجح عليه وكان جدى يحذرنى فى كل مرة يرانى على الكرسى ويقول (تقع ياولد) ..

ذكرت هذه القصة لا لطرافتها أو من باب تسلية القارىء ولــكن لادلل بها على ماتملك السادات من رغبة جامحة فى ان يحاكى حــكام أمريكا وكبار الأثرياء فيها وهذه بداية القصة التــى اكتملــت فصولها فيما بعد ..

وفى مجال المحاكاه اذكر تعيين الســادات لحــافظ اســماعيل مستشارا للرئيس لشئون الامن القومى وتقــديمه للــكثيرين مــن الضيوف بوصفه Mykissinger وذلك فى ســنة ١٩٧٢ تشــبها بنيكسون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية الــذى كان كيســنجر Kissinger يشغل فى بداية عهده وظيفة مستشار الأمن القومى .

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد المحترم / رئيس مجلس الشعب

تحية طيبة وبعد

نظراً لتراكم الديون على سيدة بلغت ثلاثة آلاف جنيه مصري
لعدد من (الأسرات) دبلد مصر الذى سيتأتى من ذراته
شهرية لشقل الأهلي .

الأمر الذي يجعلني ألجأ لسيادتكم راجيا إعفائي الملزم من المجلس
على أن يتم خصمها من مكافأتي بنسبة ثلاث جنيها من أصل الدين
وتفضلوا سيادتكم بقبول فائق الاحترام

علوي حافظ

عضو مجلس الشعب

المدير العام

تصرف مبلغ عشرة آلاف جنيه من ميزانية المشاركة
لحل هذه الأزمة وسدادها وفق خاص على أن
لا تتم أي عملية إلا من مرافقتي شخصياً

الأولوية لا أفرض السيد العضو علوي حافظ
هذا المبلغ على أن يسدد على أقساط شهرية
كل شهر مبلغ العضو جنيه مصري شهريا

أنور السادات

١٩/٣/٦١



على صبرى و الفريق أول محمد فوزى قبل إنقلاب ١٥ مايو

صراع القوى بعد ولاية السادات





الزيات مع د . محمود فوزى .. ضحكة متفائلة لم تستمر

الفصل الاول

ولاية السادات وتوقيت تعييني وزيرا

غادرت القاهرة فى صباح اليوم الذى رحل فيه عنا عبد الناصر . كنت فى طريقي الى لاهاى فى هولندا للاشتراك فى اعمال المؤتمر البرلماني الدولى ، قابلنى سفير مصر ورافقنى الى الفندق ، وكان ذلك حوالى الساعة الخامسة مساء ، وبعد لحظات تلقى السفير مكالمة من السفارة نقلت اليه الخبر الحزين ، واستدعيت للعودة للقاهرة على عجل استعدادا لاجتماع مجلس الأمة ، لم تكن هناك طائرة مباشرة الى القاهرة الا بعد يومين ، ولكن السفير المصرى مع وزارة الخارجية الهولندية استطاعا تدبير مكان لى على الطائرة المتجهة الى باريس ، على ان تقوم شركة الطيران الهولندية بتدبير مكان لى على اية طائرة متجهة من باريس الى القاهرة ، ووصلت مطار اورلى فى باريس فى منتصف الليل لابقى فيه الى صباح اليوم التالى لاستقل طائرة اصل بها الى القاهرة ظهر اليوم التالى ، ووصلت القاهرة لانضم الى الموكب الحزين .

وقابلت السادات عصر نفس اليوم . لم اسمع ، منه الا اخبارا متقطعة ، وكأنه كان يحدث نفسه .

سألنى عن بعض الاوضاع الدستورية فاجبته عنها .. فهمت من هذه الاخبار المتقطعة ان هناك خلافا ، وان هيكل يبذل جهده لحصر الخلاف ... واردف السادات هذا الحديث المتقطع ، بما كنت اسمعه منه دائما ، انا خايف من الاعيب على صبرى .

قابلت لبيب شقير رئيس مجلس الأمة فى ذلك الحين كما قابلت بعض اعضاء اللجنة التنفيذية العليا ، وكان يتردد ان حسين الشافعى من اشد المعارضين لترشيح السادات رئيسا للجمهورية ، اما من بين الوزراء المعارضين فقد كان سيد مرعى الذى نشط فى

مقابلاته معارضا لترشيح السادات لانه فى نظره « بيس الشخص المناسب ليخلف عبد الناصر فقد كان فى مجلس الأمة شرابة خرج والزيات حطه فى جيبه » « هذا ماقاله على الاقل لشعراوى جمعه ،

جاء كسيجين رئيس وزراء الاتحاد السوفيتى لتقديم العزاء ، والاشتراك فى وداع عبد الناصر وكان من الطبيعى ان يجتمع بالكثيرين ، وقد حاول البعض ان يجس النبض ويتكشف رأى القيادة السوفيتية ، بطريق أو آخر عمن تفضله لخلافة عبد الناصر ، وكان كسيجين حاسما بأن القيادة السوفيتية والشعب السوفيتى سيقفان موقف التأييد للقيادة المصرية الجديدة التى يختارها الشعب ـ بصورة اشد مما كان فى الماضى ...

قال : اننا نؤيدكم لأنكم تحافظون على خط عبد الناصر ...

وجاء الينا مبعوث امريكى هو ايلوت ريتشاردسون وزير الصحة فى ادارة نيكسون ، حيث كانت العلاقات الدبلوماسية مقطوعة فى ذلك الحين مع الولايات المتحدة الامريكية ، وعلمت ان السادات قد قابله مقابلة طويلة ، وانه حمّله رسالة الى نيكسون .

وفى يوم الجنازة اغمى على على صبرى وعلى السادات فى بداية مسيرة المشهد الرهيب من مجلس قيادة الثورة فى الجزيرة ، ولا اعرف من اصابه الاغماء قبل الآخر ، ونقل الاثنان الى مجلس قيادة الثورة حيث اعد لهما على عجل سريرين فى حجرة واحدة ، واستدعى الدكتور محمد عطية استاذ القلب لاسعافهما ، واجراء الفحوص العاجلة ، وظل الاثنان معا حتى عادا الى منزليهما مساء نفس اليوم .

واستمرت الاجتماعات والاتصالات لترشيح رئيس الجمهورية . حسين الشافعى لم يكن يمثل منافسا خطيرا للسادات ، وكان على صبرى يمثل وحده المنافس الخطير .

ولكن كانت هناك نقاط فى صالح السادات .

كان عبد الناصر صاحب الفضل عليه فى حياته وبعد مماته فـان تعيينه نائبا قبل رحيل عبد الناصر بشهور كانت نقطة فى صالحه .

كما ان هناك تقليدا كان يحرص عليه عبد الناصر حرصا شديدا ، وهو الحفاظ على الاقدمية بين اعضاء مجلس قيادة الثورة ، كانت اقدمية السادات والشافعى واحدة ، ولكن لم يكن للشافعى الثقل الذى يمكن ان يؤثر فى ميل كفة السادات ، فكانت هذه النقطة ايضا فى صالح السادات .

واذا كان على صبرى هو الشخصية المنافسة الوحيدة ، فـان السادات كان يرجحه بالنقطتين السابقتين .

وخرج على صبرى فجأة من التنافس ولا ادرى لماذا .. وقيل عندئذ انه آثر الا يثير معركة فى هذه الفترة الحرجة .

على ان موت عبد الناصر فى هذا التاريخ بالذات ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ ، كان ايضا فى صالح السادات ، فقد اخذت تتردد قبل ذلك بأيام اشاعات واقاويل ، عن اتصالات تجرى مع عبد اللطيف البغدادى ومع زكريا محيى الدين لتعيين احدهما نائبا لرئيس الجمهورية ، بل تجاوزت الاشاعات الى استعدادات تجرى لاعداد مكتب فى مبنى هليوبوليس فى مصر الجديدة لنائب الرئيس الجمهورية ، وعن قرار كان قد اعده عبد الناصر فى هذا الخصوص .. وان هذا القرار تأخر صدوره بسبب انصراف عبد الناصر فى ذلك الحين ، انصرافا كاملا ، الى اجتماعات مؤتمر الملوك والرؤساء العرب الذى دعا اليه لمحاصرة الهجمة الدموية الشرسة التى شنها الملك حسين على المقاومة الفلسطينية ولوقف المأساة المروعة التى داهمت الامة العربية .

على اننى اذكر فى هذه المناسبة انه خلال محاكمة . من سماهم السادات بمراكز القوى ، كان السادات متخوفا من شيء واحد .. ان يقول سامى شرف شيئا فى المحكمة وطالما عبر لى عن تخوفه من هذا

خلال المحاكمة ، ولكن ما هو الشيء الذى كان يعرفه السادات ويعرفه سامى شرف ولم يدل به الاخير فى المحاكمة ؟ .

لعل سامى شرف يكشف عن هذا السر .

ولعله ايضا يكشف السر الذى كان فى خزنة عبد الناصر وفتحت الخزنة لاخفائه ؟ .

إن التاريخ له حقه علينا حتى باخطائنا فما من أحد منا لم يخطىء .

وهكذا وافق الجميع على ترشيح السادات حقنا لاى صراع على السلطة فى هذا الوقت العصيب وجرى الاستفتاء فى ١٥ اكتوبر ١٩٧٠ وأدى السادات اليمين الدستورى فى ١٦ اكتوبر ١٩٧٠ .

قابلته ب : ذلك بعشرة ايام فى استراحة القناطر لاهنئه .

كان الحديث مقتضبا .. اشار فى هذا الحديث الى انه قال لشعراوى وسامى من اول يوم انهما سيعملان معه كما كانا تماما ايام عبد الناصر فخطى هو خط عبد الناصر ، ولاتغيير فى اى شيء . ولا فى الاشخاص . والفرق هو أن عبد الناصر انه كان عصبيا وهو هادىء الاعصاب ، وانه كان متعجلا لكل شيء وهو ليس لديه هذه العجلة ، وطلب منهما ان يعملا معه بهدوء أعصاب . وأطنب فى المديح فى شعراوى وسامى .

ولم افهم ماذا عنى السادات بهذا الكلام وخاصة وانا اعرف رأيه الحقيقى فى شعراوى وسامى ، وهل كان يعنى ان تعاونه معهما ، يستبعد تعاونى انا معه؟.. لم البث ان انشغلت فى عملى فى مجلس الامة ، كأمين عام له ، وفى الاتحاد الاشتراكى ، كمقرر للجنة السياسية فيه ، ونسيت هذا الموقف ، الذى اعتبرته ، اذ ذاك تخوفا وتحوطا من جانب السادات من كلمة تخرج منى أو عبارة تفلت عنى عن حقيقة مشاعره .

ولم يتصل السادات بى بعد ذلك ولم احاول من جانبى الاتصال به ، وذلك اذا استثنينا اتصالا روتينيا جرى بمناسبة انعقاد المؤتمر

القومى العام ، لانتخابه رئيسا للاتحاد الاشتراكى العــربى فى ١٢ نوفمبر ١٩٧٠ ، وكنت امينا عاما للمؤتمر القومى .

مرت شهور خمسة على توليه الرياسة ، واذا بــه فجــأة يعــاود الاتصال وفى هذه المرة لم يكن الاتصال مباشرا ، كعادته معى طوال اكثر من سبع سنوات ، كان الاتصال عن طريق الــدكتور محمــود فوزى رئيس الوزراء فى ذلك الحين ، طلبنى الدكتور فوزى وقابلته فى مكتبه فقال لى ان السادات طلب منه ان يستشيرنى فى بعض المسائل وفى اعداد بعض التشريعات ، وكانت لى معــرفة وثيقــة بــالدكتور محمود فوزى وكنت اقدر اراءه وحكمته وتجاربه وابديت استعدادى لمعاونته فيما استطيعه .

عزوت انقطاع السادات عن الاتصال بى فى ذلك الحين الى كثــرة مسئولياته فى مركزه الجديد كرئيس للجمهورية،والذهن من شــأنه التجريد لانه لايحيط بالواقع كله ولايرى منــه الا اجــزاء فى وقــت واحد ، وقد لايجد الانسان تفسيرًا لواقعة معينة وقت حصولها ولكن مع تتابع الوقائع وترابطها تتكامل لديه صورة الحكم على الاشياء . فاتصال السادات السرى بى عن طريق الدكتور فوزى لم يأت إلا بعد مرور اسبوعين أو عشرة ايام على ٤ فبراير ١٩٧١ ، وهــو التــاريخ الذى القى فيه السادات بيانه امام مجلس الامة بمناسبة نهاية موعد سريان وقف اطلاق النار فى ٥ فبراير ودعوة السكرتير العام لــلامم المتحدة الطرفين الى تجديد وقف اطلاق النار .

وفى هذا البيان فجر السادات مبادرته الخطيرة والتــى ســميت بمبادرة ٤ فبراير ، انســحاب جــزئى للقــوات الاسرائيليــة على الشاطىء الشرقى لقناة السويس وربط هذا الانسحاب بجدول زمنى لتنفيذ بقية بنود قرار مجلس الامن رقــم ٢٤٢ ، والبــدء فــورا فى مباشرة تطهير مجرى قناة السويس واعادة فتحها للملاحة الــدولية ولخدمة الاقتصاد العالمى .

كانت هذه المبادرة قرارا مفاجئا او انفراديا اتخــذه الســادات

بمعزل عن الدبلوماسية المصرية (وزير الخارجية ووزارته) وبمعزل عن التنظيم السياسي بتدرجاته المختلفة ، اللجنة التنفيذية العليا واللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي ، وبمعزل عن الوزراء ، وعن القيادات العسكرية ايضا .

وقد فهمت بعد ذلك ان هذه المبادرة قد تمت باتفاق بين السادات وهيكل الذي كان همزة الوصل بينه وبين بيرجس المختص برعاية المصالح الامريكية في مصر . وبناء على وعد من روجرز وزير خارجية امريكا بان هذه المبادرة ستفتح الطريق لجهود امريكية لدفع القضية .

كانت المبادرة تحمل خطر تحول الرأى العام العالمي ، الذى ظلت الدبلوماسية المصرية تعمل سنينا لتعبئته من اجل حل شامل وعادل للنزاع ، الى الإنشغال بقضية فتح قناة السويس للملاحة الدولية ، وقد اعترف السادات نفسه بهذا الخطأ في خطاب الضباب في ١٣ يناير ١٩٧٢ ، وقال ان امريكا حولت مبادرته الى حل منفرد مع كل دولة عربية ثم حل جزئى مع مصر ثم حل جزء الجزئى مع مصر .

وكان هناك خطر آخر يدور حول الاسلوب الذى اختطه السادات في معالجة المسائل الخارجية والقضايا العربية ، فقد كشفت هذه المبادرة المفاجئة عن نزعته الانفرادية في اسلوب المعالجة وشعر السادات بعد ان فجر هذه المبادرة بانه معزول ، فكان لابد ان يفتش في دفاتره عن صديق قديم يقف الى جانبه . ومن ثم كان هذا الاتصال المفاجيء باسلوب فيه سرية وتكتم ، وهو ما ادركه الان تماما وان لم ادركه ايامها على الاطلاق .

وتعاونت مع الدكتور محمود فوزى ما يقرب من شهر ونصف وكان اغلب تعاوننا في مسائل داخلية ثم اخبرته بانني ساتغيب اسبوعين للاشتراك في اعمال مؤتمر برلماني كان سينعقد في احدى دول امريكا اللاتينية .

وعندما عدت الى مكتبي اتصل بي فوزى عبد الحافظ واخطرني

أن السادات يطلب مني ان ابقى في القاهرة .

وبعد استبوعين اتصل بي السادات وكان هذا اول اتصال شخصى بعد انقطاع طويل وهنأني بتعييني وزير دولة لشئون مجلس الامة ، وكان ذلك صباح ٨ ابريل ١٩٧١ .

واتصل بي بعد ذلك شعراوى جمعة ، وكان يقوم بالاضافة الى عمله كوزير للداخلية باعمال وزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية ، بدلا من سامي شرف الذى كان متغيبا في الخارج . وطلب مني مقابلته في وزارة الداخلية .

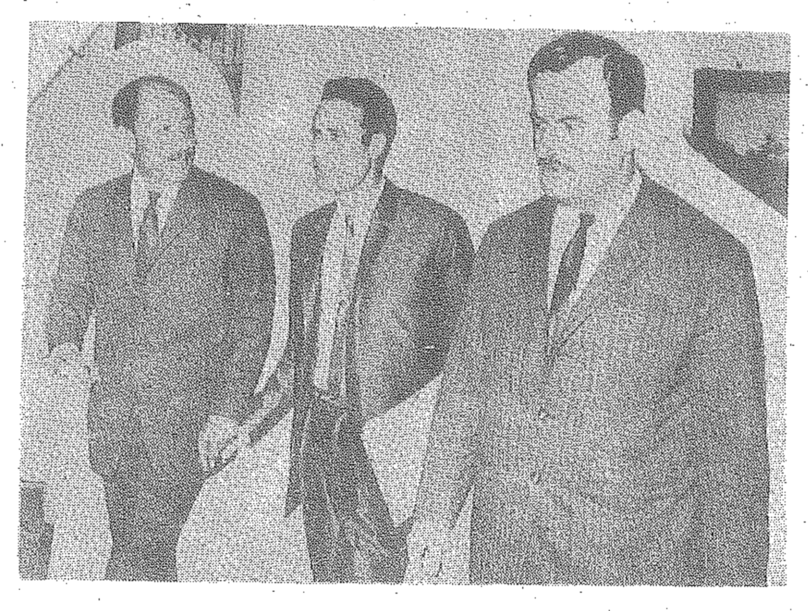
لم أكن غريبا على شعراوى جمعة فقد عملنا معا في الاتحاد الاشتراكى ، قد نكون قد اختلفنا في بعض الاحيان ، ولكن ظلت بيننا علاقة طيبة كان يشوبها في بعض الاحيان مايصلني بين وقت واخر ـ ان صدقا ام كذبا ـ من ان شعراوى وسامى ينقلان الى عبد الناصر بعض تصرفات منسوبة الىّ ولم تكن تمثل الحقيقة في شيء ، وكان عملي مع عبد الناصر كفيلا بتبديد كل ما يثار حولي .

لم يستقبلني شعراوى جمعة هذه المرة بالبشاشة التى اعتاد ان يقابلني بها فقد هنأني بالوزارة وكان الحزن مخيما عليه ، ولا أدرى كان هذا بسبب تعييني وزيرا أم لأسباب تتعلق بالموقف عموما

وقال انه حاول ان يتصل بحافظ بدوى وكان وزيرا للشئون الاجتماعية ووزيرا لشئون مجلس الامة ليبلغه بتعييني ، ولكنه كان في جوله خارج القاهرة ، ولم يتمكن من الاتصال به ، وطبيعى انه كان يريد ان يؤجل اعلان القرار لأى سبب لأن وزير الداخلية لايعجز عن اجراء اى اتصال مباشر مع ايه جهة في الجمهورية .

شكرته وعدت الى مكتبي ولم ينشر القرار الا في اليوم التالى .

وماكدت اتولى منصبي الجديد حتى وجدت نفسي فجأة في حلبة الصراع .



السادات مع القذافى والاسد .. كانت الوحدة هى قميص عثمان لانقلاب ١٥ مايو

الفصل الثانى

الاتحاد مع ليبيا وسورية وتحول الدفة نحو أمريكا

لم تكد تمر ايام على تعييني وزيرا حتى اشركني السادات فى وفـد مصر فى المباحثات التى جرت فى القاهرة ، وحضرها الاسد والقذافى ونميرى (دول ميثاق طرابلس) وكان بين اعضاء الـوفد المصري حسين الشافعي وعلى صبري وعبد المحسن ابو النور ولبيب شـقير وشعراوى جمعه وسامى شرف .

وامضينا فى المحادثات يومين كانت اغلبها اجتماعات بين الرؤساء الاربعة .

واعتذر نميري عن الارتباط بأى شكل من اشكال الـوحدة نـظرا للظروف التى كان يمر بها السودان فى ذلك الحيـن وقيـام حـركة انفصالية فى الجنوب .

وأبدى الأسد استعداد سورية لأي شكل من اشكال الوحدة يُتفـق عليه بين دول ميثاق طرابلس .

اما القذافى فقد اكد على ضرورة قيام الوحدة الكاملة .

وفجأة أُخطرت بالاستعداد للسفر الى بني غازى وعلمت ان حسين الشافعي وعلى صبرى وصلهما نفس الإخطار .

واجتمعت فى بني غازى وفود مصر وسورية وليبية ، بعد ان غـادر نميرى القاهرة فى احدى زياراته الخارجية (وأظـن أنهـا كانـت للاتحاد السوفيتى).

وكان السادات قد اجتمع بى طويلا قبل السفر ، وتناقشنا حـول صورة الوحدة ، واقترحت صورة لجمهوريات عربية متحدة او اتحاد جمهوريات عربية ، تحتفظ فيه كل جمهورية بذاتيتها ، مع تكامل فى الشئون الخارجية والدفاع والامن القومى ، وخطط مشتركة للتنمية الاقتصادية ، كخطوة على الطريق الى الـوحدة الشـاملة ، حتـى

نتفادى فى هذا الوقت الخطير تجربة الوحدة والانفصال التى جرت بين مصر وسورية .
وعرض السادات هذه الصورة فى بداية المحادثات واختلف معه القذافى الذى كان ينادى بالوحدة الكاملة .

واخذ القذافى يناقش خلال جلستين ، امورا تفصيلية وتضاربت الآراء بينه وبين الاسد حول كثير من هذه التفصيلات .
وشكلت لجنة فى نهاية الاجتماع الثانى لتضع تصورها عن الاتحاد من خلال المناقشات التى جرت ــ وكنت المندوب المصرى فى هذه اللجنة ، وقضيت الليل بطوله ، وحتى الصباح ، بعد أن أخذ النعاس المندوبين السورى والليبى ، ووضعت صيغة لمشروع اتفاق الجمهورية العربية المتحدة .
واجتمعنا فى الصباح واخذ القذافى يفند كل نص جاء فى هذا المشروع ، مؤكدا على ضرورة الوحدة الكاملة ، ثم انتهى بعد مناقشات طويلة الى الموافقة على المشروع .
وتم التوقيع على الاتفاق ظهر نفس اليوم (١٧ ابريل سنة ١٩٧١) .
شعرت ان على صبرى لم يكن راضيا خلال الفترة التى قضيناها فى بنى غازى ، وقد حاولت من جانبى ان أضعه فى الصورة ، وأن اطلعه على كل المراحل .
وصمم السادات على ان يتصل فوزى عبد الحافظ سكرتيره الخاص بالقاهرة ، ويكلف سامى شرف بان يتصل بهيكل ليعد بيانا يلقيه السادات عند عودته من بنى غازى ، يعلن فيه مشروع اتحاد الجمهوريات العربية .
حاولت ان ارجىء ذلك حتى وصولنا الى القاهرة ، ولكنه اصر على ذلك . فوجى سامى شرف بهذا الخبر ، وسأل كيف يعد هيكل بيانا ، ونص الاعلان لم يصل ، ولا يعرف عنه شيئا الا ما اعلنته وكالات

الانباء . اتصل بى فاعطيته فكرة عامة عن المشروع وعن الخطوات التى ستتخذ لاقراره على اساس ان يكون للبيان مقدمة قصيرة حيث ان نص الاعلان واحكام المشروع ستكون هى صلب البيان ، وستكون صورته معنا عند وصولنا الى مطار القاهرة .

لم تكن هناك حاجة لهذه العجلة فى إلقاء البيان ، فالاتفاق ما زال مشروعا ، وقد اوردنا فيه نصا بضرورة عرضه على المؤسسات الشعبية والدستورية فى كل قطر من الاقطار الثلاثة ، ثم الاستفتاء عليه من شعب كل قطر ، ليأخذ صورته النهائية .

والانسان يحتاج الى نوع من التأمل ليصدر حكمه على الامور ، فقد لايفهم ملابسات الحدث واهدافه وقت وقوعه ، ولكن مع تتابع الاحداث وربطها البعض بالبعض يمكن ان ينتهى الى تحليل يقبله العقل والمنطق ...

السادات أراد أن يحقق نصرا ، سواء كان هذا النصر حقيقة — أم سرابا ، وان ينسب هذا النصر لنفسه ، فقط وان يدلل على انه توصل الى مالم يستطع عبد الناصر ان يحققه .

غير ان مفتاح الموقف الحقيقى يتجلى فى عبارة قالها لى السادات ، ولم اعلق عليها أهمية فى حينها . قال السادات بعد عودتنا من بنى غازى انه يستطيع الان ان يتكلم مع امريكا باسم ثلاث دول عربية .

كان السادات يبنى امالا كبيرة على مبادرة ٤ فبراير ، الخاصة باعادة الملاحة الى قناة السويس ، خاصة وإن روجرز وعد بزيارة مصر ثم زيارة اسرائيل ، ليبدأ جهودا امريكية (منفصلة عن جهود يارنج مبعوث السكرتير العام للأمم المتحدة) بعد ان اطمئن الى إن السادات قد اعلن عن مبادرة ٤ فبراير .

وهكذا كانت دفة السادات قد بدأت تتجه الى أمريكا ، وتصور أن الأوضاع تتيح له فعلا ان يتحدث الى أمريكا باسم ثلاث دول ، وأن الظرف مواتيا لذلك ، كان فى منظوره ان الأسد قام بانقلاب عسكرى

فى فبراير عام ١٩٧٠ تخلص به من جناح صلاح جديد المتشـدد ، والذى كان مصمما على دخول القوات السـورية الى حـدود الأردن الشمالية لأنقاذ المقاومة الفلسطينية من محاولة تصفيتها على يـد الجيش الأردنى فى أيلول (سبتمبر) الأسود ، ورفض الأسـد ، وكان فى ذلك الحين قائدا لسلاح الطيران ، أن يوفر مـظلة جـوية للقوات السورية ، وقد استطاع الأسد بهذا الانقـلاب ان يقضى على العناصر المتشددة من أمثال الأتاسى وزعين وماخوس ، وأصـبح الطريق فى تصور السادات ممهدا بين سورية وأمريكا .

والقذافى لم يكن ليمر يوم دون ان يهاجم فيه الشيوعية والاتحـاد السوفيتى ، وامريكا تتودد الى ليبيا ، فتستجيب الى طلبها بـاخلاء القاعدة الامريكية فيها ، وتساعد على اخلاء القاعدة البـريطانية ، وتعقد اتفاقات بترولية واسعة مع ليبيا .

واذكر عندما زرت الاتحاد السوفيتى فى رفقة السادات فى اكتـوبر ١٩٧١ ، ان بريجينيف كان يتساءل خلال المحادثات فى حيرة ، عن السبب الذى يحمل القذافى على مثل هذا الهجوم ، وليست هناك اى اسباب للعداء ، او اى اطماع للاتحاد السوفيتى فى ليبيا ، تحمـل القذافى على هذا الموقف ، ولم يرد السادات على هذه التساؤلات ..

كانت النظرية العسكرية لدى العسكريين المصريين ولدى العسـكريين السوفيت ، بل فى النظرة العامة للاستراتيجية العسـكرية بصـفة عامة ، تقتضى التنسيق بين مصر وسورية فى أى حـرب يخـوضها العرب ضد اسرائيل ، حتى ان السوفيت كانوا ينظرون الى الجبهتين كجبهة واحدة ، والى تسليح الجبهتين كتسليح لجبهـة واحـدة ، والمعدات التى تتوفر لجبهة تكمل المعدات التى تتـوفر للجبهـة الثانية فى حساب واحد .

هذا ما فهمته وفهمه عبد الناصر من قبل السادات فى كل المباحثات والاتصالات التى جرت مع السوفيت .

وكانت هذه ايضا قناعة العسكرية السورية والقيـادة السـورية

وحزب البعث ، كما فهمتها من كل المباحثات التى شاركت فيها .
فالتكامل العسكرى كان قائما والقيادة المشتركة كانــت قــائمة والتنسيق بين الجبهتين مستمر ومنتظم .
كما كان السادات ينظر الى نظام القذافى فى ليبيا كمصدر للتمــويل (السيولة كما كان يقول) ولم يكن النظام فى ليبيــا يتــأخر عــن الاستجابة لاى طلب .
فلماذا اذن كانت العجلة فى عقد مثل هذا الاتفاق ؟..
الحدث فى صورته المجردة هو تحقيق صورة من صور الوحدة بين ثلاث دول عربية ومهما كانت روابط هذه الوحدة ، فهو امر يرحب به كل عربى ويبتهج له ، بوصفه خطوة تقرب مــن الامــل العــربى الكبير .. الوحدة الشاملة ..
وهذه كانت قناعتى وانا اشارك فى التحضير لهذا الحدث واشترك فى صياغة بيانه واتفاقه ، ولكن مع تتابع الاحداث يتضح التــرابط والتلازم بين ٤ فبراير و ١٧ ابريل ١٩٧١ .
٤ فبراير ومبادرة فتح قناة السويس دليل اثبات يقدمه الســادات ليعبر لأمريكا عن استعداده للسير مع السياسة الامــريكية لحــل امريكى للقضية .
و ١٧ ابريل دليل اثبات آخر يقدمه السادات ليبرهن لامريكا انه لن يكون وحده فى السير مع السياسة الامريكية ، بل ستكون معه دولتان أخريتان : سورية وليبيا .
وكلا الحدثين ارهاص فى اتجــاه الســادات لــلارتباط بعجلــة الاستراتيجية الامريكية .
وجاء كل هذا تهيئة لزيارة روجرز وزير خارجية الولايات المتحــدة الامريكية المرتقبة ، ولم افهم هذا فى ذلك الحين ، ولــكنه مــوضع قناعتى الآن .
وبدأ الصراع يتصاعد منذ ١٧ ابــريل ١٩٧١ وحتــى ١٤ مــايو ١٩٧١ . ووجدت نفسى وسط هذا الصراع .



بعد ١٥ مايو إنقلب السادات على الوحدة مع ليبيا وها هو يقبل الملك السنوسى

الفصل الثالث

الاتحاد .. وبداية الصراع

تفجر الصراع إثر عودة السادات من بنى غازى . اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكي تجتمع وترفض مشروع اتفاق اتحاد الجمهوريات العربية المتحدة ، ولا يقف الى جانب السادات من اعضائها غير حسين الشافعي ومحمود فوزى ، ويطلب السادات ان يحال الموضوع الى اللجنة المركزية .

واللجنة المركزية تجتمع ويسر السادات اليّ قبل اجتماعها ، ان جميع اعضاء اللجنة من الصعيد سيكونون معه ، وهذا ما أكده له محمد عثمان اسماعيل واحمد عبدالاخر ويوسف مكادى ومحمد دكرورى، واسماء اخرى لا اذكرها من اعضاء اللجنة المركزية فى صعيد مصر .

وبدأت الجلسة وطلب على صبرى الكلمة واذا به يشن حملة ضارية على السادات ، على اسلوبه وتصرفاته وقراراته الانفرادية ، وعلى تهالكه على انجاز هذا الاتفاق ، هذا التهالك الذى كان محلا للتندر من القذافى ومن اعضاء مجلس قيادة الثورة الليبى ، ومحل التساؤل والاستغراب من حافظ الاسد .

واشار الى التناقضات القائمة بين سياسة حزب البعث العربى الاشتراكى ، والاتحاد الاشتراكي العربى والى فكرة القذافى عن الحركة العربية الواحدة والقضاء على حزب البعث فى سورية والاتحاد الاشتراكي فى مصر ، والى موقف الاسد الثابت فى ضرورة استمرار حزب البعث ، والى تراخى السادات فى الدفاع عن الاتحاد الاشتراكى .

أرسلت بورقة الى السادات طلبت فيها ان يعرض اقتراحا بقفل باب المناقشة والانتقال الى جدول الاعمال ، اعتمادا على ما أسر الى

به السادات من أنه مطمئن الى موقف اعضاء الصعيد ، وان محمود أبو وافية ومحمد حامد محمود » قد « ربطوا» أعضاء كثيرين من وجه بحرى (على حد قوله)

وعرض السادات الاقتراح فلم ترفع بالموافقة عليه الا أيدى ثلاثة ، يدى ويد هيكل ، ويد الدكتور محمد سيد درويش وكان وزيرا سابقا للصحة .

الدكتور درويش لازم بيته بعد ذلك لمرض شديد ألمّ به ويقيت أنا وهيكل ، جمعتنى به بعض المواقف والاحداث مع السادات حتى أوائل ١٩٧٢ ، ولم اعد اراه بعد ذلك الا فى مناسبات متباعدة ، حتى افاض السادات علينا ، قبل رحيله ، بكرم وفائه ، ليجمع بيننا فى سجنه بعد هجمته الشرسة على الوطنيين المصريين فى ٣ سبتمبر ١٩٨١ . واستأنف على صبرى هجومه وتلاه ضياء الدين داود وكان عضوا فى اللجنة التنفيذية العليا .

كانت ردود السادات ردودا متهالكة ، فالجو كان معبأ بالمعارضة ، بالاضافة الى طبيعة السادات التى سبق الحديث عنها ، فى انعدام القدرة على المواجهة أو فى الهروب من المواجهة

وطلبنا الكلام من القاعة ، واعطيت الكلمة للدكتور مصطفى أبوزيد فهمى ، فأثار بحثا دستوريا طويلا عن الفرق بين الدولة الاتحادية والاتحاد التعاهدى ، وان الخلاف الذى نشب سببه خطأ فى فهم طبيعة هذا الاتفاق ، فهو اتفاق تعاهدى ، واذا نص على ذلك فى الاتفاق فان اسباب الخلاف ستزول . . .

لم يكن فى كلام الدكتور مصطفى أبوزيد جديدا ولكننى وجدت الفرصة ملائمة ، وخاصة بعد ان اطال الدكتور ابوزيد فهمى فى كلامه ، وبعد ان استمر الاجتماع ساعات ، وبدأ الملل يتسلل الى اعضاء اللجنة ، وجدت الفرصة ملائمة ، لان اطلب رفع الجلسة حتى تعيد اللجنة التنفيذية العليا دراسة المشروع على ضوء الدراسة

الدستورية التى عرضها الدكتور أبوزيد ، وتعرض نتيجة ما تصل اليه على اللجنة المركزية .

ورفعت الجلسة لتجرى اجتماعات جانبية فى مكتب الامين العام للاتحاد الاشتراكى ، وكان عبدالمحسن أبوالنور ، وحضر هيكل هذه الاجتماعات لننتقل الى بيت السادات ، وكان قد انتقل الى بيته الجديد فى شارع النيل ، وانتهت هذه الاجتماعات الى تكليف سامى شرف والدكتور أبوزيد للسفر الى ليبيا، لمراجعة القذافى وتحديد طبيعة هذا الاتحاد .

ادخلت بعض تعديلات لفظية لا تغير من موضوع الاتفاق شيئا ، واعيد العرض على اللجنة المركزية وبعد مناقشات قصيرة قدمت اقتراحا بقفل باب المناقشة والموافقة على المشروع وتم ذلك باتفاق كامل . وأشهد ان كثيرين ممن اسماهم السادات بعد ذلك بمراكز القوى قد ساهموا بقسط كبير فى تهدئة الموقف .

وعرض المشروع بعد ذلك على مجلس الوزراء واحيل الى مجلس الامة ونوقش فى مجلس الأمة ووثق عليه ايضا ، بعد ان تحدث عدد من الاعضاء مؤيدين للمشروع .

وأذكر من بين الذين تحدثوا بحماس دفاعا عن هذا الاتفاق احمد يونس ، وقد كان رئيسا للاتحاد التعاونى الزراعى وله تأثيره على أكثر الفلاحين فى المجلس ، وقد اختاره اللـه الى جواره ، ولم يسلم أحمد يونس من فيض وفاء السادات ، فقد مات ، ومازالت قضيته قضية الاتحاد التعاونى الزراعى ، التى كان وراءها اثنان من اعز اصدقائه ، محمد حامد ومحمود ابو وافية وصحيفة الاخبار ورئيس تحريرها موسى صبرى ، بمباركة من السادات ، كانت ومازالت متداولة لسنوات امام محكمة الجنايات ، وقضى فيها ببراءة جميع المتهمين بعد وفاته ، وكان ذلك أيضا بعد رحيل السادات .

لقد أردت ان تكون مناسبة عرض الاتفاق على مجلس الأمة مظاهرة يعبر فيها المجلس عن تأييده للسادات ، اذ لمست خلال

مقابلاتي واجتماعاتي الطويلة معه في هذه الفترة ، انه في حالة يأس ، وقد تدفعه مثل هذه الحالة الى الاقدام على تصرفات خاطئة ، فأردت أن ارفع من روحه المعنوية لتسمح الظروف بعد ذلك باجراء المصالحة التي كنت ، وكان معي الكثيرون ، يتطلعون اليها حماية للثورة والنظام من أي انتكاس . خاصة وأن الصدام المسلح مع إسرائيل أصبح ضرورة حياة في نظر كل وطني . .

اعددت لهذا الغرض مشروع قرار باعلان الثقة بالسادات وتأييده واعطيته الى العضو نظمي مكاوي وكان من الاعضاء المقربين أسريا الى السادات ، ليوقع عليه من اعضاء المجلس وقد وقعها عدد كبير منهم (ولم تكن اسرة نظمي مكاوي بافضل من غيرها) ممن عرفوا السادات في ساعات الشدة . فقد شملها بفيض وفائه ، فقطع هو والسيدة حرم السادات كل اتصال بها بعد ان دانت له السلطة . وذهبت الى السادات في منزله في وقت متأخر من الليل وحملت اليه اخبار ما جرى في المجلس ، وقلت له أن الظروف أصبحت مواتية لتنقية الجو مما شابه من خلافات . . .

وأعود الى ما قبل ذلك بايام فقد طلب مني السادات الحضور الى استراحة القناطر في مساء نفس اليوم الذي نوقش فيه مشروع الاتفاق ، في اللجنة التنفيذية العليا ، ورفض باغلبية الاصوات ، كان حاضرا في هذه الليلة اللواء الليثي ناصف رئيس الحرس الجمهوري ، وكان الحديث دائرا حول خطة تأمين القاهرة . فهمت من الحديث ان هذه الخطة موضوعة منذ عهد عبدالناصر لتنفيذها وقت الحاجة الى حماية رئيس الجمهورية من أية اضطرابات أو محاولات انقلابية ، وإن الخطة جاهزة للتنفيذ في أي وقت .

ومنذ هذه الليلة شعرت ان السادات يدبر امرا ، وقد بدأ في التخطيط لتنفيذه ، وكان ذلك قبل اجتماع اللجنة المركزية وقبل مهاجمة علي صبري له .

ورد على ذهنى سؤال وجهته الى اللواء الليثى عن الجهة التى تملك اصدار الامر بتنفيذ الخطة رد الليثى بان الأمر يصدر اما من رئيس الجمهورية أو من سامى شرف (سكرتير الرئيس للمعلومات ووزير الدولة لشئون رئاسة الجمهورية . .)

وتركت التعليق للسادات فقال أنه يثق تماما فى سامى شرف ، وسأل الليثى عن رأيه . . فقال الليثى انه يضمن تماما سامى شرف حتى لو حدث خلاف مع شعراوى جمعه .

قلت اننى شعرت ان السادات يبيّت أمراً وهذا الذى حملنى على ان اعد مشروع القرار بتأييده فى مجلس الأمة ، عندما عرض على المجلس مشروع اتفاق اتحاد الجمهوريات العربية حتى ارفع من روحه المعنوية وتصبح الظروف مواتية لاجراء المصالحة .

وكنا فى الايام الأخيرة من شهر ابريل ، حيث كانت قد تحددت زيارة روجرز وزير الخارجية الامريكى لمصر ، وجرت محادثات طويلة بين السادات وروجرز ، وقد اشرت الى ما تجمع لدى عنها فى موضع اخر ، حيث ان السادات لم يحدثنى حديثا مباشرا فى شأنها .

على ان السادات قد كشف فى احاديثه وبياناته اللاحقة لزيارة روجرز وللاتصالات التى جرت مع أمريكا عن اهداف الولايات المتحدة الأمريكية فى المنطقة ، فقال فى اكثر من مناسبة ان هذه الاهداف هى ثلاثة اهداف :

أولها : اخراج الاتحاد السوفيتى من المنطقة ، ونحن نرى ان الاتحاد السوفيتى صديقا فى الحرب ، وصديقا فى السلام .

ثانيها : عزل مصر عن الأمة العربية ونحن لا نستطيع القبول تاريخيا ومصيريا بمثل ذلك ، لان مصر جزء من الأمة العربية قدرا ومستقبلا

ثالثها : ضرب التجربة الاشتراكية فى مصر ، ونحن نؤمن بطريقنا فى التطور ونصمم عليه الى اخر مدى .

(ويمكن ان نجد هذا المعنى فى عديد من خطبه فى ١٩٧٠ و١٩٧١ و١٩٧٢ وعلى سبيل المثال خطابه فى افتتاح الدورة الأولى

لمجلس الشعب ١١ نوفمبر ١٩٧١) .

فأى تطابق بين أهداف أمريكا فى المنطقة كما حددها السادات وبين ما ارتكبه بعد ذلك فى حق شعبه وامته العربية ، وسلوكه طريق التبعية العسكرية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية بلا تحفظ .

وانتهت زيارة روجرز واذكر ان بعض العناصر من تنظيمات الاتحاد الاشتراكى كانت تريد ترتيب مظاهرات سلمية للاحتجاج على هذه الزيارة ، وقد وجدت هذه الفكرة تجاوبا من الكثيرين ، ولكن شعراوى جمعه وكان مسئول التنظيم ، استطاع ان يقنع هذه العناصر بعدم القيام بهذه المظاهرات ومرت الزيارة بسلام .

واصبح الجو إكثر ملائمة لرأب الصدع ولكن السادات ــ كما قلت ــ كان يبيِّت امراً .







علي صبري .. نقله السادات من منصب نائب الرئيس الى قفص الاتهام

الفصل الرابع

إقالة علي صبري وافتعال الصدام مع السوفييت

فى صباح ٢ مايو سنة ١٩٧١ نشرت الصحف فى صدر صفحاتها خبر إقالة على صبرى من منصب نائب رئيس الجمهورية واستدعى السادات السفير السوفيتى فيلاديمير فونوجرادوف ليبلغه بذلك فى صباح اول مايو وكان ذلك قبل توجه السادات للاشتراك فى احتفال عيد العمال

وقد علمت بعد ذلك ان السفير قد رد على السادات بان هذه المسالة مسالة داخلية تخص مصر وحدها ، وانها لا تؤثر على العلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتى

واستقالة على صبرى او اقالته امر معقول اما استدعاء السفير السوفيتى وابلاغه بذلك فهو الامر غير المعقول ، ولايمكن ان يفسر إلا على اساس أن السادات اراد ان يضرب عصفورين بحجر واحد من ابعاد على صبرى ، وتلويث سمعته بشبهة الاتهام ، بانه عميل موسكو اورجل او عميد العملاء السوفيت ، كما كان يسميه فى بعض احاديثه وكتاباته ، ثم اختلاق خصومة مع السوفيت

صراع القوى قد يحمل السادات على ابعاد على صبرى ولكن الذى يحمل السادات على تدبير تظاهره واستدعاء السفير السوفيتى وابلاغه بذلك امر آخر.

وقد قال لى السادات فى ذلك الحين ان استدعاء السفير السوفيتى كان بهدف الا يؤثر ابعاد على صبرى على سير العلاقات المصرية السوفيتية وان السادات اراد ان يوضح للسفير ذلك!!

ولكننى علمت بعد ذلك ان السادات اكتفى بمجرد ابلاغ السفير بابعاد على صبرى وان السفير رد عليه بان هذه مسألة داخلية تخص مصر وحدها وهكذا تخلص السادات من على صبرى .. تخلص من

غريم حياته ، انتظر هذه اللحظة كما كان يقول منذ وقت طويل .

على صبرى يؤرق السادات كلما سمع من عبد الناصر انه الاشتراكي الوحيد فى كل من حوله ، وعلى صبرى اثار حفيظة السادات مجددا عندما زار موسكو على رأس وفد رسمي فى اواخر ١٩٧٠ بعد وفاة عبد الناصر ، واراد السوفيت ان تكون زيارته فرصة للتعبير عن استمرار تأييدهم المطلق لمصر ، بعد رحيل عبد الناصر واستقبل استقبالا حارا وحققت زيارته نجاحا كبيرا بتقديم موعد تنفيذ بعض التعاقدات العسكرية والاقتصادية من ١٩٧١ الى ١٩٧٠.

وعلى صبرى استطاع بتنفيذ الخطة ٦٠/٦٥ وهى الخطة الوحيدة التي نفذت فى مصر ـ استطاع ان يصبح من رموز نجاح التخطيط والاقتصاد الموجه فى مصر .

والسادات فى طبعه ان يغفل الحسنة ولايغفو عن السيئة وظل على اعتقاده بان على صبرى كان وراء نتيجة انتخابات اللجنة التنفيذية العليا التى اجريت فى ١٩٦٩ والتي جاء فيها السادات الخامس فى ترتيب اصوات اعضاء اللجنة التنفيذية العليا

ثم ان التخلص من على صبرى كان يحمل من المعانى ما كان السادات حريصا على تأكيده فى ذلك الحين

فالامر لدى السادات كان يساوى ان يرتب هذه التظاهرة ليترك الانطباع بان السوفيت كانوا وراء على صبرى فى تآمره عليه ، وليترك الانطباع بان السوفيت يتدخلون فى شئوننا الداخلية .

وكانت هذه بداية خلق المصادمات واختلاقها التى تتابعت حلقاتها بعد ذلك مع السوفيت

ولعلنى اذكر واقعة اخرى حدثت بعد ١٥ مايو ١٩٧١ وبعد ان تولى محمد صادق وزارة الحربية فى اعقاب القبض على محمد فوزى ، فقد اصدر السادات امره الى صادق ، بناء على اقتراح الاخير ، بان تمنع بتاتا اية زيارات اجتماعية بين الضباط المصريين

والمستشارين والخبراء السوفيت ، وان يعم هذا الامر على جميع الوحدات بدعوى ان محمد فوزى كان يسمح بمثل هذا التزاور

وفى اجتماع اللجنة المركزية فى ديسمبر ١٩٧١ تحدث السادات عن العلاقات المصرية السوفيتية وعن تأخر السوفيت فى تنفيذ تعهداتهم ، واعطى السادات الكلمة للفريق صادق وزير الحربية فتحدث طويلا عن عدم تنفيذ السوفيت لالتزامهم وتعهداتهم ، حتى أثار موجة من اليأس بين اعضاء اللجنة المركزية فى امكانية دخول مصر المعركة مع اسرائيل ، وقد اخذ الامر يتضح لى بعد ذلك ، من ان هدف السادات من ذلك هو افتعال الظروف والعلل للتسويف فى اصدار الأمر ببداية المعركة .

اضطررت بعد ان انتهى اجتماع اللجنة المركزية ان اعقد اجتماعا مع الامانة العامة للجنة المركزية ومع امناء المحافظات ، لتخفيف وقع حديث الفريق صادق ، وان اعود الى السادات بصيغة البيان الذى يصدر عادة عن اللجنة المركزية بعد اجتماعها ، وفيه تأكيد على حتمية المعركة ودعوة الحكومة السوفيتية وللحزب ولجنته المركزية ، بتكثيف المساعدات العسكرية والتعجيل بارسالها ، لتكون مصر قادرة على قهر العدوان وازالة اثاره .

كانت عقيدتى منذ اليوم الاول اننا لن نصل الى اى اتفاق عن طريق الاتصالات الدائرة مع امريكا ، وليس لنا سند فى معركتنا التى ستفرضها الظروف غير الاتحاد السوفيتى ، وعلينا الا ننكل عن الالحاح وعن استمرار الاتصال والضغط لاستكمال المعدات الضرورية لمعركتنا

كانت هذه سياسة عبد الناصر مع السوفيت ، وكانت محاولاتى مع السادات ان نستمر فى هذه السياسة لأننا كنا دائما نصل الى مانطلبه ولو تأخر بعض الشىء

ولست هنا فى صدد ماقدمه السوفيت لتعزيز قدراتنا العسكرية فهذا

امر تقييمه من اختصاص العسكريين ، وقد قيمه التقييم الصحيح الفريق محمد فوزى وزير الحربية الاسبق فى مذكراته عن حرب الثلاث سنوات ١٩٦٧/ ١٩٧٠ ، وقد كان عملى هو خدمة السياسة التى تمكننا من الحصول على الطلبات التى يحددها العسكريون اما عن المساعدات السوفيتية والاشادة بها فقد تضمنتها بيانات واحاديث السادات فى ١٩٧٠ و١٩٧١ و١٩٧٢ و١٩٧٣ وهى فى مجموعة خطب واحاديث السادات التى اصدرتها الهيئة العامة للاستعلامات .

فوجئت شخصيا بما نشر عن اقالة على صبرى ، ورغم اننى كنت مع السادات الى وقت متأخر من الليلة السابقة فلم يشر الى هذا الموضوع من قريب أو بعيد .

وكان خطاب السادات فى عيد العمال قد زاد الازمة تفجرا ، فقد اشار فيه الى انه يتمثل بما قاله عبد الناصر من ضرورة تفرد رئيس الجمهورية بالسلطة واتبع ذلك باقالة على صبرى

عاودت مفاتحة السادات فى ضرورة السعى لازالة سوء التفاهم والخلاف ، وكانت القطيعة قد اشتدت بعد اقالة على صبرى

واستطعت ان أقنع السادات بمقابلة عبد المحسن ابو النور ، وكان امينا عاما للاتحاد الاشتراكى ، كما بذلت جهودا لجمع السادات ولبيب شقير رئيس مجلس الامة ، تركتهما معا طوال ثلاث ساعات رغم اننى كنت فى منزل السادات ، حتى طلبنى السادات فى الساعة الحادية عشرة مساء وقال لى : سنرافق الدكتور لبيب الى المستشفى (مستشفى الشبراويشى) لمعاوده ابنه أو ابنته المريضة ، رحبت بذلك لما وجدت فيه من بادرة طيبة .

ومن كثرة الحاحى قال لى مرة انه على استعداد لمقابلة اى شخص الا ضياء الدين داوود ، واذكر فى ذلك الحين ، اننى اجتمعت فى مكتبى مع ضياء الدين داوود ورجوته ، ان يترك القاهرة

لبضعة ايام ، وقلت انني كفيل بعد ذلك باعادة المياه الى مجاريها ، وعرضت عليه مفتاح شقتي في الاسكندرية لقضاء بضعة ايام فيها بعيدا عن القاهرة ودمياط

ولم يلبث حدث عارض ان افسد محاولاتي ، أو تصورت ذلك لاعادة العلاقات الطبيعية بين السادات ولبيب شقير ، والحدث يدل على طبيعة السادات التي لاتحتمل الخلاف ولا تحتمل المواجهة اصلا ، اصطحب لبيب شقير معه ضياء الدين داوود في الاحتفال بذكرى المولد النبوى الشريف في جامع الازهر في ٦ مايو سنة ١٩٧١ ، ووجد السادات نفسه وجها لوجه امام ضياء الدين داوود الذى يكرهه كراهية التحريم ، ولان الكراهية تتملك كل حواسه وتأخذ عليه كل جوانب مشاعره اذا واجه من يكرهه او يختلف معه فقد عاد الى المنزل بعد انتهاء الحفل لتتفجر كل هذه المشاعر في ثورة عارمة على الجميع

واذكر خلال هذه الفترة ان الزيارات في مكتبي لم تكن تنقطع ، زارني في هذه الفترة فؤاد محيي الدين الذى اصبح بعد ذلك وزيرا مقربا الى السادات ثم رئيسا للوزراء ، وكان محافظا للشرقية ، وقد كان فؤاد محيي الدين صديقا ، ونصحني بعدم الاصطدام بالتنظيم الطليعي ، وضخم لي من قوة هذا التنظيم وحذر من محاولة السادات حله ، واعتقد انه كان رئيسا لهذا التنظيم في ذلك الوقت في الشرقية ، وانه شغل مراكز اخرى في هذا التنظيم

وأريد ان أؤكد ان المصالحة في هذه الفترة كانت ممكنة فقد تحسنت العلاقات مع عبد المحسن ابو النور ومع لبيب شقير وكانت العلاقات مستمرة يوميا مع شعراوى جمعة ومع سامي شرف ولكن السادات كان يبيت امراً آخر .

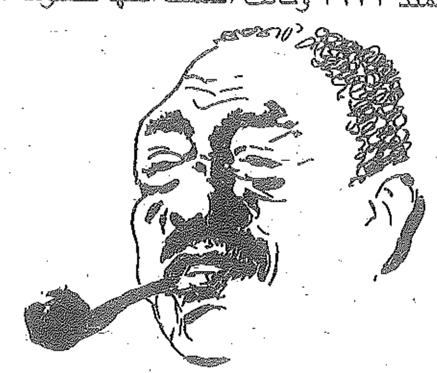
واثار السادات مع شعراوى جمعة امين التنظيم ووزير الداخلية مسألة اعادة انتخابات الاتحاد الاشتراكي من القاعدة الى القمة ، وكلف شعراوى جمعة بهذه المهمة

وفى استطاعتى ان اجزم الآن ان تكليف شعراوى باعادة انتخابات الاتحاد الاشتراكى من القاعدة الى القمة كانت مجرد مناورة من السادات ، أراد بها ان يشق الصف ويثير الوقيعة بين شعراوى جمعة وامناء اللجنة التنفيذية العليا واعضاء اللجنة المركزية ، فما كان السادات ليترك الانتخابات ليشرف عليها شعراوى جمعة

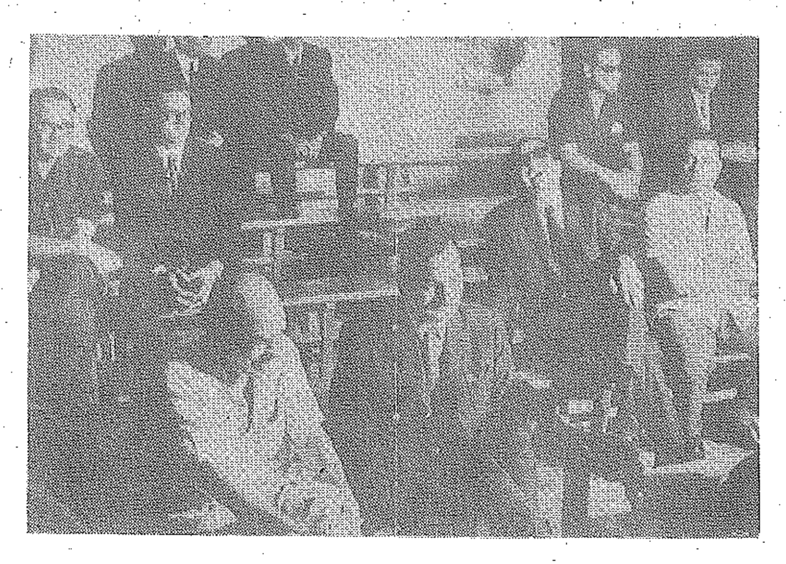
فالسادات فى ذلك الحين كان قد اصبح اسير بيته واسير الاتجاهات التى تدور فى هذا البيت من جانب سيد مرعى ومحمود ابو وافيه (عديل السادات) واحيانا حامد محمود (غفير السادات كما كان يقول) ومعهما وقبلهما السيدة حرم السادات والسيدة حرم ابو وافيه ، اذ لم يكن من حديث مع السادات ليل نهار الا الهجوم على شعراوى جمعة واتهامه بانه أس كل بلاء ، فهو وفقا لهم الذى زوّر الانتخابات السابقة ، واسقط محمود ابو وافية لانه عديل السادات ، وهو كان مع على صبرى فى كل خطواته ومؤامراته .

ويكفى ان نقول ان كثيرا من القرارات التى تمس اخطر القضايا المصرية اتخذت فى هذه الدائرة الضيقة بل فى دائرة اضيق منها .

وتتطور الامور بعد ذلك ليصبح فى مصر حكومتان احدهما تتمركز فى لاظوغلى والاخرى فى الجيزة — وطبيعى ان تكون الغلبة فى كل قرار لحكومة العائلة هذا اذا افترضنا وقوع خلاف بين الحكومة الرسمية وحكومة العائلة فمنذ ١٩٧٣ وكانت السلطة كلها لحكومة العائلة







الذين قادوا السادات الى مقعد الرئاسة .. فقادهم الى قفص الاتهام

الفصل الخامس

تفجر الصراع وانقلاب ١٥ مايو

شعرت اننا مقدمون على تطور خطير عندما بدأ السادات فى زيارة الوحدات المختلفة للقوات المسلحة .

وفوجئت فى صباح يوم الخميس ١٣ مايو بسيارة من رئاسة الجمهورية ومعها رسالة من السادات يطلب موافاته عاجلا فى منزله

بادرنى بالقول انه وضع يده على المؤامرة وقص على قصة اشرطة التصنت والاستماع ، وقال انه قرر التخلص من شعراوى جمعه . كان الترشيح لوزارة الداخلية محصورا بين اثنين ، صلاح مجاهد محافظ دمياط وممدوح سالم محافظ الاسكندرية ، كانت كفة صلاح مجاهد مرجحة لأن ممدوح سالم كان معروفا بأنه من قيادات التنظيم الطليعى ، ورئيس هذا التنظيم فى الاسكندرية ، وقبل ذلك فى محافظات اخرى ولكن حسم الموقف وصول تقرير سرى من سكرتير عام محافظة دمياط (احمد الحداد) عن اجتماع عقده ضياء داوود فى دمياط وهاجم فيه السادات ، وكان صلاح مجاهد محافظ دمياط حاضرا هذا الاجتماع . واصبح ممدوح سالم وزيرا للداخلية .

لم يكن اسلوب التسجيل والتصنت غريبا على السادات فقد كان يعلم به وكان احيانا يطلب الى سامى شرف فرض الرقابة على مكالمات بعض الشخصيات عسكرية ومدنية

واذا كان السادات قد تظاهر باحراق اشرطة التسجيل والتصنت بعد ١٥ مايو ، ليحسب هذا من حسناته وانتصاراته ، فقد فرضها بعد ايام على محمود رياض وزير الخارجية ، لانه رفض تصديق قصة اشتراك محمد فوزى فى مؤامرة مايو ، بل ان اجهزة التسجيل والتصنت لم تجد رواجا مثل ما وجدته فى عهد تولى السادات لرياسة

الجمهورية ، وتطورت اجهزة التسجيل والتصنت فى عهد رياسته للجمهورية واخذت أحدث ما فى العلم والتكنولوجيا الغربية

ولعل هذا الجانب هو الذى حظى بالاهتمام الاكبر فى نقل احدث ما انجزته تكنولوجيا العصر

ونصل الى مساء يوم ١٣ مايو ، فما كادت الاذاعة تبدأ فى اذاعة استقالات اعضاء اللجنة التنفيذية العليا وبعض الوزراء حتى استدعيت على عجل الى منزل السادات

ولم يكن فى المنزل فى ذلك الحين غير السادات ، وكان يلبس ملابسه المنزلية والسيدة حرم السادات وهيكل .. كان هيكل فى حالة قلق شديد ولم يتوقف عن السير جيئة وذهابا الى الصالون وهو يقول « ربنا يستر .. ربنا يستر .. » وكانت السيدة حرم السادات فى حالة ذعر بيّن ، اما السادات فقد كان جالسا الى جانب التليفون وهو يضع الطبنجه الى جانبه .

كان الصمت يخيم على جميع من فى منزل السادات ، اردت ان اقطع هذا الصمت قلت للسادات طبنجة ايه ياريس اللى انت حاططها جنبك .. دا انا دخلت البيت بسيارتى الخاصة ، ولم يسألنى احد من الحرس الى أين انت ذاهب ، والحالة عادية تماما فى الخارج ، ولو كانت هناك مؤامرة لنفذت بكل بساطة .. علينا ان نفكر سريعا ايه اللي حنعمله ، قال السادات انا ارسلت محمود ابو وافية لاحضار محمود فوزى لاننا لم نستطع ان نتصل به فى التليفون فى منزله ، (فى الهرم على ترعة المريوطية) .. والسيد مرعى لايرد تليفونه .. قلت له ليس المهم الان سيد مرعى او محمود فوزى ، ان امامنا مهمتين عاجلتين ، السيطرة على الاذاعة ، وضمان امن القاهرة ، قال انا طلبت الليثى ناصف وجاى حالا لضمان امن القاهرة

وتوقف هيكل وقال عليك يازيات تروح الاذاعة . قلت لهيكل انت اقرب الى جو الاذاعة منى ، فقد كنت وزيرا للاعلام فقال انا مش

ممكن اروح اى حته .. ونظرت الى السيدة حرم السادات نظرة فيها رجاء .

وقبلت المهمة وانا اقدر خطورتها ، لم تكن الكراهية لشخص او الولاء لشخص او الطمع فى مركز دافعى على ما أقدمت عليه .
كان السادات المؤسسة الدستورية الوحيدة القائمة فى تلك الليلة ، وكانت المحافظة عليه هى الضمان الوحيد لسلامة مصر ، والليلة كانت تسمح لاى مغامر ان يستولى على الاذاعة والتليفزيون بل ان يستولى على السلطة ، فقيادات التنظيم السياسى قد استقالت والتنظيم العلنى والتنظيم السرى والطليعى يمكن ان تحركه اية عناصر غير مسئولة ، ومجلس الامة استقال رئيسه وترك السلطة التشريعية عرضة لأن تحركها الصراعات ، وقواتنا المسلحة قد تركها وزير الحربية والقائد العام للقوات المسلحة ولانعرف الاجواء والاتجاهات التى تسيطر عليها وليست هناك حكومة يمكن ان تسيطر على الموقف او تمسك بزمام الأمور ، وكنت اعرف فى ذلك الحين ان وزير الداخلية لم يكن يحتكم فى هذا الوقت على اكثر من ١٠٠٠ جندى فى القاهرة لو كانت هناك مؤامرة مخططة لكان الامر أهون .. والى جانب هذا الصراع قائم بين طرفين ينتميان الى خط عبد الناصر ، بل ان السادات فى ولائه غير المحدود وتوافقه غير المشروط مع خط عبد الناصر ومع الثورة ومبادئها والقيم التى ارستها ، يذهب الى ابعد مدى ، كما توهمت إذ ذاك ، وهو ان استمر فى الحكم سيضيف عمقا ديمقراطيا الى الثورة كما توهمت ايضا اذ ذاك .

وكانت هذه الاعتبارات كلها هى التى قادت خطاى الى مبنى الاذاعة والتليفزيون ، وكانت هذه الاعتبارات هى التى جعلتنى اتقبل راضيا السير فى طريق محفوف بالمخاطر ، قد يكلفنى فى المدى القصير او الطويل حياتى .

قابلني وانا فى طريقي الى الخروج من منزل السادات الليثي ناصف رئيس الحرس الجمهوري وقال لي انه بدأ فى توزيع قواته فى القاهرة ، وانه يأسف لان القوات لن تصل الى الاذاعة الا فى الساعة السادسة صباحا وطمأنني على الحالة من القاهرة ... ورافقني الى مبنى الاذاعة ضابط شاب من حرس رئيس الجمهورية ، اذكر اسمه عبد الرؤوف حتاتة ومعه مدفع رشاش لا ادري هل كان فيه ذخيرة ام لا ..

كنا فى وقت متأخر من الليل فقد اذيعت نشرة اخبار الساعة الحادية عشرة مساء واوردت الاستقالات وسبقتها ولحقتها اناشيد مثيرة ..

وتوجهت الى مكتب الوزير وحاولت ان اخلق جوا من الرهبة والتهديد ، استدعيت المسئولين الذين تصادف وجودهم فى ذلك الحين فى مبنى الاذاعة ، وكان من بينهم محمد عروق وسعد زغلول واسحق حنا ومنير حافظ الذى كان مديرا للاستعلامات ، وكتبت على عجل قرارا بتعيين نفسي وزيرا للاعلام بالاضافة الى عملي كوزير دولة لشئون مجلس الامة وكلفت المسئولين باذاعة القرار .

اصدرت اوامري بوقف اذاعة الاستقالات ووقف اذاعة الاناشيد المثيرة ، ولم يخالف هذه الاوامر الا محمد عروق ، وكان مديرا لاذاعة صوت العرب فقد اعاد اذاعة الاستقالات من اذاعة صوت العرب ثم غادر المبنى مباشرة ، وعينت سعد زغلول محله مشرفا على اذاعة صوت العرب وعلى الاذاعة العامة ، وبدأ استدعاء جميع المسئولين عن الاذاعة من منازلهم ، وكان اهتمامي الاول بالقسم الهندسي ، فقد كنت اعرف ان هناك محطات فى ابي زعبل وفى طره وغيرهما من الاماكن ويمكن استخدامها ، واجريت اتصالات بجميع المحافظين فى المحافظات التي تقع فيها هذه المحطات للانتقال فورا الى مراكز هذه المحطات والمحافظة عليها ومتابعة ما يجري فيها ، وقررت ان تكون اذاعة صلاة الجمعة من مسجد الاذاعة وكان

مقررا ان تذاع من احدى المحافظات .

ووجدت تعاونا من جميع ممن تواجدوا معى فى هذه الليلة من العاملين فى الاذاعة ،كان العمل مرهقا ومتشعبا تحملته بصبر واصرار وعندما جاء وقت الاذاعة الصباحية كانت درجة الامان قد وصلت الى ٩٠ ٪

وخلال هذا امكن تدبير خط مباشر بين الاذاعة ومنزل السادات ، واخذت اتلقى بيانات التأييد وبعض الاخبار لاذاعتها تباعا ، واذكر ان اول بيان أمرت باذاعته من بيانات التأييد قد ابلغنى به عزيز صدقى الذى كان نائبا لرئيس الوزراء ووزير الصناعة ، وكان قد وصل الى منزل السادات بعد مغادرتى له مباشرة .

ان المجهود الذى قام به عزيز صدقى فى هذه الليلة ــ والذى حاول السادات ان يطمسه ــ لابد وان يذكر فقد اجرى اتصالا مع جميع رؤساء ادارات المؤسسات وشركات القطاع العام ومع العديد من الزعماء النقابيين وامكنه ان يؤمن جبهة العمال .

ولم يصل الحرس الجمهورى الى مبنى الاذاعة والتليفزيون الا بعد الساعة السادسة صباحا ،كما وعدنى الليثى ناصف ، حيث دخل على احد ضباطه ليبلغنى التمام .

وكان امامى عمل آخر اؤديه وهو ان اعد مجلس الامة للاجتماع فى نفس اليوم ، اى فى مساء يوم الجمعة ١٤ مايو لان يومى الخميس والجمعة قد اتصلا معى ليل نهار فى هذا الوقت العصيب . ووقع اختيارى على حافظ بدوى ليكون رئيسا للمجلس وكان وزيرا للشئون الاجتماعية وذلك بدلا من لبيب شقير الذى استقال فاتصلت به فجر يوم الجمعة فى كفر الشيخ وطلبت منه ان يوافينى بأسرع مايمكن الى مبنى الاذاعة .

وكان عدد من اعضاء المجلس قد بدأوا يتوافدون على مبنى الاذاعة بعد ان اصبحت الاذاعة مؤمنة بالحرس الجمهورى .

واخذت فى اليوم التالى اى يوم الجمعة ، انتقــل بيــن المجلس لأجتمع بالاعضاء لاعدادهم لجلسة المساء واعداد الاوراق الخاصة بالجلسة ، وبين الاذاعة لاطمئن على سير البرامج ومراجعة الاخبار والاحاديث قبل اذاعتها واذكر انه كان من بين فقرات التليفزيون فى يوم ١٤ مايو حديث .. لسفير الاتحاد السوفيتى وصدر توجيه من يحيى عبد القادر رئيس اتحاد الاذاعة والتليفزيون بوقف بثه ، ولكننى امرت بأن تستمر البرامج كما هى دون تعديل .

واذكر ان السادات اتصل بى بعد القاء بيانه يوم ١٤ مايو وقال لى انت فين .. وقلت له انا فى الاذاعة ، قال لى احنا منتظرينك علشــان اداء اليمين فى قصر القبة .

والان وانا اطل على هذه الاحداث من بعيد لايتملكنى العجـب فى ان السادات قد حسب علىّ هذا الموقف ولم يحسبه لى .. وان موقفى هذا منه قد اثار حقده وحفيظته بل كان من الاسباب التى حملته على ان يشن حربا ظالمة على شخصى . الم يكن الناس قد بدأوا يتحدثون عن دورى وتسلط الاضواء علىّ ..

وانا لا أنكر الاسباب الجوهرية التــى بــاعدت بينــى وبيــن السادات ، وجعلتنا نقف على مفترق الطرق ، لايمكن ان نتــلاقى ، ولكنى اتساءل عن الآخرين الذين ساندوه فى ساعات حاجته ونصروه فى ساعات ضعفه ، لم يختلفوا معه قط اختلافا سياسيا بل أيــدوه فى كل تصرفاته؟.. ولا استطيع استبعاد العوامل النفســية فى تــكوين السادات وانا اجيب على هذا السؤال .

قال هو نفسه ذلك فى كتاب البحث عن الذات :

« عندما انظر اليوم الى الثمانية عشر عاما الاولى من الثورة قبــل ان اتولى الرياسة اجد ان هذه الفترة من حياتى كانت فترة معاناة ولم ادرك سببها فى ذلك الوقت ، فقد ظلت كامنة فى العقــل البــاطن .. ولكنها احدثت خللا فى توازنى » .

السادات يعيش ازمة مع نفسه ، أزمة إشفاق على الذات ..

ليس من احد له قدراته ..وليس من احد ضحى مثل ماضحى .. وليس من احد شوهت صورته مثل مانالته من تشويه ..وليس من احد تنكر له زملاؤه وانكروه مثل مالحقه من تنكر وانكار ، والآن واتته الفرصة ليثبت ذاتيته المهيضة ويستظهر قدراته المكبوتة ويفرض تميزه وبطولته على هؤلاء الذين انكروا عليه هذا التميز والبطولة وعلى الجميع ان يعترفوا بأنه الأوحد فى كل مافعل .

ولذلك فهو طوال عشر سنوات منذ توليه السلطة لم يترك شخصا شاركه الطريق، او اشترك معه او ساهم بقسط فيما جرى ،الا ودفع به الى دائرة الظل ، ليركز البريق على ذاته ولايتذكر الناس غيره .. كل انسان عايشه وناصره ونصره واخلص له ووقف الى جانبه فى الاوقات الصعبة واللحظات الحاسمة القى به الى زاوية النسيان او امتدت اليه يد البطش والتجريح ليظل هو الاوحد ، الفضل له وحده ولافضل لغيره .

لايريد ان يتذكر شخصا عرفه فى هذه الساعات بل يريد ان يمحو من عقله ومن ذاكرته هذه الساعات بكل ماتحمله من احداث واشخاص ويريد ان يمسح من وجدانه انه عرف شخصا كان متميّزا عليه فى جانب من جوانب الحياة .

فهو فى عقله وحكمته ونبوغه وإلهامه الوحيد وليس هناك من بشر يدانيه .

وتتصاعد النزعه النخبوية والتميزية حتى تصل الى الحافة

يريد ان يرى فى نفسه كل يوم البطل والقائد المنتصر والملهم وصانع التاريخ ومفجر الصدمات الكهربائية التى يعجز غيره عن مجرد الاقتراب من التفكير فيها فهو كبير العائلة ،تميّز قَبلى عرفته العصور الأولى لرجل يملك الأرض ومن عليها ويتصرف فى الأرض وماعليها . الكل رعاياه والرقاب طوع امره ،هو قانون العائلة وقراره هو القول الفصل فى كل مايخص العائلة لا احد يسأله ولا احد يراجعه

والا اصبح خارجا على قانون العائلة الذي يتمثل في كبير العائلة

ثم اذ به يقرر وهو رئيس الجمهورية – الحكم بين السلطات – ان يرتدي الزى العسكري وان يتشح بوشاح القضاء ، وان يمسك بعصا المارشالية ، ليرمز الى ماتميز به عن غيره من بصيرة القرار وميزان الحكمة وسطوة القوة .. الكل في واحد .

ثم اذ به يسر الى جيمى كارتر رئيس امريكا والى برجينسكى مستشار امنه القومى انه وعبد الناصر اخر الفراعنة العظام في تاريخ مصر . ثم يقول لجيمى كارتر ان الناس ينظرون إلىَّ على انني خليفة لجمال عبد الناصر وليس ذلك صحيحا فانا لا احكم مصر وفقا لأسلوبه ، انما احكمها طبقا لاسلوب رمسيس الثانى ثم يتبع ذلك متجنيا على الشعب المصرى بقوله : « ذلك مايفهمه الشعب المصرى بطبيعته وذلك مايريده »

كانت عبادة البطل ، عبادة الفرعون امنيته التى سيطرت على فكره وافعاله فهو يتشبه بالفراعنة الذين بنوا الأهرامات لتخلد ذكراهم ابد الآبدين فيعلن عن اقامة مجمع الأديان (الاسلام والمسيحية واليهودية) في سيناء ليكون مقامة الخالد الى يوم يبعث كأسلافه الفراعنة

ويوغل في النخبوية والتميز فتسأله صحفية اجنبية عن حقيقة ما يقال وينشر ان السيدة حرم السادات تملك ثراء واسعا ولها معاملات مالية متشعبة .. فيكون رده انها تتاجر مثلها مثل السيدة خديجة زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم .

واذا كانت السيدة حرم السادات مثل السيدة خديجة عليها رضوان الله فمثل من يكون السادات نفسه ؟

ويقول في حديث آخر انه يسير على خطى خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز ليوحى الى اذنابه بتقديم اقتراح الى مجلس الامه بان يطلق عليه « سادس الخلفاء الراشدين » وتخرج المظاهرات من القوة الضاربة في المقاولين العرب (وهذا هو التعبير الذى اطلقه

عثمان احمد عثمان فى كتاب ـ تجربتى ـ عن العاملين فى المقاولين العرب) لتخرج هذه المظاهرات منادية به سادس الخلفاء الراشدين .

وماذا بعد ذلك اليس هو الأوحد حتى فى خلقه عز وجل ، الم ينقل احد كتابه وندمائه فى احدى مقالاته الاسبوعية التى خصصت لها صحيفة الأهرام

صفحة كاملة بأمر السادات ، الم ينقل هذا الكاتب وهو استاذ جامعى قول السادات « ان الملائكة فتحوا صدر سيدنا محمد الشريف وأخرجوا منه القطعة السوداء أما أنا (اى السادات)فقد خلقت بدون القطعة السوداء .

ولنا ان نتساءل بعد ذلك اين الفريق الليثى ناصف قائد الحرس

الجمهورى الذى وقف الى جانب السادات يوم ١٤ مايو والذى قيل انه سقط من شرفة منزله وهو يعالج فى لندن واين الفريق احمد بدوى والقادة الابطال الذى قيل ان طائرة عمودية قد سقطت بهم وقد كانت الأضواء تتسلط عليهم ككوكبة من كواكب النور فى الأداء العظيم للعسكرية المصرية فى حرب اكتوبر

واين واين ؟ علامات استفهام كثيرة نتركها للتاريخ للاجابة عليها .

وفى اعتقادى انه ليس هناك مايفصل هذا الحديث عن انقلاب ١٥ مايو فقد كان الانقلاب هو البداية فى انضاج هذه النزعات التى كانت مترسبة فى ذات السادات والنهايات هى حصاد البدايات .

ويحضرنى فى هذا المقام الأول قول الامام القرافى احد الائمة المسلمين) : كان يوجد فى عهد كل ظالم من علماء السوء من يمهد له الطريق لبعض مايريد من اتباع الهوى (تفسير المنار ج ٧ ص ١٩٧) .

فليس ما أصابنا من سوء من فعل السادات وحده ولكنها من فعل صفوف طويلة من اتباع الهوى ومستشارى السوء زينوا له مافعل

وتسابقوا الى ارضاء نزعاته واهوائه وتقديس ذاته فى عهد راجت فيه كل صور الانتهازية والنفاق والوصولية ، وارتفع ثمنها نقدا أو جاها أو مركزا أو سلطانا . وهؤلاء دائما هم آفة كل عصر وزمان .

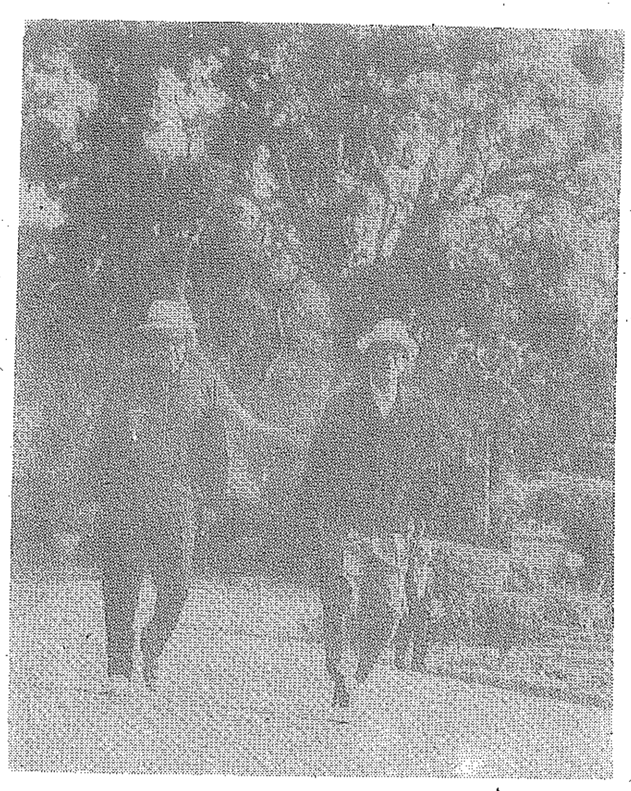




القسم الثالث

مع السادات بعد ١٥ مايو





في ملابس الرياضة مع عثمان احمد عثمان .. المستشار الأول فيما بعد

الفصل الأول

بيان ١٠ يونية ١٩٧١
أو المحـاولة الأولى لوقف الردة

فى اعقاب ١٥ مايو سنة ١٩٧١ اعاد السادات تكليف الدكتور محمود فوزى بتشكيل الوزارة ، وأصدر قرارا بتشكيل امانة مؤقتة للاتحاد الاشتراكى العربى ، رأسها الدكتور عزيز صدقى ، وكان نائبا لرئيس الوزراء ووزيرا للصناعة ، وتوليت امانتها ، الى جانب عملى كمستشار سياسى للسادات ، ووزير لشئون مجلس الامة . وكان من بين اعضاء الامانة الدكتور فؤاد مرسى امينا للشئون الاقتصادية ، والاستاذ ابراهيم شكرى امينا للمهنيين ، والسيد صلاح غريب امينا للعمال والسيد عبد الحكيم موسى امينا للفلاحين .

وعهد السادات الى الأمانة المؤقتة مهمتين ، مهمة تعبئة الجماهير واعدادها للمعركة مع العدو الاسرائيلى فيما سماه بعد ذلك بعام الحسم ، ومهمة الاشراف على اعادة تشكيل الاتحاد الاشتراكى العربى من القاعدة الى القمة عن طريق الانتخاب ، وكذلك الاشراف على اعادة انتخاب التنظيمات النقابية العمالية والمهنية .

تولينا المهمة بأمانة ودأب فى ظروف صعبة .

كان لكل واحد من اعضاء الامانة المؤقتة ، من منطلقه الخاص ، صلة بفكر عبد الناصر ، وارتباطا بثورة يوليو سنة ١٩٥٢ ، وتصميما على مواصلة مسيرة الحرية والاشتراكية والوحدة . نوافق على ان ننقى المسيرة من بعض كبواتها ولكن ليس الى ارتداد أو ردة ، بل لمواصلتها اقوى مما كانت ، واكثر قدرة على التحدى ومواجهة التحدى .

كانت هذه قناعتنا ، ولم يكن اى منا فى حاجة لأن يناقش الآخر

ليصل الى هذه القناعة ولكنها كانت قناعة راسخة فى ضمير كل منا ، ضميره الوطنى وضميره القومى .

وكانت قناعتنا ايضا ، اننا نعمل لصالح السادات نفسه من خلال عملنا لصالح الوطن . وكانت قناعتنا اخيرا ان الظروف الموضوعية التى تحققت للسادات اعطته فرصة العمر ليكون حاكما ديمقراطيا لبلد ديمقراطى حقيقة وواقعا .

ولكن قناعات السادات نفسه كانت شيئا آخر تماما ، فيما تبدّى خطوة بعد خطوة . كنا نعمل فى واد ، والسادات فى واد ، كنا نسير الى هدف محدد وواضح ، والحديث يدور بين السادات وندمائه واصدقائه الجدد فى واد آخر .

ولم يكد ينقضى على عمل الامانة المؤقتة اكثر من اسابيع قليلة ، حتى تأتى لها ان تواجه السادات ، لتعرف اين يقف تماما من خط ثورة ٢٣ يوليو ، ولتحدد على هذا الضوء اين تقف هى منه . .

تسربت الى الامانة المؤقتة للاتحاد الاشتراكى انباء مقلقة ، عن احاديث خاصة تدور فى بيت السادات ، تنبىء بتيار معاكس للخط الذى انتهجته ثورة ٢٣ يوليو فى مختلف الاتجاهات ، وعن بداية للغمز واللمز فى هذه الاحاديث ، لكل ما كان يجرى فى عهد عبد الناصر . وبدأ المسئولون الامريكيون فى القاهرة يرددون فى مجالسهم الخاصة ، فحوى الاحاديث التى تدور فى بيت السادات ، والاتجاهات الجديدة التى بدأت تظهر فى هذه الاحاديث ، التى كانت تجرى بينه وبين رواد بيته من الاصدقاء والاقرباء والندماء . وبدأ الأمر وكأن هناك خطوط اتصال منتظمة كانت مكلفة بنقل كل ما يدور من أحاديث الى المسئولين الأمريكيين ، لينقلوها هم بدورهم الى واشنطن.ولم يقف الأمر عند الاحاديث الخاصة ، التى تعلن عن مولد عهد جديد يختلف تمام الاختلاف عن عهد عبد الناصر ، بل بدأ أثنان من اقرب المقربين ينزلان الى الساحة السياسية بدعوى

تجميع عناصر قوية لمساندة السادات في التخلص مما نسمي (بركامات عبد الناصر) كان اولهما عديل السادات محمود ابو وافيه الذي سبق وزعم ان شعراوي جمعة قد اسقطه في الانتخابات نكاية في السادات ، وكان الثاني محمد حامد محمود الاقطاعي السابق ، ووكيل اعمال الامير عبد الله المبارك الصباح لاحقا « غفير السادات » في فترة الرياسة كما كان يسمي نفسه وأحد كبار رجال الأعمال حاليا . واتسعت اتصالات الاثنين بهدف تجميع عناصر قوية ، تحت شعار مساندة السادات للتخلص من بقايا عبد الناصر ، وامتدت هذه الاتصالات لتشمل فريقا كبيرا من الحاقدين على نظام عبد الناصر ، وانتقل النشاط الى مرحلة تدبير مقابلات بين السادات ، وبين بعض العناصر التي عادت الثورة من اليوم الأول ، والتي تربصت انتظارا للحظة المواتية للانقضاض على مكاسب الوطن والجماهير .

وانضم موسى صبري ، صحفي كل العصور ، الى محمود ابو وافية ، ومحمد حامد محمود ، واصبح بدوره مبشرا بمولد نظام جديد ، واخذ يدعو الصحفيين ، ومن بينهم صحفيين اجانب ، لمقابلة السادات في منزله ليشهدوا مولد هذا النظام الجديد .

وفيما لا يقل عن شهر واحد ، وبانضمام موسى صبري الى الموكب ، بدأ الغمز واللمز عما كان يجري في عهد عبد الناصر ، ينتقل من الاجتماعات المغلقة في بيت السادات ، الى مقالات بعض الصحفيين .

وانضم سيد مرعي الى الموكب ، في الوقت المناسب ، وهو دائما ينضم الى الموكب وفي الوقت المناسب ، بعد وفاة عبد الناصر كان سيد مرعي من احد معارضي ترشيح السادات للرئاسة ، ووجه الكثير من التجريح للسادات ، وهو يردد ان « الزيات » كان يلعب بالسادات في مجلس الأمة ، ويضعه في جيبه ، فكيف يكون الحال والسادات رئيس جمهورية . ولكنه عاد وانضم الى الركب بعد

انتخاب السادات رئيسا للجمهورية واصبح من اقرب المقربين ، وله من الجاه والثروة والحسب والنسب ، مما يجعل السادات فى تطلعاته الطبقية يغفر له الاساءة . ايا كانت الاساءة ، وتكرر نفس الموقف اثناء الأزمة التى انتهت الى انقلاب ١٥ مايو ، وكان السادات يعول عليه كثيرا فى مساء ١٣ وفجر ١٤ مايو ، ولم يظهر ، وظل السادات يحاول الاتصال به فى القاهرة والاسكندرية ، ولكن عبثا فقد تعمد ان يبتعد عن حلبة الصراع ، حتى يتبين الخيط الابيض من الخيط الاسود ، وظهر فى الوقت المناسب حوالى ظهر يوم ١٤ مايو ، بعد ان تم حسم الصراع لحساب المنتصر الى جانب السادات ، وهو يشكل الوزارة الجديدة متعللا بانه رفع سماعة تليفونه منذ مساء ١٣ مايو ..

وانضم سيد مرعى الى الفرسان الثلاثة ، محمود ابو وافيه .. ومحمد حامد محمود ، وموسى صبرى ، ليبارك المسيرة نحو العهد الجديد . وكان للسيد مرعى ، ومحمود ابو وافيه الباع الأكبر فى توجيه الاتهامات والاهانات للأمانة المؤقتة للاتحاد الاشتراكى والايقاع بين السادات وبينها وقيعة ظلت تتكامل على مر الايام ، وفى افساد اية محاولة من جانب هذه الأمانة للسير بالسادات فى الطريق السليم .

وقيل فيما قيل من طعن فى اشخاص اعضاء الامانة العامة المؤقتة للاتحاد الأشتراكى ، انها خلقت مراكز قوى جديدة ، ولابد من القضاء على مراكز القوى هذه كما سبق القضاء على مراكز القوى التى سبقتها ، وان امين الأمانة عزيز صدقى فاشل فى كل ما يعمله ، ويكفى ما اصاب البلاد من سياسة التصنيع التى نكب بها مصر ، وقيل عن الزيات انه تعود ان ينفرد بالسلطة منذ ايام أن كان فى مجلس الامة ، وانه متعاطف مع الشيوعيين وقيل عن فؤاد مرسى أنه شيوعى ، وعن صلاح غريب انه ذنب من اذناب عزيز صدقى ، وعن عبد الحكيم موسى انه ذنب من اذناب مراكز القوى ، لينتهى الحديث

بعد كل هـذا الى ان الشيوعيين قد استولوا على الاتحاد الاشتراكى وان علينا ان نتخلص من الأمانة الجديدة التى خلقت مراكز قوى جديدة .

وكان ما يدور على الساحة الداخلية وفى بيت السادات مقلقـا ، وكان ما يدور على الساحة الخارجية من اتصالات كمال ادهم والمخابرات الامريكية دون علم من وزارة الخارجية مقلقا ايضـا ، واجتمعت بالدكتور عزيز صدقى وقد انتابنى القلق ، ولم يكن قلقـا من التهجم علينا ، فقد كنا قادرين على ان نرد كل ذلك ، ولكن القلق كان من نوايا السادات نفسه ، وما يدور فى فكره .. وهل نحن فعـلا على عتبات مرحلة جديدة تستهدف تصفية الثورة ..

واحق رأينا على انه لابد من مواجهة الأمر سريعا حتى نعرف الى اين نسير . واتفقنا على ان الطريق الذى نسير فيه لابد وان يكون واضحا ، لا بالنسبة لنا فحسب ، بل بالنسبة لجماهير الشعب التى نتجه اليها ، واذا كنا نتجه الى هذه الجماهير بطلب انتخاب ممثلين عنهم للاتحاد الاشتراكى ، فلابد وان يكون هـذا الانتخـاب على أساس برنامج متفق عليه من الجميع ، الرئاسة والامانة المـوقتة والجماهير التى تدلى بأصواتها فى صناديق الانتخاب .

ذهبت الى السادات وجرى حديث صريح بيننا ، قلت له انه ليس هناك من انسان يستطيع ان يعمل فى ظل هذه البلبلة التى يـروجها البعض ، وأنه بات من الملح ان تتحدد المواقف واذا كان له مواقف جديدة لا توافق عليها الامانة ، فنحن على اتـم الاسـتعداد لنخلى مكاننا لغيرنا ممن يكونون محل ثقته .

استمر الحديث بيننا اكثر من اربع ساعات ، قال لى ان ثقته بعزيز صدقى وبى وبالامانة لا حدود لها ، حتى انه ترك لنا حرية التصرف فى كل شيء يتعلق باعادة بناء الاتحاد الاشتراكى العربى والنقـابات العمالية والمهنية وغير ذلك من التنظيمات الشعبية ، وأنه يسـمع احيانا فى الاذاعة ويقرأ فى الصحف عن صدور قرارات منه ، لم يطلع

عليها ولم يوقعها ، وهو سعيد جدا بذلك ، ويعتبر ان سعادته هذه دليل على ثقته الكاملة فينا . انتهى الاجتماع بأن اتفقنا على استعداده لأن يدلى باى بيان ، نرى من الصالح الادلاء به ، ليكون هذا البيان خطة للعمل واساسا تجرى عليه انتخابات الاتحاد الاشتراكى ، ووعدته بأننى ساعرض عليه صورة البيان فى اليوم التالى وكان يوم ١٠ يونيو سنة ١٩٧١ .

وخلال مناقشة طويلة مع د . عزيز صدقى امين الامانة المؤقتة توصلنا الى الخطوط الرئيسية للبيان ، واهمها قطع الطريق على محاولات الردة عن خط ثورة ٢٣ يوليو ، سواء فى المجال الاقتصادى او السياسى ، الداخلى أو الخارجى ، والتصدى لكل المحاولات التى بدأت فى هذا الحين تتطلع الى هذه الردة ، وتجاوز اخطاء المرحلة السابقة علينا ، وخلق ديمقراطية حقيقية تجعل الشعب ، ومؤسساته الدستورية ، صانع القرار ومنفذ القرار معا ، ومعادلة الجانب الاجتماعى للديمقراطية بالجانب السياسى ، ودفع عجلة الاقتصاد فى الاعتماد على القدرات الذاتية ، وعلى صعيد الصراع العربى الاسرائيلى ، الاقرار اولا وأخيرا بقومية المعركة وعروبتها ، وبأن ما أخذ بالقوة لايسترد بغير القوة ، وتعبئة الشعب لخوض معركة المصير ضد العدو الاسرائيلى ، المرتبط ارتباطا جذريا بالامبريالية الأمريكية وبالامبريالية عامة ، وترسيخ موقف مصر فى حركة عدم الانحياز ، كقائدة من قيادات هذه الحركة ، مع توطيد علاقات الصداقة مع الاتحاد السوفييتى ، الذى يمدنا بالأسلحة التى تزيد من قدراتنا على النصر فى معركة المصير ومع المعسكر الاشتراكى وشعوب العالم الثالث ، وقوى التحرر العالمى قاطبة ، وكان المفروض ان تقطع هذه النقاط الأخيرة الطريق على الذين يرون فى التحرك الدبلوماسى بديلا للمعركة العسكرية ، وعلى دعاة الاستسلام ، وقبل هذا وذاك على دعاة الاستسلام للمخطط الامريكى سياسيا واقتصاديا .

واعددت البيان كعهد بين السادات والشعب ، وعهد بيننا وبين الشعب ، على الخط الذى سيختطه الاتحاد الاشتراكى بعد انتخابه ، وكان بمثابة وعد من السادات ان يلتزم امامنا وامام الشعب ، ان يلتزم بكلمته ، وان يتوقف عن هذه الازدواجية الرهيبة ، بين مايقول علنا ومايقول سرا ، وبين مايقول ومايفعل ، وأردنا لبيان ١٠ يونية ١٩٧١ ان يكون بداية جديدة ، ووعد هو شخصيا ان تكون بداية جديدة .

واتصلت بالسادات تليفونيا ، فحدد لى موعدا فى الساعة الخامسة بعد الظهر وذهبت اليه انا وعزيز صدقى ومعنا البيان .

كان فى عجلة متأهبا لسفره الى ميت ابو الكوم لقضاء بضعة أيام ، وقرأ البيان مرة واثنين ، وطلب هيكل تليفونيا ولكن هيكل كان فى الاسكندرية ، ولم يتأت الاتصال به لأخذ رأيه فى البيان واخيرا امر بان يجرى الاتصال بحاتم ، وكان وزيرا للاعلام ، لاعداد الترتيبات لاستقباله فى مبنى الاذاعة والتليفزيون ، لالقاء بيان على الأمة . واخذنا طريقنا من استراحة القناطر الى مبنى الاذاعة والتليفزيون ليلقى السادات بيانه .

والقى السادات البيان وسافر الى ميت ابو الكوم .

بدأ البيان على لسان السادات هكذا :

« إن الواجب يدعونى ان اعود اليكم ، ونحن نواجه مسئولية اعادة البناء السياسى بمختلف تنظيماته الشعبية ، ليكون الطريق واضحا امامكم وامامى ، كما اردنا له سويا ان يكون .. وسيكون الطريق واضحا بمشيئة الله طالما نحن نتمسك بمبادئنا وقيمنا ، ونصون كفاح شعبنا ، ونتجنب المزالق التى حرفت مسيرة الثورة »

ويمضى البيان فيقول .. ارجو ان يكون واضحا امامنا ـ ايها الأخوة ـ منذ الان :

ـ ان تنظيمنا السياسى ليس فيه مكان للرجعية التى عزلها الشعب عن تحالفه .

ـ ان تنظيمنا السياسي ليس فيه مكان للذين وقفوا موقف العداء لخط عبد الناصر .

ـ ان تنظيمنا ليس فيه مكان لمن نبذتهم الثورة خلال مراحل تطورها حماية لمسيرتها وتأمينا لاستمرارها .

ـ ان تنظيمنا السياسي ليس فيه مكان لاعداء الاشتراكية والتحول الاشتراكي .

ـ ان تنظيمنا السياسي ليس فيه مكان للانتهازيين أو العابثين او المفسدين ، او مدعي الحقوق المكتسبة أو الموروثة ، أو المتعالين على الشعب ، أو المتآمرين على سلامة الوحدة الوطنية والجبهة الداخلية .

ـ ان تنظيمنا السياسي هو تنظيم لقوى الشعب العاملة صانعة الثورة ، وصانعة الاشتراكية ، وصاحبة المصلحة في الثورة وفي الاشتراكية .

ـ ان تنظيمنا السياسي ينبع من جماهير ٩ و ١٠ يونية و ١٥ مايو ، وهو خادم هذه الجماهير .

ـ ان تنظيمنا السياسي هو تنظيم الاحرار المؤمنين الشرفاء المخلصين للثورة وقضية الشعب العامل .

ثم يمضي البيان ليقول :

اننا لانبدأ من فراغ وانما نبدأ من تراث ثورتنا المجيدة ، الثورة الأم : ثورة ٢٣ يوليو .. تلك الثورة التي ارست الاسس الوطيدة للعمل الوطني ، والتي اصبحت جزءا من تراث الانسانية ، تتسلح به بعض الشعوب في نضالها العادل ضد الاستعمار والاستغلال .. ان الشعب المصري البطل الذي أرسى هذه الدعائم بقيادة زعيمه الخالد جمال ، لن يسمح لاحد ايا كان أن يمسها ، أو ان يحرف مسيرته بعيدا عنها .. انها خلاصة فكره وتجربته ، وخلاصة عرقه ودمه على مر الأجيال ، بدأها من خلال نضاله الطويل ، تصحيحا لماضيه ، وتعبيرا عن حاضره وتصورا لمستقبله .

وينتقل البيان إلى تحديد مهام المرحلة فيقول : ان هذا الشعب العظيم يدرك أن مصير بلده العظيم « مصر » رهن بمدى تمسكه بالأسس التالية والدفاع عنها ..

ـ المعركة أولا والمعركة ثانيا والمعركة اخيرا .. والتحدى الموجه الينا ، تحد مادى وطني ، قومي ومصيرى ، ولانستطيع أن ننتظر اكثر مما انتظرنا ، اننا مطالبون بأن نقاوم وان نقاتل .. لابد ان نعطى الحياة لكى تكون لنا حياة ، ولن تكون لنا حياة حقة حتى نسترد كل شبر من الأرض العربية التى احتلت بعد ٤ يونيو ، ويتأكد حق الشعب الفلسطيني فى تقرير مصيره بارادته الحرة ، ولا سلام على الاطلاق الا اذا تحقق بالكامل هذان الشرطان ..

ويمضى البيان فى حديثه عن المعركة فيقول :

ـ المعركة ثانيا ، ليست معركة اليوم أو الغد القريب فحسب ، وانما هى معركة الحاضر كله ، فالغزوة الصهيونية ـ كما قلت ـ لن تنتهى باسترداد ارضنا المحتلة ، ولكنها غزوة مستمرة مع جيلنا وجيل اولادنا .. وسيظل العدوان الاسرائيلى ، حتى بعد انتهاء المهمة العاجلة ، وهى تحرير الأرض ، سيظل هذا العدوان الاسرائيلى سيفا مسلطا على بلادنا ، وعلى نهضتنا الصناعية ، وعلى لقمة خبز أولادنا وأولاد أولادنا من بعدنا ، ما لم نواجه التحدى الحضارى بتحد حضارى ، ولن يكتب للمنطقة السلام الا اذا استطعنا ان نبنى دولة عصرية تتسلح مدنيا وعسكريا باحدث اسس العلم والتقدم ..

وفى القضية القومية يقول البيان :

ان مصر جزء لايتجزأ من الأمة العربية ، ايماننا بأن الوحدة العربية ليست دعوى تاريخ فحسب وانما هى ضرورة مستقبل ومصير ، وكما يقول الميثاق ، فان العمل العربى فى هذه المرحلة يحتاج الى كل خبرة الأمة العربية مع تاريخها الطويل المجيد ويحتاج إلى حكمتها العميقة ، بقدر حاجته إلى ثوريتها وارادتها على

التغيير الحاسم ..

ان التشكيك فى الوحدة العربية انما يعطى الفرصة للاستعمار لاستخدام سلاح لم يتوقف قط عن محاولة استخدامه ، وهو تقسيم الأمة العربية ، ثم محاولة القضاء عليها ..

ثم تحدث البيان عن الموقف الأمريكى بالنسبة للعدوان الصهيونى على الوطن العربى فقال :

ان استمرار الدعم العسكرى والمادى الأمريكى لاسرائيل وهى تحتل أراضينا ، انما هو بمثابة مشاركة امريكية فى احتلال اراضينا والعدوان على سيادة اوطاننا ، ولايمكن أن ننسى ان الولايات المتحدة هى التى تمنح اسرائيل كل مقومات الحياة والبقاء ، وانها صاحبة مبدأ توازن القوى فى الشرق الأوسط ، هذا المبدأ الذى يضع تحت تصرف اسرائيل كل ماأحرزه العلم والتقدم الأمريكى ، لتكون دائما فى مركز التفوق العسكرى على كل الدول العربية مجتمعة ، وهو مارفضناه ونصر على رفضه ..

ان الولايات المتحدة الأمريكية باصرارها على عدم العدول عن هذا الخط الذى يحمل الخطر على حاضر ومستقبل الأمة العربية ، تكون قد حددت موقفها ، كشريكة لاسرائيل .. فى العدوان والعداء للأمة العربية كلها .

وعن الصداقة المصرية السوفيتية قال البيان :

ان صداقتنا للاتحاد السوفيتى صداقة مبدأ وليست صداقة موقوتة ، انها صداقة دائمة وليست صداقة مرحلية وعدد البيان اوجه التعاون بين البلدين ومضى الى القول :

لقد قال عبد الناصر ومن بعده أقول : ان التفريط ولو للحظة فى صداقة الذين يساعدوننا ـ ولايساعدنا غيرهم ـ على القتال والنصر ، تفريط فى مصير بلدنا ، وتمكين للاستعمار ، الذى يريدنا بلا صديق فى معركة التحرير ومعركة البناء .

واكد البيان على ضرورة السير فى طريق التحول الاشتراكى

فقال :

ان تصميمنا على مواصلة السير فى طريق التحول الاشتراكى وبناء المجتمع الاشتراكى السليم ، والتى رسمت معالمه كل وثائقنا النضالية ، هو قدر تاريخى لأمة بأسرها ، تتطلع الى التطور الاجتماعى والاقتصادى والسياسى ، وان مواصلة السير فى هذا الطريق يعنى أولا : حماية المكتسبات الاشتراكية ، ويعنى ثانيا ، خلق الظروف الملائمة لتوسيع نطاقها .. » .

وعدد البيان المبادىء التى يتعين ان تحكم حركتنا فى المرحلة القادمة فى الجانب السياسى والاجتماعى ومن اهم هذه المبادىء :

ـ التركيز على مباشرة مسئوليات الحكم عن طريق مؤسسات ، يربط بينها رباط من التعاون الوثيق ، دون تدخل من احداها فى اختصاص الأخرى ، هذا التدخل الذى يخل بالمسئولية أو تضيع معه المسئولية .

ـ سيادة الشرعية وخضوع الدولة للقانون ، كما يخضع له الافراد ، وان ترتبط السلطة بالمسئولية ، والا يكون هناك قرار او اجراء ، ايا كانت الجهة المصدرة له ، بمنأى عن رقابة القضاء .

ـ التأكيد على سلطة تحالف قوى الشعب العاملة ، والدور الطليعى للعمال فى هذا التحالف .

ـ التركيز على مبدأ القيادة الجماعية حتى تصدر القرارات معبرة بحق عن الخبرة الجماعية ، وليس عن الأهداف الخاصة بفئة أو مجموعة من الأفراد وعلى اساس حق النقد والنقد الذاتى ، وهو امر لايمكن ان يتم الا باطلاق حرية الرأى والتعبير ، دون قيود لجميع القوى المكونة للتحالف ، على اساس الالتزام باهداف العمل الوطنى ..

ـ ان الحرية السياسية لايمكن ان تتحقق كإسلوب للحكم والحياة الا اذا تحققت اولا الحرية الاجتماعية .

ـ ان حرية رغيف الخبز هى الطريق الى حرية الفرد ، غير ان الحرية الاجتماعية ، لايمكن ان تعيش بدون الحرية السياسية وضماناتها ، التى تنطلق معها كل ملكات الانسان فى الخلق والابداع .

وعدد البيان المبادىء التى تحكم الجانب الاقتصادى :

ـ تأكيد الدور القيادى للقطاع العام فى عملية التنمية ، وبناء القاعدة الاقتصادية الحديثة للمجتمع الاشتراكى .

ـ تطوير الملكية التعاونية الانتاجية لتلعب دورها فى عملية التنمية وارساء العلاقات الاجتماعية الجديدة .

ـ توفير الضمانات اللازمة لكى يقوم القطاع الخاص بدوره المحدد فى خطة التنمية ، وفقا لما رسمه الميثاق .

ـ استكمال قاعدة الصناعة الثقيلة فهى وحدها التى تكفل ان يكون اقتصادنا اقتصادا صناعيا من الدرجة الأولى ، وهذا وحده هو المقياس الحقيقى للتقدم .

ـ استكمال التحول فى الزراعة العلمية ، تصنيع الزراعة ، واستصلاح الأراضى ، وحسن استغلال مايتم استصلاحه منها .

ـ التأكيد على التنمية المخططة ، وادارة اجتماعية للموارد المتاحة والمحتملة ، تتحقق بها تنمية القدرات الانتاجية للمجتمع ، وحسن الافادة بالطاقات البشرية الواعية بالاهداف التى يتطلع اليها الشعب .

ـ انتقال سريع ببرامج التعليم ، فنحن اكثر من غيرنا ، لا امل لنا الا فى العلم الحديث .

كانت هذه عجالة عن بيان ١٠ يونيو .

كان هدفنا من هذا البيان تضييق الخناق على اعداء التحول الاشتراكى ، الذين خرجوا من جحورهم للانقضاض على كل عود اخضر انبتته الثورة ، ثم ربط السادات امام الجماهير وفى

مواجهتها ـ فى بيان واضح وصريح ـ بالمبادىء والقيم والعلاقات الشريفة والصحيحة التى أرستها ثورة ٢٣ يوليو ومراحل تطورها ، من أجل ان نبنى وطنا للجماهير ، كل الجماهير ، وليس لطبقة مميزة ، أوجماعة منتفعة اوقلة هامشية . كان ارتباط السادات بكل هذا ارتباطا ضروريا وملحا فى الوقت الذى شعرنا فيه ببداية التنصل والارتداد .

وقع البيان وقع الصاعقة على رؤوس هؤلاء ، الذين وجدوا الفرصة ، فى حكم السادات ، لانجاز المهمة التى انتظروها ، فى تصفية الثورة وفى اجهاض كل ماتم وانجز ، وفى اغلاق الباب كاملا على كل ماتتطلع الجماهير الى ان يتم وان ينجز .

شعروا بان قلاع المقاومة مازالت باقية وان الميدان لم يخل بعد لهم ..

وكان من المؤكد أنهم لن يستسلموا الى خطاب أو بيان وانهم سيصعدون من هجومهم الشرس .

كان اليوم التالى لالقاء البيان يوم جمعة ، واعتدت فيه أن أتأخر فى منزلى بعض الوقت ، قبل ذهابي الى مكتبى فى الاتحاد الاشتراكى ، طرق بابى مبكرا الدكتور احمد كمال ابوالمجد ، كان مستشارا ثقافيا فى واشنطن ، فاستقدمه السادات وضمه الى الأمانة المؤقتة ليصبح أمينا للشباب ، وكانت تربطه علاقة قرابة أو مصاهرة بفوزى عبد الحافظ سكرتير خاص السادات ، وهو الذى قدمه الى السادات ، وكنت اعرف ايضا ان له علاقة قرابة أو مصاهرة بالاستاذ الهضيبى المرشد العام للاخوان المسلمين ، لا اعرف اتجاهاته على وجه التحديد ، ولكن اذا لم يكن منتسبا للأخوان المسلمين ، فهو على وجه القطع متعاطف معهم .

قال الدكتور ابوالمجد انه لم يستطع النوم فقد اقلقه البيان الذى القاه السادات مساء الليلة الماضية ، قال ان البيان كان حادا وانه اغلق الباب امام المصالحة بين النظام وكثير من العناصر ، وذكر

على سبيل المثال « الاخوان المسلمين » ، وان البيان يجعل مهمته صعبة ، لم اسأله عن مهمته فى ذلك الوقت ولكن عرفت بعد ذلك انها السعى لحصول السادات على تأييد جماعة « الأخوان المسلمين » .

قلت له اذا كان البيان قد اثر على مهمتك فهذا امر يمكنك الرجوع فى شأنه الى السادات ، اذ لا علم لى اطلاقا بهذا الموضوع .

وعلمت بعد ان اخرجت من الاتحاد الاشتراكى ان مسعى الدكتور كمال ابو المجد وغيره لم يسفر الا عن هدنة مؤقتة بين السادات وجماعة الاخوان المسلمين ، وهذا ماكانت تصرح به فى كل مكان ، السيدة زينب الغزالى احدى القيادات الكبيرة فى الجماعة ، وعضو مكتب الارشاد ، الذى كان قد اعيد تشكيله مع بداية عهد السادات ، كانت تصرح اننا فى حالة هدنة مع نظام السادات .

ذهبت الى مكتبى متأخرا كعادتى يوم الجمعة ، ورغم انه كان يوم جمعة فقد توافد الكثيرون على الاتحاد الاشتراكى ، كانت القيادات العمالية فى مقدمتهم ، وبعض من المثقفين والصحفيين الذين كان قد تسرب الى نفوسهم الشك والريبة فى نوايا السادات بعد ان صفى ما اسماهم بمراكز القوى ، عبر الجميع عن ابتهاجهم وتأييدهم لهذا البيان .

وقال البعض انهم يعتبرون هذا البيان وثيقة تضم الى وثائق الثورة ، الميثاق وبيان ٣٠ مارس .

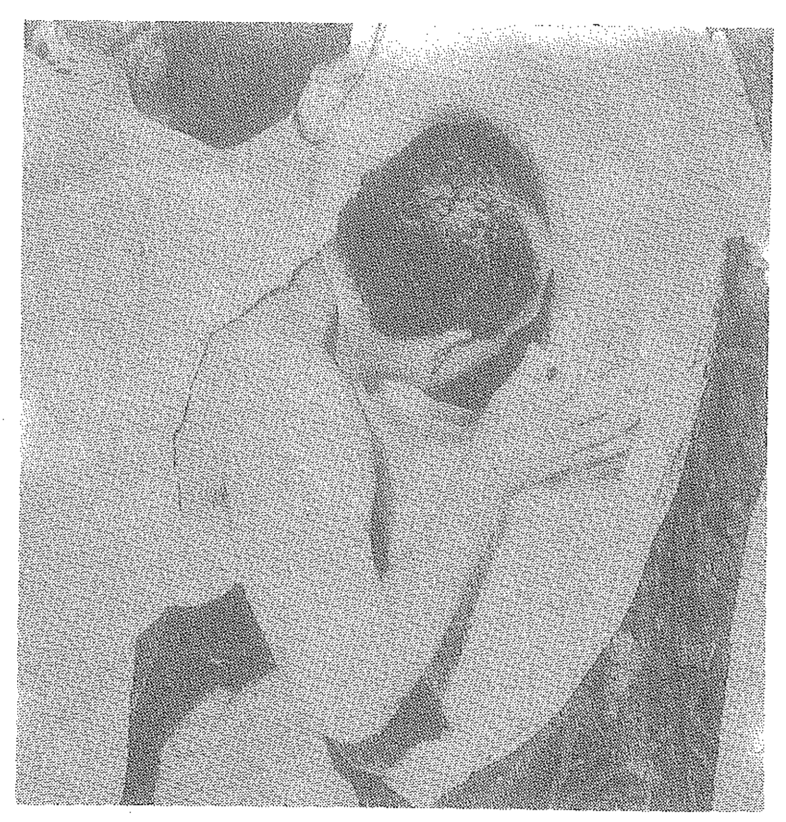
وصلت برقيات عديدة تؤيد البيان ، ومن الغريب ان السادات حول هذه البرقيات جميعا إلىّ ، على الاتحاد الاشتراكى بعد ايام من القاء البيان .. لا ادرى اذا كان هذا للعلم ، ام انه كان تعبيرا عن تنصل السادات من البيان .

كان الفرض الثانى هو الاصح ، فإذا كانت هناك وفود قد وفدت على الاتحاد الاشتراكى تعبر عن تأييدها ومباركتها للبيان ، فقد وفدت وفود اخرى على بيت السادات من الغاضبين والمتمردين ،

ومن الطاعنين والمحذرين ، ممن فكر فى هذا البيان وأعده وصاغه . طمأنهم السادات وقال انها خديعة وقع فيها ..

واعتاد السادات فيما بعد ، فى كل خطاب اعددته له ، واشرت فيه الى بيان ١٠ يونيو ، ان يشطب على هذه الاشارة بالقلم الأحمر ، وظل السادات على موقفه من بيان ١٠ يونيو ، موقف التنصل والنكران ، واذكر انه فى برنامج العمل الوطنى الذى اعددناه للسادات ليتقدم به الى المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى فى ٢٣ يوليو ١٩٧١ ، انه شطب بالقلم الأحمر على عبارة بيان ١٠ يونيو ، ومازال الشطب موجودا فى اوراقى القديمة ، لم يكن شطبا بل كان محوا ، ورغم ذلك فقد اعدت العبارة المشطوبة فى الطبعة النهائية لبرنامج العمل الوطنى ، الذى وزع على اعضاء المؤتمر القومى .

وبدأت محاولة شرسة فى وسائل الاعلام واقلام صحفيى السادات لتصعيد الحملة ضد المدافعين عن الخط الاشتراكى بوضع الديمقراطية كنقيض للاشتراكية ، واشتد قرع طبول الديمقراطية ونشط سوقها ، وانتقل بعض المزايدين على سوق الاشتراكية ، الى المزايدة على سوق الديمقراطية ، واجتذب هذا السوق كل العناصر المعادية للثورة ، وللتحول الاشتراكى ولمكاسب الغالبية العظمى من الشعب ــ من العمال والفلاحين ، وتبارت الاقلام فى الايهام بالتناقض بين الاشتراكية والديمقراطية ، وفى تصوير الاشتراكيين بانهم اعداء الحرية وسدنة السجون والمعتقلات ، والمفسدون فى الأرض ، واشتد النحيب وعلا البكاء على القلة من الاقطاعيين والرأسماليين الذين نزعت منهم بعض املاكهم أو وضعت بعض اموالهم تحت الحراسة ، ولم تذرف دمعة واحدة على الملايين التى عاشت عبيدا للأرض او تلك التى عاشت يطحنها الفقر والعوز فى ظل سيطرة رأسمالية مستغلة وباغية .



خامس الخلفاء الراشدين (! !)

الفصل الثانى

السادات يتنكر لبرنامج العمل الوطنى
[المحاولة الثانية لوقف الردة]

تصاعدت الحملة على عزيز صدقي وعلى بعض اعضاء الامانة المؤقتة للاتحاد الاشتراكي ، في الفترة مابين اذاعة بيان ١٠ يونيو ١٩٧١ وموعد انعقاد المؤتمر القومي العام في ٢٣ يوليو من نفس العام ، وبدأنا ندرك انها حملة اوسع واشمل ، تستهدف تغيير نظام اقتصادي وسياسي واجتماعي بنظام اخر معاكس ، وان لم يسفر السادات قط عن نياته وتوجهاته الحقيقية في هذه الفترة ، الا في لمحات لايدرك فحواها الا اقرب المقربين اليه من معاونيه ، وفي لمحات يحاول دائما ان يسدل الستار عليها بافعال وتصرفات تثبت انه مخلص لثورة يوليو ولخط ثورة يوليو وللزعيم ثورة يوليو .

ورغم هذا كنا ندرك كأمانة مؤقتة قبل اجتماع المؤتمر القومي في ٢٣ يوليو ، وكأمانة منتخبة بعد هذا الاجتماع ، ان المعركة ضد نظام ثورة يوليو تتصاعد ، وان القوى التي تتحالف على تصفية منجزات هذه الثورة تتجمع وتتعاظم ، وتتجاوز النطاق المحلي الى النطاق الأمريكي ، والعربي والسعودي والمغربي والايراني . ربما كان هذا الادراك هو الذي جعلنا نتشبث بمواقفنا الى اللحظة الأخيرة ، وان نحارب معركتنا حتى النهاية المرة .

وفي اقل من شهر من تولي السادات رياسة الجمهورية ظهر على المسرح المصري كمال ادهم واخذ يتردد على القاهرة بتحفظ في بداية الامر ثم اخذ تردده صفة الانتظام .

وبعد التخلص ممن اسماهم السادات بمراكز القوى ، وتمركز كل السلطات في يده اصبحت الاجتماعات يومية في حالة وجود كمال ادهم في القاهرة او مع السفير السعودي في ذلك الحين « هشام الناظر » على ما اذكر في حالة غيبة كمال ادهم عن القاهرة او عن

طريق قنوات الاتصال التى انشئت بين مصر والسعودية ، ثم بين مصر وامريكا بعد ذلك واستطاعت السعودية خلال كمال ادهم ان تعيد ترتيب الاوضاع فى مصر بما يساير الاستراتيجية الامريكية التى تعتبر السعودية امتدادا عضويا لها فى المنطقة العربية .

وعندما تعددت لقاءات السادات مع كمال ادهم اذكر انه فى حديث لى مع محمد حسنين هيكل ابدى غضبه الشديد ، وطلب منى أن اوجه نظر السادات الى ان كمال ادهم كبير عملاء المخابرات الامريكية .C.I.A فى المنطقة العربية وان اسمه مسجل ومنشور على الكافة باعتباره فى مقدمة هؤلاء العملاء المسئولين عن المنطقة العربية .

طلبت ان يوجه هو شخصيا السادات الى هذا الامر لانه اقدر منى على اقناعه ، فى هذه الناحية ، ولكن على ما أذكر ، لم يفعل ولو كان فعل ، لما كان فى مقدوره أن يبعد كمال أدهم ، فالعلاقة بين الاثنين علاقه عضوية وكل منهما يمثل امتدادا للاخر . كان كمال ادهم يمثل خطورة مزدوجة بثقله السعودى وثقله الامريكى ، بالضغط الذى يمكن ان يحدثه فى اتجاه اجراء تغييرات اجتماعية واقتصادية فى مصر ، تخل بالخط الاشتراكي الذى ارسته ثورة ٢٣ يوليو وكان تحالفه مع الرجعية المصرية التى تحارب فى نفس الاتجاه تحالفا طبيعيا ، يهدد بمزيد من الضغوط على السادات وبمزيد من التراجع عن هذا الخط من جانب السادات ..

وكتاب « البحث عن الذات » يلقى الكثير من الضوء على هذه العلاقة فالسادات يقول ما يلى :

وفى السعودية كان الملك فيصل صديقا شخصيا لى منذ واحد وعشرين عاما ، وبالذات منذ المؤتمر الاسلامى فى ١٩٥٥ . كان وقتها ولى العهد ، وبرغم حرب اليمن ظللنا اصدقاء .. (وقد يلقى هذا القول الضوء على الدور المزدوج للسادات فى حرب اليمن والذى اشار اليه بعض الكتاب والمعلقين) .

ثم يسترسل قائلا وُفى المغرب ترجع صلاتى بالملك الحسن الثانى الى عام ١٩٦٩ ، حين ذهبت بدلا من عبد الناصر ، لاحضر اول مؤتمر يعقد من اجل حرق المسجد الاقصى ، وهناك توطدت علاقات اخوية وصداقة بيني وبين الحسن ، وبلغنى ان الملك فيصل قال للملك الحسن : اذا اراد الله لمصر خيرا يحكمها السادات .. (٢٥١ ، ٢٥٢)

وهذا القول من الملك فيصل يحمل معانى ومؤشرات كبيرة ، فلا يتصور ان يصدر عنه ، لمجرد ان السادات واضح وصريح ، ولا ينحاز الا للحق ، كما يقول السادات فى كتاب « البحث عن الذات » ، ولكن يصدر عنه لانه على معرفة باتجاهات السادات وتوجهاته التى تتفق مع اتجاهات فيصل وتوجهاته ، والسادات يقول انه كان صديقا شخصيا للملك فيصل منذ واحد وعشرين عاما بالذات منذ المؤتمر الاسلامي فى ١٩٥٥ (ص ٢١٥) .

ولمعرفة فيصل بالسادات فقد اختار له الرجل المناسب الذى يتعامل معه ، واوصاه ان يكون مستشاره ، وهذا الشخص هو كمال ادهم ، صهر الملك فيصل ومستشاره الخاص ، وصاحب النفوذ الكبير على المخابرات السعودية وهمزة الوصل مع المخابرات الامريكية المركزية ، وواحد من اقوى الشخصيات فى السعودية فى ذلك الحين .

ويلقى جيم هوجلاند ، محرر الشئون الخارجية فى صحيفة الواشنطن بوست الأمريكية وهو واحد من ابرز الصحفيين والمعلقين الأمريكيين فى عدد الصحيفة الصادر فى ٢٥ فبراير ١٩٧٧ ــ الضوء على هذه العلاقة بين السادات وكمال ادهم مستقيا معلوماته من وثائق لجنة التحقيق التى شكلها الكونجرس الأمريكى للتحقيق فى تجاوزات المخابرات الأمريكية برئاسة واحد من ابرز اعضاء الكونجرس الأمريكى وهو السناتور « تشرس » حيث يشير

الى احدى هذه الوثائق التى تؤكد ان انور السادات قد عمل فى اوائل الستينيات تحت رئاسة كمال ادهم الذى كان رئيسا للمخابرات المركزية الأمريكية فى المنطقة .. وقام السادات بدور جوهرى يعتبر خدمة كبرى للمصالح الأمريكية وذلك بأن حفظ العرش السعودى مما اطلقت عليه الوثيقة « مؤامرات عبد الناصر » لأن السادات كان يبلغهم بها . وأذكر ان السادات فى هذه الفترة كان يتولى مسئولية الجانب السياسى فى حرب اليمن الى جانب علاقته الوثيقة مع عبد الناصر .

كما أذكر شخصيا وقد كان السادات رئيسا لمجلس الامة فى ذلك الحين ان مقابلاته مع السفير الأمريكى فى مصر فى مكتبه فى مجلس الأمة كانت شبه منتظمة حتى سألته مرة عن أسباب هذه المقابلات فكان رده ان السفير الأمريكى يبدى تعاطفه لأننا بمساعدة اليمن انما ننقل الشعب اليمنى من غياهب القرون الوسطى الى القرن العشرين ولا أعتقد ابدا ان مثل هذا التعاطف كان يحتاج الى مثل هذه المقابلات المتكررة التى لم يعرف سرها غير السادات نفسه ..

وقد تلقى الوثائق السابق ذكرها بعض الضوء على هذه المقابلات.
ويشير محمد حسنين هيكل فى كتابه « الطريق الى رمضان » الى الدور الذى لعبه كمال ادهم فى حدثين :

الأول فى النصف الأول من نوفمبر ١٩٧٠ ، اى قبل مرور شهر واحد على تولى السادات رئاسة الجمهورية ، تحدث كمال ادهم الى السادات عن الوجود السوفيتى فى مصر ، مشيرا الى حجم القلق الذى يسببه هذا الوجود لدى الأمريكان ، مشيرا الى اهمية هذا الموضوع فى الوقت الذى تحاول فيه السعودية دفع امريكا الى إعطاء اهتمام اكثر ايجابية بمشاكل الشرق الأوسط واجابه السادات ان مصر تعتمد على الاتحاد السوفيتى الى حد كبير ، فى حين ان امريكا تزود اسرائيل بكل ماتطلبه الى حد أنه خلال حرب الاستنزاف ،

كانت اسرائيل قادرة على مواصلة هجماتها الجوية وضرب مصر بالقنابل لمدة سبعة عشرة ساعة متوالية .

ولكن السادات اضاف قائلا اذا تحققت المرحلة الاولى من الانسحاب الاسرائيلى ، فانه يستطيع ان يعد بأنه سيتخلص من الروس .

وسأل كمال ادهم السادات هل يستطيع ان ينقل هذا الى امريكا ، فرد السادات بالايجاب ، وسربت ملاحظات السادات هذه عن طريق ، السيناتور جاكسون (احد زعماء مجلس الشيوخ المؤيدين لاسرائيل) وكان الغرض واضح هو مساعدة اسرائيل على الايقاع بين مصر والاتحاد السوفيتى ص ١٩ ، ٢٠ من النسخة الانجليزية .

وجاء الملك فيصل الى القاهرة فى منتصف شهر يونيو ، عائدا من زيارة رسمية لنيكسون فى واشنطن وجرت محادثات مطولة بين فيصل والسادات ، جاء فيصل ليبارك خطوات السادات ويستحثه على خطوات جديدة تعيد الثقة والتعاون بين مصر وامريكا .

والحدث الذى يشير اليه محمد حسنين هيكل فى اتصال السادات بكمال ادهم والسعودية حدث لاحق لجهود امانة الاتحاد الاشتراكى ، فى حماية الخط الاشتراكى وهو حدث هام من حيث دلالته على ترابط الاشياء واتصال ما يجرى فى المجال المحلى بالمجال الدولى ، والارتباط الذى لا ينفصم بين الاقتصاد والسياسة من ناحية وبين السياسة الداخلية والسياسة الخارجية من ناحية اخرى هذا الارتباط الذى جعل تخوفنا فى فترة الاعداد للمؤتمر القومى ، من تردد كمال ادهم النائب على مصر تخوفا فى محله ، هذا الارتباط الذى يفسر لنا حتى تصرف السادات قبل انعقاد المؤتمر القومى مباشرة .

وعلى كل فلم يتوقف كمال ادهم والسعودية بكل ثقلها ، قبل ذلك التاريخ ولا بعده عن توجيه السياسة المصرية ، لتقديم اقصى قدر من التنازلات لامريكا باعتبار انها وحدها القادرة على فرض السلام فى الشرق الاوسط .

وتلاقت رغبات السادات مع رغبات السعودية واتفقت توجهاته مع توجهاتها وسادت الحقبة السعودية فى مصر منذ ذلك الحين .

وحتى زيارة القدس سنة ١٩٧٧ انجز السادات خلال هذه الفترة :

- اعادة صياغة هيكل الاقتصاد المصرى بما يسمح بدمجه فى السوق الرأسمالى العالمى .
- نبذ الحل الاشتراكى وتفكيك القطاع العام
- ماسمى بسياسة الانفتاح الاقتصادى .
- الاجهاز على الاتحاد الاشتراكى اسما ومعنى وتحويل مركزه الرئيسى الى مقار لبنوك الانفتاح الاقتصادى .
- تشجيع الحملات الصحفية ضد نظام عبد الناصر وضد عبد الناصر ذاته ، وبتمويل ومباركة السعودية .

وقد بلغت الحقبة السعودية اوجها فى بداية السبعينيات حتى ان بعض الصحف العربية ذكرت ان السادات فى احدى زياراته للسعودية قبل يد الملك فيصل وبايعه كأمير المؤمنين ولا اعرف مدى صحة هذا القول الا ان الذى استطيع ان اوكده وقد استمعت اليه فعلا من محمد صادق الذى كان وزيرا للحربية فى وزارة عزيز صدقى ، وكنت نائبا لرئيس الوزراء فى ذلك الحين ، ان السادات كان فى طريقه الى موسكو فى أوائل فبراير ١٩٧٢ وانه استدعى صادق وكلفه بأن يبعث برسالة الى الامير سلطان وزير الدفاع السعودى يؤكد فيها ان السادات قد اصدر امره الى القائد العام للقوات المسلحة المصرية بأن يتلقى الاوامر اذا قامت حالة طارئة خلال

وجود السادات فى موسكو ــ ان يتلقى الاوامر من الملك فيصــل ..
وقد عمم الامير سلطان محتويات هذه الرسالة على كبــار الضــباط السعوديين ويؤكد هيكل فى كتابه « الطريق الى رمضــان » هــذه الواقعة ص ١٥٨ من النســخة الانجليــزية واســتمرت الحقبــة السعودية حتى حرب اكتوبر ١٩٧٣ فقد زار السادات السعودية فى نهاية اغسطس ١٩٧٢ ، اخذ مباركة الامير فيصــل على عمليــات عسكرية محدودة تستجيب الى ما كان قد المح اليــه كيســنجر الى حافظ اسماعيل فى زيارة هذا الاخير فى فبراير ١٩٧٢ .

ويمكننا القول بأن شرخا قد بدأ يصيب العــلاقات الســعودية المصرية اثر رحلات كسينجر المكوكية والتى كانت تشمل السعودية فى كل مرة يزور فيها المنطقة فبعد فك الاشتباك الاول فى يناير ١٩٧٤ حاول كسينجر الوقيعة بين مصر والعــرب خــاصة بيــن مصر والسعودية فكان يصف السادات فى احاديثه للملك فيصل بأنه زعيم العالم العربى ، وانه يخطط للابتعاد عن زملائه العرب . وقد حملت هذه الاحاديث (كما يقول اسماعيل فهمى فى كتابه التفاوض مــن اجل السلام فى الشرق الاوسط ١٢٣) الملك فيصل الى ان يرسل الى نيكسون برسالة يشكو فيها موقف وزير خارجيته ، وكانت شــكوى فيصل ترجع خاصة الى الانطباع الذى تركه لــديه كيســنجر بــأن الولايات المتحدة تحول اهتمامها عن السعودية الصديق التقليدى لامريكا فى المنطقة الى مصر والسادات .

وقد ترددت العلاقات بعد ذلك بين مصر والسعودية بين مد وجزر حتى انحسرت بزيارة السادات للقدس المحتلة فقد هزت هذه الزيارة دور السعودية كوكيل لامريكا فى المنطقة ، وفى مسار الحل الســلمى وصيغته (اتفاقيات كامب ديفيد ومعاهدة السلام) لان الســادات انتقل الى الدور المباشر ولم يصبح فى حاجة الى السعودية للــوساطة بينه وبين امريكا فأصبح اتصاله مباشرا مع امريكا واسرائيل .

وتدنت العلاقات بين السادات وحكام السعودية وشن عليهم ومعه اجهزة اعلامه واقلام صحفه اعنف الحملات واشرسها التي تركت جرحا غائرا مازال في تقديري ينزف حتى الان قد لا يكون هو السبب الوحيد في القطيعة ، المستمرة بين السعودية ومصر حتى بعد حادث المنصة ، في ٦ اكتوبر ١٩٨١ ولكنه يبقى على اى حال سببا من الاسباب ...

لم نكن قد فقدنا الأمل بعد في السادات ونحن نعد برنامج العمل الوطني ليكون برنامجه الذي يعرضه على المؤتمر القومي العام في ٢٣ يوليو سنة ١٩٧١ ، كنا نعرف انه يتعرض لضغوط هائلة ، ولكننا لم نكن نعرف ان هذه الضغوط تتمشى وتوجهاته الطبيعية والمحسوبة من قديم الزمن .

كان برنامج العمل الوطني يشكل برنامجا يحدد صورة ومستقبل مصر ويرسم خطوات العمل الوطني خلال عشرين سنة مقبلة ، يحدد كميات انتاج محددة في كل مجالات الانتاج ، في مدى زمني محدد ، بما يكفل مضاعفة الدخل القومي كل عشر سنوات ، عن طريق العودة الى التنمية المخططة التي أوقفت بانتهاء أول وآخر خطة خمسية ١٩٦٠ ـ ١٩٦٥ .

وقد اشركنا السادات في كل جزء ينجز من اجزاء هذا البرنامج ، حتى يصبح برنامجه يوم يلقيه على المؤتمر القومي العام المزمع عقده في ٢٣ يوليو سنة ١٩٧١ ، وكان بقناعه المتقن يبدى سعادته بكل جزء مثنيا عليه . كنا نريد ان نقنعه ان الطريق لرخاء مصر وإزدهارها هو طريق مغاير تماما للطريق الذي يشير إليه كمال ادهم ، الذي اصبح بمثابة المستشار الأول للسادات ، وهشام الناظر سفير السعودية في مصر ، عبد السلام جلود نائب القذافي في ذلك الحين ، وشاه ايران ، الذي كان يمثل الاسطورة للسادات في ذلك الحين ،

وسفيره الذى كان همزة الوصل بينه وبين الشـاه ، وملك المغـرب وسفيره عبد اللطيف العراقى ، ثم عبد المنعم القيسونى الذى تربع على عرش البنك العربى الدولى ، ومجموعته .

كانت كل هذه المصادر تصر بأنه لا امل لمصر الا اذا عدلت عـن الاشتراكية وعن التخطيط وعن القطاع العام ، وتركت السوق حـرا لقوانينه ينساب اليه رأس المال العربى والأجنبى ، وتصبـح مصر سوقا مالية عالمية . كنا نريد ان نقنعه ان وراء هذه المقولة دوائـر الرأسمالية العالمية ، ودوائر اخرى مشبوهة تريد ان تربط مصر فى فلكها ، وان تجعل مصر سوقا استهلاكية تابعة ، وان توقف عمليات التنمية المخططة فى مصر .

لقد بدأ البرنامج وانتهى الى الربط بين الديمقراطية والاشتراكية ردا على هؤلاء الذين حاولوا التشكيك فى الاشتراكية وناقضوا بينها وبين الديمقراطية فالاشتراكية تعنى بالضرورة ديمقراطية النظام ، والاشتراكية بطبيعتها ديمقراطية ، لأنها تستهدف فى المقام الأول صالح جموع الشعب بل هى اسمى مراحل الفلسفة الـديمقراطية بجانبيها النظرى والتطبيقى .

كنا نريد ان يتبنى السادات هذا البرنامج الذى جاء مـكملا للميثاق ، بل يتجاوز الميثاق فى اعطاء اهتمـام اكبـر بـالنواحى التطبيقية والعملية وقد كان موعد اعادة النظر فى الميثاق قـد ازف (عشر سنوات من تاريخ وضعه) .

كنا نريد ان يكون برنامج العمل الوطنى وثيقة تقدمية ، يضيفها السادات ويغنى بها ، وثائق الثورة التى سبقته فى عهد عبد الناصر ، الميثاق وبيان ٣٠ مارس ولكننا اردنا شيئا واراد السادات شيئا آخر مغايرا ، بل لعله تراجع فى آخر لحظة نتيجة ضغوط من اياها أو وعود من اياها .

لقد عمل فى اعداد هذا البرنامج مجموعة لابد ان اذكرها تقديرا لدورها الوطنى ليس فقط فى اعداد هذا البرنامج بل فى مختلف مواقع

العمل .

● د . عزيز صدقى والذى نسميه بحق رائد الصناعة المصرية ـ الأمين المؤقت للاتحاد الاشتراكى ووزير الصناعة ـ نائب رئيس مجلس الوزراء وعضو اللجنة المركزية ورئيس الوزراء لاحقا .

● د . فؤاد مرسى استاذ جامعى له مؤلفاته الاقتصادية ، عضو الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى ووزير التموين لاحقا .

● د . اسماعيل صبرى ، استاذ جامعى مدير معهد التخطيط ، له مؤلفاته الاقتصادية ونشاطه الدولى الواسع ، ووزير التخطيط لاحقا .

● د . محمد على الخفيف ، من طليعة الاشتراكيين فى مصر ، استاذ فى معهد الدراسات الاشتراكية له ابحاثه ودراساته المتعددة فى الاشتراكية والتاريخ ، عضو اللجنة المركزيةاحد اعمدة صناعة الدواء فى مصر .

● محمد عبد السلام وزير شئون مجلس الأمة ومجلس الشعب ـ سكرتير اول اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى نائب رئيس الوزراء لاحقا .

كنا نطلع السادات على كل خطواتنا فى اعداد البرنامج ، بعد ان وزعنا العمل فى جوانبه المختلفة بيننا ، وتولى الصياغة النهائية الدكتور محمد على الخفيف كما تولى مهمة عرضه على السادات ، واجتمع بالسادات عدة مرات لهذا الغرض . وافق السادات على الصيغة النهائية لبرنامج العمل الوطنى الذى سيتقدم به الى المؤتمر القومى العام ، وتم الاتفاق على ان يلقيه امام المؤتمر كبيان رئيس الاتحاد الاشتراكى للمؤتمر وقبل انعقاد المؤتمر بأيام تراجع السادات عن البرنامج الذى صدق عليه كلية وتفصيلا ، وقال انه سيلقى خطابا ويكتفى بإيداع البيان فى وثائق المؤتمر لانه لايرتاح الى البيانات الطويلة التى تلقى فى مؤتمرات الاحزاب الشيوعية .

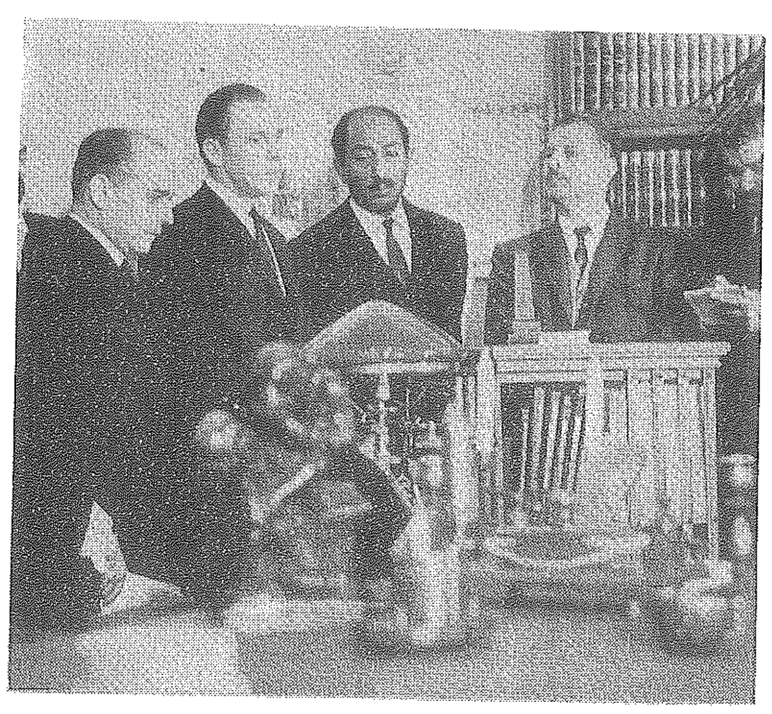
ولكن المؤتمر اقر بحماس برنامج العمل الوطنى وربما كان ابداء

هذا الحماس السبب فى بداية التفكير فى شل فاعلية الاتحاد الاشتراكى .

وانفض المؤتمر بعد ان انتخب لجنته المركزية ، التى اجتمعت فى نهاية شهر يوليو وانتخبني سكرتيرا اول لها ، وانتخبت امانتها العامة . وقد ابدت الامانة العامة اهتمامها البالغ بالبرنامج منذ اليوم الأول لاجتماعها ، وخصصت امانة فرعية لبرنامج العمل الوطنى تولى شئونها الدكتور فؤاد مرسى الذى استطاع مع مجموعة من الخبراء والمتخصصين ان ينتقل بهذا البرنامج الى خطة شعبية ، تولت تفصيلاتها لجان الاتحاد الاشتراكى فى المصانع والشركات والمؤسسات ولجان الاتحاد الاشتراكى فى القرى .

وانهى السادات كل هذا بالضربة التى وجهها الى الأمانة العامة فى شهر يناير ١٩٧٢ بإقصاء انشط اعضائها بدعوى تعيينهم فى الوزارة الجديدة وزارة عزيز صدقى الذى رسم وخطط للتخلص منها فى اسابيع أو أشهر قليلة ليمسح نهائيا على خط عبد الناصر ، ولكل مايمت لعبد الناصر .





السادات .. والزيات : نظرة ساهمة قبل اكتشاف الحقيقة

الفصل الثالث

الظاهر والباطن
السادات يخفي توجهاته الامريكية بمطالبة السوفييت بإستراتيجية مشتركة

عندما جاء بودجورني رئيس مجلس الرئاسة فى الاتحاد السوفييتي فى أواخر شهر مايو سنة ١٩٧١ ، لاجراء مباحثات حول عقد معاهدة الصداقة المصرية السوفيتية ، تحدث معه السادات عن اتفاق استراتيجي بين مصر والسوفييت ، وعندما استقبل السادات فى ٢٧ يوليو سنة ١٩٧١ بونا ماريوف رئيس الوفد السوفييت ، الذى حضر الى القاهرة للاشتراك فى المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى بعد اعادة تشكيله ، طالب السادات باتفاق استراتيجي بين مصر والسوفييت وحملنى هذا الطلب عندما كلفنى بزيارة الاتحاد السوفييتي فى سبتمبر ١٩٧١ للتمهيد لزيارة للاتحاد السوفييتي وكرر السادات هذا المطلب فى مباحثات فى أول زيارة رسمية له لموسكو فى أول اكتوبر ١٩٧١ .

وقبل ان اتوقف لاحكى بالتفصيل قصة هذا المطلب الذى اندهش له معاونو السادات من المصريين بقدر ما اندهش له السوفييت ، يتعين على ان اتوقف عندما جرى فى الكواليس بين السادات وامريكا فى نفس الفترة ، ماتوفر عنه من معلومات فى ذلك الحين ، وماتوفر عنه من معلومات بعد هذه الفترة ودون هذا التوقف لايستطيع احد ان يدرك المفارقة الحادة بين مايجرى فى الباطن ومايجرى فى الظاهر ولا ان يجيب على اسئلة مازالت حائرة .

جاء روجرز الى القاهرة فى شهر مايو ١٩٧١ لمقابلة السادات وقد وجدت منه عزوفا عن مفاتحتى بشأن المقابلة التى تمت بينه وبين روجرز وكل ماقاله لى فى هذا الشأن ـ ولاشك انه كان تمويها ـ انه شرح لروجرز موقفه فى تسوية نزاع الشرق الأوسط ولكننى افترضت منطقيا ان هذه المحادثات لابد وان تكون قد تناولت العلاقات

المصرية الامريكية التي كانت مقطوعة فى ذلك الحين وان روجرز لايمكن ان يقابل السادات الا ويتعرض العلاقات المصرية السوفيتية وان يحاول تشويهها والاساءة اليها ، وهذا دأب كل رسمي امريكي يتحادث مع مسئول مصري . على ان بعض حقائق ماجرى فى هذه المقابلة بدأت تتكشف فى نهاية شهر ديسمبر اى بعد مايقرب من ثمانية اشهر من هذه المقابلة ، ففي حديث للسادات مع بورشجريف رئيس تحرير مجلة النيوزويك الامريكية (نشر عدد ١٣/ ١٢/ ١٩٧١ ص١٦) قال السادات « انه وجه اللوم لروجرز لانه لم يثر موضوع الوجود السوفييتي فى مصر » وهذه الدعوة الصريحة للامريكان لمناقشة هذه المسألة التي كانت تحظى باهتمام بالغ لديهم اخذها روجرز فى الاعتبار وخاصة انه كان يعلم من كمال ادهم نيات رئيس مصر فى هذا الخصوص ثم تأكد منها منه شخصيا وقد انتهت مناقشة هذا الموضوع بين السادات وروجرز الى ماقاله السادات لبورشجريف :

« انني وعدت روجرز بان الخبراء السوفييت سيغادرون مصر بعد اتمام المرحلة الاولى من سحب القوات الاسرائيلية تنفيذا لمبادرتي فى ٤ فبراير » .

ويكشف بورشجريف فى نفس العدد من المجلة المذكورة عن ان السادات بعث قبيل حضور روجرز الى القاهرة برسالة خطية الى نيكسون بانه يأمل مشاركة امريكا فى تسوية مشكلة الشرق الاوسط ، كما طلب السادات عدم معارضة امريكا لبعض التسهيلات التي تمنح لسفن الاسطول السوفيتي فى الموانى المصرية ، وينهي السادات رسالته الى نيكسون بانه يتطلع الى علاقات اوثق مع الولايات المتحدة الامريكية .

وقد تسرب فى ذلك الحين من بعض الدوائر الامريكية فى القاهرة ان السادات قد قال لروجرز ان مصر مستعدة لعقد تحالف استراتيجي مع امريكا اذا تعاونت معها على حل مشكلة الشرق

الاوسط .

السادات يلح فى طلب عقد اتفاق استراتيجى مع السوفيت فى الوقت الذى يبدى استعدادة لتحالف استراتيجى مع امريكا .

فما الذى اراده السادات ، هل أراد قوة عظمى تحفظ عليه سلطته وسلطانه باى ثمن ؟ هل اراد ان يذهب بهذا المطلب الغريب الى ابعد مدى ممكن ، وان يكون سوفيتيا اكثر من السوفيت حتى لايخسر السوفيت قبل ان يملأ يده من الامريكان ؟ أم اراد ان يتسابق على القوتين العظميين ؟

اما موقف الدبلوماسية المصرية فقد كان واضحا ، ففى شهر ابريل ١٩٧١ قامت وزارة الخارجية بوضع تقييم كامل للموقف ، يعتبر من الوثائق الهامة التى اعدت طوال النزاع العربى الاسرائيلى ، انتهت فيه الى التاكيد على ان ماتستهدفه الدبلوماسية الامريكية بعد هزيمة ١٩٦٧ هو ان يكون حل النزاع حلا امريكيا بحتا ، والسلام سلاما امريكيا يضع المصالح الامريكية والاسرائيلية فوق كل اعتبار اخر . ولم تغير وزارة الخارجية تقييمها هذا بعد المقابلة التى تمت بين روجرز ومحمود رياض فى اعقاب مقابلة روجرز للسادات .

وقد تقدم محمود رياض بهذا التقييم الى السادات فى ١٣ ابريل ١٩٧١ .

واستطيع ان اؤكد ان وزارة الخارجية المصرية ظلت على تقييمها هذا بعد ان تتابع عليها اربعة وزراء محمود رياض ، مراد غالب ، محمد حسن الزيات ، اسماعيل فهمى منذ العدوان وحتى استقال الاخير قبل زيارة القدس .

وقد لخص محمد حسنين هيكل هذا الموقف فى كتابه ، « الطريق الى رمضان » ، وكان على اطلاع كامل بكل مراحل الاتصالات العلنية التى كانت تجرى بين وزارتى الخارجية فى مصر وامريكا وكذلك الاتصالات السرية التى كانت تجرى مع الاجهزة التابعة

لكسينجر بعد ان اصبح الاتصال مع الولايات المتحدة يجرى ـ كما اشرنا فى مكان اخر ـ عن طريق قناتى وزارة الخارجية المصرية مع نظيرتها الأمريكية وجهاز المخابرات المصرى ونظيره الامريكى التابع لمستشار الامن القومى هنرى كسينجر .

كتب هيكل يقول : واذا استعدنا هذه المرحلة (اى المرحلة السابقة على حرب ١٩٧٣) فانه من الممكن ان نحدد ست نقاط تقود السياسة الامريكية فى الشرق الاوسط :

١ ـ فهم يريدون اقصاء الروس عن المنطقة وعن أية مشاركة ايجابية فى شئونها . هذا من ناحية لانهم يعترضون على اى تواجد روسى فى هذه المنطقة الى جانب مايحمله هذا الوجود من مخاطر الصدام بين القوتين العظميين .

٢ ـ وهم يريدون ان يجعلوا قنوات المفاوضات المختلفة منفصلة ـ التفاوض لحل بين مصر واسرائيل ، بين اسرائيل وسوريا ، بين اسرائيل والفلسطينيين (اذا كان ذلك سيصبح ممكنا) وهكذا بحيث تكون كل واحدة منفصلة عن الاخرى وليس كجزء من حل شامل .

٣ ـ وكل حل منفصل يتعين التفاوض فى شأنه مرحلة مرحلة .

٤ ـ قبول وجهة نظر اسرائيل ، فان الامريكيين كانوا على اقتناع بانه لاعودة لحدود ١٩٦٧ .

٥ ـ النظر الى المشكلة الفلسطينية باعتبارها مجرد مشكلة لاجئين .

٦ ـ المحصلة الاخيرة يتعين ان تكون حلفا امريكيا Pax Americana يضمن المصالح الامريكية فى المنطقة .

■ ■ ■

وكلنا يعرف ان ادارة العلاقات الخارجية والتعامل مع المشكلة العربية الاسرائيلية امر من اختصاص وزارة الخارجية ، وأن وزير

الخارجية ، وهو رجل الدبلوماسية الاول ، لكي يستطيع ان يؤدى دوره لابد وان تتجمع لديه كل المعلومات وحصيلة كل الاتصالات ، ليكون الراى الذى يفرضه على رئيس الجمهورية او على مجلس الوزراء مستكملا كل اركانه ، حتى يمكن ان يتخذ القرار مستكملا لكل مقوماته

ولكنه فى ضباب هذا الصيف خرج كل شىء عن اطر التعارف والمستقر عليها .

السادات يدير السياسة الخارجية وحده ووزارة الخارجية لاتعلم عن مباحثاته شيئا .

اعمدة السياسة الامريكية فى مصر ، بيرجس المشرف على رعاية المصالح الامريكية فى مصر (ومعه ستيرنر احيانا) يقدم كل مايريد من اوراق او آراء الى السادات ، ويتلقى رأيه عن طريق هيكل ، ووزارة الخارجية المصرية لاتعلم عن كل مايدور شيئا .

واذا كان من المقبول ان يلتقى مندوب وكالة المخابرات الامريكية ، « يوجين ترون » فى ذلك الحين ، مع رئيس المخابرات المصرية او نائبها ، اذ ان هناك تعاونا بين المخابرات المصرية وغيرها ، فى اطار اختصاصات المخابرات ، وهى المحافظة على الامن الخارجي للبلاد ، فانه ليس من الطبيعى ان تصبح هذه اللقاءات مخصصة لمباحثات سياسية .

ولكنها تعليمات السادات قضت بأن رجل المخابرات الامريكية يمكنه ان يتحدث الى رئيس المخابرات المصرية احمد اسماعيل الذى اصبح وزيرا للحربية قبل بداية حرب اكتوبر فى اى شىء يريده او اى شىء يريد توصيله الى السادات وكان التبريرانه قد تكون هناك بعض الحساسية للوسائل الدبلوماسية أما بالنسبة للاتصالات بين احمد اسماعيل رئيس المخابرات المصرية ويوجين ترون مندوب المخابرات الامريكية فليست هناك حساسية .

وكانت المخابرات حريصة على الا تصل اخبار هذه الاتصالات الى وزير الخارجية ، وقيل ايامها ان كسينجر مستشار الرئيس الامريكي لشئون الامن القومي ، قد بدأ يسحب البساط من تحت اقدام روجرز وزير الخارجية الامريكي ، واشتد التضارب والتنافس بينهما على توجيه السياسة الخارجية ، وقال كيسنجر فى حديثه له مع اشرف غربال المشرف على المصالح المصرية فى واشنطن فى ذلك الحين : لا تنتظروا خيرا من وزارة الخارجية الامريكية ، ايماء منه بأن مستشار الامن القومي والمخابرات الامريكية CIA أصبحت لهما اليد الطولى فى مشكلة الشرق الأوسط

ويحتاج الامر فيما يتعلق بهذه الاتصالات بين المخابرات المصرية والمخابرات الامريكية وراء ظهر وزارة الخارجية المصرية والتى سماها بعض الكتاب ممن تناولوا بالبحث هذه المرحلة بالقناة الخلفية أو القناة السرية ـ الى بعض التفصيل .

يقول هيكل فى كتابه « **أبو الهول والقومسير** » (ص ٢٤٥ من النسخة الانجليزية) انه نتيجة لأن كسينجر قد أصبح السلطة الفعلية الحقيقية فى توجيه السياسة الامريكية فقد رأى السادات انه من المناسب ان يقيم اتصالا مع جهاز الامن القومي الامريكي الذى يرأسه كسينجر وجهاز المخابرات المصرى الذى يراسه « احمد اسماعيل » .

ثم يقول هيكل فى كتاب « خريف الغضب » ان الاتصالات مع كسينجر كان تجرى فى البداية عن طريق كمال ادهم والمخابرات السعودية ، ثم يحكى فى كتابه عن محاولات كمال ادهم اقامة جهاز اتصال يربط بين منزليهما (اى منزل هيكل ومنزل كمال ادهم) فى مصر والسعودية حتى يجرى الاتصال بصفة سرية كاملة ......

وبعد عدة اسابيع من رفض هيكل ابلغه الفريق صادق وزير الحربية المصرى ان اجهزة الرصد فى القوات المسلحة المصرية

اكتشفت وجود محطة ارسال لاسلكية تعمل من مكان ما في الجيـزة وهي المنطقة التي يقع فيها منزل انور السادات ويقول هيكل انه لـم يعلق ولكنه فهم ان هذا هو جهاز الاتصال بين انور السادات والملك فيصل (ص ٤٤ و٤٥ من النسخة الانجليزية) .

الا انه حدث تطور بعد ذلك حيث اقيمت قناة اتصال مباشرة بناء على رغبة السادات على اعلى المستويات بيـن السـادات والبيـت الابيض ويختلف هيكل وكيسنجر (في كتـابه سـنوات في البيـت الابيض) عن موعد بداية عمل هذه القناة هل كان ذلك في خـريف ١٩٧٢ ام في ابريل ١٩٧٢ كما يقول كسينجر ، واعتقادي ان هـذه القناة قد بدأ عملها في خريف ١٩٧١ حيث أنني عـاصرت قضـية الجاسوسية التي اتهم فيها طناشي راندوبلوومس سيفين هيـريس سكرتيرة قسم الفيزات بالقنصلية الامريكية بارسال معلـومات الى المخابرات الامريكية عن موضوعات تقنية خطيرة تتعلق بالطائرات السوفيتية التي تعمل في مصر . وقد أثار هذا المـوضوع اسـتياء السادات واعطى اوامره امامي للفريق أحمـد اسـماعيل (رئيس المخابرات المصرية) باستكمال التحقيقات وتقديم المتهميـن الى المحاكمة ولكنه فجأة وبعد ايام قليلة وبلا اى مبرر امر باغلاق ملف الموضوع وكان ذلك في سـبتمبر ١٩٧١ . واعتقـادي أن حـرص السادات على إبقاء هذه القناة هو الـذي حملـه على اغـلاق ملف الجاسوسية هذا ، وقد توقفت عند هذا الموضوع نظرا لاهميتـه في تحديد بداية تحول السادات الى امريكا كما أنه يفسر كل الاحـداث المتلاحقة التي يستحيل على العقل والمنطق تفهم دواعيها ودوافعها والتي انتهت الى توقيع معاهدة الصلح المنفرد مع اسرائيل فقد كانت القناة الخلفية او القناة السرية وراء الصدمات الكهربائية التي كان يتباهى بها السادات ووراء كل الوحي والالهام الذي يتلقاه .

وبعد عقد معاهدة الصداقة المصرية السـوفيتية في ٢٧ مـايو

١٩٧١ قابل بيرجس المشرف على المصالح الامـريكية فى مصر ـ السادات فى بداية شهر يونيو ، بمناسبة سفر بيرجس الى واشنطن ، وحمله السادات رسالة الى نيكسون بان هذه المعاهدة لن يكون لهـا اى تأثير على رغبة مصر فى السلام ، ولا على قرار مصر ، ويـرجو ان تستمر الاتصالات بينه وبين نيكسون وهو يتطلع الى مزيد من هـذه الاتصالات .

ولم يكتف الامريكان بذلك فقد عاد بيرجس من واشنطن ، ومعه مايكل ستيرنر ، وقابلا السادات فى ٦ يوليو ١٩٧١ ، واثـارا نفس السؤال حول اثر توقيع هذه الاتفاقية على نية مصر فى الـوصول الى تسوية سلمية .

وعاد السادات الى نفى اى اثر لهذه المعاهدة ، مؤكدا استعداده للتوقيع على أية ورقة تحمل شروطا معقولة .

وخلال هذا وصل التلهف الى أمريكا الى مداه الى حد مسارعة السادات الى لقاء مايكل ستيرنر بمجرد وصوله الى القاهرة ، ومايكل ستيرنر رئيس قسم الشرق الأوسط فى وزارة الخارجية الامـريكية ، وقد كان مرافقا لروجرز عندما جاء لمقابلة السـادات (وسـبق ان رافق السادات فى اول زيارة للولايات المتحدة الامـريكية فى سـنة ١٩٦٦ عندما كان رئيسا لمجلس الامة) .

سمعت هذا الخبر من محمد حسنين هيكل وهو يبدى امتعـاضه وسخطه على تصرفات السادات ، وقد اخذ يتسـاءل فى حيـرة كيف يتكالب رئيس جمهورية مصر على مقابلة مـوظف صـغير فى وزارة الخارجية الامريكية بهذه الصورة المذرية ، يكفى ستيرنر ان يقابل مدير ادارة فى وزارة الخارجية (هذا ما قاله هيكل) .

كان هيكل فى ذلك الحين همزة الوصل بين بيرجس ، الـذى كان يتولى رعاية المصالح الامريكية ، وبين السادات ، وطبيعى ان يعلم من بيرجس ما كان من امر ستيرنر .

جاء مايكل ستيرنر وليس معه جديد وظل فى القاهرة طويلا بدعوى انتظار سيسكو او تعليمات من وزارة الخارجية الامريكية ثم عاد الى واشنطن ولكنه ظل بعد ذلك سنوات يروح ويجيىء قاسما مشتركا فى كل الاتصالات التى جرت مع (الامريكان) ...

قد يصعب على الانسان ان يحكم على واقعة معينة فى حينها ، وقد تمر به مرورا عابرا ، ولكن بعد وقت يطول او يقصر ، وتتابع الوقائع وربط بعضها ببعض ، عند ذلك تتكامل للانسان اسباب الحكم على الاشياء ..

هذا ما كان من حكاية (الامريكان) اما ما كان من حكاية (اصدقائنا الروس) فنبدأ فى ضوء كل هذا ، حكاية ما قاله السادات لبوناماريوف رئيس الوفد السوفيتى فى ٢٧ يوليو ١٩٧١ .

□ □

خلال زيارة بودجورنى والوفد المرافق له فى اواخر شهر مايو ١٩٧١ ، صمم السادات على ضرورة ايفاد وفد من الاتحاد السوفيتى على مستوى عال لحضور افتتاح المؤتمر القومى العام للاتحاد الاشتراكى العربى الذى كان مزمعا عقده فى ٢٣ يوليو ١٩٧١ ، بعد اعادة تشكيل الاتحاد الاشتراكى العربى من القاعدة الى القمة .

وحضر الوفد السوفيتى فى الموعد المحدد برئاسة بوناماريوف ، وكان عضوا فى الوفد الذى رافق بودجورنى فى الزيارة السابقة ، وهو سكرتير اللجنة المركزية ، والمسئول عن العلاقات مع الاحزاب الأجنبية ومن اقرب الشخصيات القيادية فى الاتحاد السوفيتى الى بريجينيف ، وقد عاصر العلاقات المصرية السوفيتية منذ البداية .

ورافقته بصفتى الشخص المواجه له (سكرتير اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى) .

وقد حدث خلال زيارة الوفد السوفيتى حدثان هامان :

اولهما : محاولة الانقلاب التى جرت فى السودان فى ١٩ يوليو ،

وما اعقبها من محاكمات صورية ، واعدام بالجملة للعشرات من النقابيين ، واعضاء الحزب الشيوعى والناصريين والبعثيين ، وضباط القوات المسلحة ، والمعارضين لحكم نميرى ، ولهذا الموضوع قصة رويناها فى مكان آخر .

ثانيهما : الحديث الذى جرى بين السادات وبوناماريوف بعد انتهاء المؤتمر القومى العام ، كان الوفد السوفيتى يقضى الايام الاخيرة لزيارته فى الاسكندرية ، ويستعد للعودة الى القاهرة ، لعقد الاجتماع الاخير بينه وبين وفد الاتحاد الاشتراكى العربى ، لاصدار البيان ، المشترك كالعادة المتبعة . وكان السادات يقضى فترة استجمام فى فندق العلمين بسيدى عبد الرحمن ، ولم يكن ايضا فى هذه المرة قد تملكته هواية جمع الاستراحات ، فقد كان ينزل من وقت الى اخر للاستجمام فى شاليه من شاليهات فندق العلمين بسيدى عبد الرحمن ، وهو فى الطريق بين الاسكندرية ومرسى مطروح .

وطلبنى السادات فى الاسكندرية فى صباح يوم ٢٧ يوليو على ما اذكر محددا موعدا للقاء مع بوناماريوف بعد ظهر نفس اليوم استقلينا السيارة بعد الغذاء مباشرة ، لنصل الى الفندق بعد الساعة السادسة مساء ، وجدنا السادات يجلس جلسة استرخاء على شاطىء البحر الابيض المتوسط ، وجلسنا ليبدأ حديث هام بين الاثنين .

سجلت هذا الحديث لاهميته كاملا واعلم انه موجود فى اوراق الرئاسة ، ولم يبق لى منه الا مجرد نقاط وجدتها فى اوراقى المبعثرة .

بدأ السادات حديثه وهو ينظر الى البحر ويقول : « البحر ده هو اللى بيقرر مصير التوازن فى المرحلة المقبلة ، التوازن العالمى » .

واستطرد السادات فى حديثه الى دعوة الاتحاد السوفيتى الى عمل استراتيجية مشتركة مع مصر ، وقال : « ان هذه

الاستراتيجية تحتاج الى قرار سياسي قبل القرار العسكرى » .

وقال ان امريكا اخذت القرار السياسى وهو سياسة توازن القوى .. اسرائيل تكون دائما اقوى عسكريا من كل الدول العربية مجتمعة ... وعلى الاتحاد السوفيتي ان يتخذ القرار السياسي وهو انه سيبقى فى البحر الابيض .

وقال : امامكم شواطئنا وشواطىء ليبيا اكثر من ٣٠٠٠ مليون ونحن مستعدون ، امامكم مرسى مطروح ، انا اللى عرضت وانا اللى طلبت ان تكون قاعدة لكل التسهيلات اللازمة لتواجدكم فى البحر الأبيض ومازال عليكم ان تتخذوا القرار السياسى ، طلبت انكم تعملوا مصنع الاسلحة النفاثة .. والممرات لنا ولكم انتم فى مصر ...

وتساءل بوناماريوف اليس توقيع معاهدة الصداقة هو القرار السياسي ...

رد السادات بان لا امريكا ولا اسرائيل احسا بأن الوجود السوفيتي والمعونة السوفيتية لمصر قد تزايدت ، بما ينبىء ، ببداية خط جديد فى العلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتي .

وطلب السادات ان تعاود القيادة السوفيتية دراسة « بناء استراتيجية مشتركة مع مصر » وقال ان كل هذا تحدث عنه مع بودجورني عندما كان فى القاهرة .

وعلق بوناماريوف بان عامل الثقة لابد ان يكون متوافرا فى الجانبين وقال السادات كلمته المعهودة « صح » .

وانتقل الحديث بعد ذلك الى مسائل عسكرية ونوعيات الاسلحة ونسبة الطيارين للطائرات التي سلمت الى مصر ، وكانت النسبة حسب ما اثير فى ذلك الحديث اقل من طيار للطائرة الواحدة .... حديث طويل لا مجال للخوض فيه ...

وعن القضية الفلسطينية قال بوناماريوف ، ان الاتحاد السوفيتي يحبذ فكرة انشاء حكومة فلسطينية ، ورد السادات بانه

انهى هذا الموضوع واتفق عليه مع ياسر عرفات ...
ثم عرج بوناماريوف عما يتردد من ان امريكا عرضت ان تكون لها قوات فاصلة في سيناء بين القوات المصرية والقوات الاسرائيلية ، في حالة موافقة اسرائيل على فتح القناة ، ووجود قوات مصرية على الضفة الشرقية للقناة .

فرد السادات « انا لا اوافق على عسكرى امريكي واحد على ارض مصرية ، الا امام عسكري سوفيتي ، والا الاثنين بره ، والا كان ذلك احتلالا جديدا . » .

وبعد ذلك ترك السادات بمقتضى معاهدة الصلح مع اسرائيل الجزء الاكبر من سيناء لوجود عسكرى امريكي لا طريق التخلص منه تحت مظلة ما يسمى بالقوات المتعددة الجنسية .

وتحدث بعد ذلك بوناماريوف عن الدعاية المعادية للسوفيت ، التي تجرى حاليا بصورة مكثفة في السودان ، واحيانا في مصر ، وان هذه الدعاية لا تضر الاتحاد السوفيتي ، ولكنها تضر بالقضية العربية التي تحتاج الى كل مساندة دولية .

ورد السادات ان الاتحاد الاشتراكي يبحث هذا الوضع ويتخذ قرارا فيه واشار اليَّ وقال « اهو الزيات قدامك اهه » .

وكان الزيات قد أصابه الدوار ، ليس دوار البحر لأننا كنا جالسين على البر ، ودوار البحر لا يصيب الا من يركب البحر ، ولكن القلق على كل مايجرى وعلى المستقبل أصابني الدوار ، وكنت أعلم عن الاتصالات بين السادات والأمريكان ولا أعلم فحوى هذه الاتصالات .

وكنت اعلم ان عبد الناصر قد ترك باب الاختيار مع الولايات المتحدة الامريكية مفتوحا ، ولم تتوقف في عهده الاتصالات المصرية ـ الامريكية ، رغم ان عبد الناصر لم يخدع قط تجاه نظرة امريكا له وتجاه نواياها معه ..

واذكر على سبيل المثال ان راسك وزير خارجية امريكا قد زار

مصر وعقد عدة لقاءات مع عبد الناصر وتقدم بمقترحات فى ٢ نوفمبر ١٩٦٨ .

كما تلقى وزير الخارجية المصرية من مستر روجرز وزير الخارجية الامريكى بعد ذلك ورقة عمل فى ٩ نوفمبر ورد عليها فى ١٦ نوفمبر ١٩٦٩ .

وكان الرد على كل هذه المشروعات والمقترحات ردا مبدئيا دائما ، ان مصر قد تلقت عدة مشاريع تختلف فى صياغتها ، الا انها تستهدف فى النهاية اجراء تسوية جزئية مع الجمهورية العربية المتحدة فرغم ما ابدته امريكا فى كل المناسبات ان ليس لديها النية لفصل ما يتعلق بالجمهورية العربية المتحدة عن سائر الاجزاء ، لأن التسوية يجب ان تكون شاملة .

وقد جاء جروميكو الى مصر وعقد عدة لقاءات مع عبد الناصر لمناقشة ورقة العمل التى تقدم بها المستر روجرز وزير الخارجية الامريكية فى ٩ نوفمبر ١٩٧٩ .

وكان المشروع واضحا ومحددا فى الجلاء عن سيناء بحيث تصبح الحدود الدولية السابقة بين مصر وارض فلسطين تحت الانتداب ، الحدود الأمنة والمعترف بها بين اسرائيل والجمهورية العربية المتحدة .

وعلى قدر علمى ان عبد الناصر توقف عند نقطتين :

الاولى : ـ ان مصر لا يمكن باى من حال من الاحوال ان تقبل حلا جزئيا ، ويتعين ان يكون الحل شاملا لجميع الاراضى العربية التى احتلتها اسرائيل بعد ٤ يونيو ١٩٦٧ .

الثانية : ـ ان المشروع ينص على السماح بمرور السفن الاسرائيلية فى قناة السويس وخليج العقبة ، وان هذا يتحقق تلقائيا نتيجة انتهاء حالة الحرب مع اسرائيل ، وتنفيذ باقى بنود القرار رقم ٢٤٢ ، وان مصر لا يمكن ان تقبل مرور السفن الاسرائيلية فى قناة السويس وخليج العقبة ، طالما هناك قوات احتلال اسرائيلى باقية فى

الاراضى العربية التى احتلت فى حرب ٥ يونيو .

كما جرت بعد ذلك محادثات مطولة بين عبد الناصر ومستر سيسكو مساعد وزير الخارجية الامريكية ، بناء على طلب من نيكسون ، وبين سيسكو ووزير الخارجية المصرى ، وكان ذلك فى النصف الأول من شهر أبريل ١٩٧٠ ، اى قبل مبادرة روجرز التى أعلنها فى ٢٥ يونيو ١٩٧٠ .

واريد ان اسجل للتاريخ ان ورقة العمل المؤرخة ٩ نوفمبر ١٩٦٩ تتقدم بمراحل واسعة عن الاتفاقات التى عقدها السادات بعد ذلك واترك لوزارة الخارجية المصرية حفاظا على التاريخ ان تصدر كتابا عن كل هذه الوثائق ، لأن الحقيقة لا يصح ان تضيع فى دهاليز وزارة الخارجية المصرية عن اهم واخطر فترة فى تاريخ حياة مصر .

ويقول السادات فى كتاب البحث عن الذات اننا كنا قد فوضنا الاتحاد السوفيتى بالتحدث مع امريكا لازالة شكوكهم الرهيبة « ص ٢١٢ » .

ـ وهذا غير صحيح ، فقد كانت تجرى خلال هذه الفترة اتصالات سوفيتية امريكية ومباحثات بين الاربعة الكبار (امريكا والاتحاد السوفيتى وانجلترا وفرنسا) و الاتصالات السوفيتية التى جرت فى ذلك الحين تمت على اساس مبادىء اساسية حول التسوية ، تم الاتفاق عليها بين مصر والاتحاد السوفيتى ، وسجلت فى وثيقة اطلق عليها « المبادىء الاساسية حول التسوية » مؤرخة ١٧ يونيو ١٩٦٩. فلم يفوض الاتحاد السوفيتى تفويضا مطلقا ليتحدث باسمنا كما يقول كتاب البحث عن الذات .

وكان هذا مدى علمى بالنطاق الذى تدور فيه المفاوضات مع امريكا فى عهد عبد الناصر ، والمدى الذى يمكن ان تدور فيه فى عهد السادات ، فى اطار مبادئنا الثابتة .

ولم اكن اعلم ان السادات يسعى ، لأن يكون ، أو تكون مصر ،

جزءا من الاستراتيجية الامريكية ، في الوقت الذى يسعى فيه ان يكون جزءا من الاستراتيجية السوفيتية ، او يتظاهر على الاقل بذلك لو علمت اذ ذاك لاصابني الجنون لا الدوار ، ولما تحملت ان اكون طرفا في هذا الطريق الذى يسير فيه السادات ، فلم اكن أقبل ، ولم يكن لوطني ان يقبل ، ان تصبح مصر عدم الانحياز ، جزءا من الاستراتيجية الكونيةلاى من القوتين العظميين ، واذا كنت قد تحملت مطلب السادات الغريب في أن يكون ، او تكون مصر ، جزءا من الاستراتيجية السوفيتية ، فقد تحملته على اساس ان احدا من المسئولين المصريين ، وان احدا من المسئولين السوفيت ، لا ياخذ هذا المطلب مأخذ الجد ، واقصى ما يتصوره انه محاولة لدفع السوفيت الى مركز متقدم في مساعدة ودعم قدراتنا القتالية ، وقد تحملته أيضا لما اعرفه من ان السادات مغرم بالالفاظ والمعانى الكبيرة ، يميل الى ترديد الشعارات ، وبالتالى بالتظاهر بالفهم والمعرفة بكل ما يتصل بالاستراتيجية العالمية ، ولم يكن يخطر في بالي في ذلك الحين ، ان دورا في الاستراتيجية الامريكية ، هو مطلبه الأول والاخير ، وانه سيعيش ويموت ساعيا الى هذا الدور .

وانهى السادات جلسته على شاطيء البحر المتوسط وهو يقول « قوم نام ستسافر غدا صباحا معي الى ليبيا » وكان بوناماريوف قد سبقنا الى استراحته ليطلب ان ينزل للاستحمام في البحر عند منتصف الليل ، وتقابلت معه في الصباح الباكر ، وانا استعد للسفر الى ليبيا وكان يتأهب للنزول مرة اخرى الى البحر ، ذكرته بحديثنا مع الدكتور عزيز صدقي ، وعن الثقة المتبادلة التى يتعين ان تتوفر بين البلدين . وكان قد سبق لنا الاجتماع مع الدكتور عزيز صدقى في كابينته في المنتزة بالاسكندرية ، وكان عزيز صدقي وانا معه نحاول ان نؤكد ان خط السادات هو خط عبد الناصر . وان برنامج العمل الوطنى الذى قدمه السادات الى المؤتمر القومى في يوليو ١٩٧١ ، هو تطبيق اشتراكى يضع كثيرا من القضايا النظرية التى تضمنها

الميثاق الوطني (١٩٦٢) موضع التطبيق ، ولكنه كان رافضا اساسا قبول فكرة التطابق بين الخطين ، او فكرة الامتداد بين عبد الناصر والسادات .

واذكر اننا شددنا على ضرورة ان يخطو الاتحاد السوفيتي خطوات للتفاهم مع السادات ، وازالة أى سوء فهم وان الحديث استغرق اربع ساعات تجادلت خلالها انا والدكتور عزيز صدقى مع بوناماريوف ولا اقول تحاورنا ، لان الخلاف كان بيننا خلافا كبيرا .

وعاد بوناماريوف الى موسكو ليعود معه الجمود فى العلاقات المصرية ـ السوفيتية .

وهذا ما كان فى شأن محادثات السادات مع روجرز الامريكي وبوناماريوف السوفيتى .

واذا كانت بعض الحقائق لم تكن معروفه فى ذلك الحين واكتملت صورتها فيا بعد لتتكشف معها الرغبة الكامنة فى السادات منذ ١٩٧١ الى الاتجاه بكليته الى الامريكان الا انه لم يكن فى استطاعته ان يوجه سياسته كاملة فى هذا الاتجاه لانه كانت تعترضه مسألتان :
الاولى ـ ان الاتحاد السوفيتي كان هو المصدر الوحيد لتسليح مصر .
الثانية ـ ان فكرة الاتفاق الكامل مع امريكا لم تكن قد نضجت بعد لان امريكا ـ رغم مبادرات السادات فى اتجاهها .. لم تبد استعدادها لمباشرة اى ضغط على اسرائيل ..

وبينما القناة الخلفية او القناة السرية يتصاعد فعلها وعملها فى تقريب مصر من الخط الامريكي اخذ السادات يخادع السوفيت فبعد اعلان مبادرته فى ٤ فبراير ١٩٧١ بفتح قناه السويس بعد اتمام المرحلة الاولى من انسحاب القوات الاسرائيلية ارسل شعراوى جمعه وكان وزير الداخلية فى ذلك الحين كرسول شخصي له الى

القيادة السوفيتية فى زيارة سرية لموسكو يطمئن فيها القادة السوفيت على ان علاقته مع الإتحاد السوفيتي علاقة استراتيجية يحرص عليها ، وكان ذلك فى شهر (ابريل على ما اذكر) وان السادات قد اشار فى رسالته الى السوفيت يتمتع بكل ثقته وتقديره ولم يمض اكثر من شهر على ذلك حتى كان شعراوى جمعة وراء قضبان سجن السادات .

علما انه يتعين على ان اقول فى هذا المقام انه قد تكشفت لى بعد فترة طويلة بعض الحقائق عن مبادرة السادات فى ٤ فبراير ١٩٧١ فهى لم تأت من فراغ ولكنها تتماثل الى حد كبير من اقتراح لموشى ديان ظهر فى النصف الثانى من ١٩٧٠ بوصفه اقتراحا عمليا ومضمونه التوصل الى تسوية جزئية مع مصر باعتبار ذلك خطوة اولى وفى مصلحة اسرائيل سياسيا وعسكريا على اساس ان تنسحب القوات الاسرائيلية ٢٠ ميلا من شرق القناة فى اتجاه الممرات وان تعيد مصر فتح قناه السويس للملاحة الدولية مع نزع سلاح القوات المصرى فى غرب القناة وقد عرض هذا الاقتراح على ابا ايبن وزير الخارجية فى ذلك الحين وأيدته جولدا مائير رئيسة الوزراء واقره مجلس الوزراء الاسرائيلى فى ٢٩ نوفمبر ١٩٧٠ واذا كان لم يكشف النقاب عن هذ الاقتراح الا بعد هذا التاريخ ، الا انه بلا شك ان الاقتراح كان معروفا للسادات عن طريق الوسيط السعودى كمال ادهم عندما اعلن مبادرته فى ٤ فبراير ٧١ وعندما وعد السادات كمال ادهم فى نوفمبر ١٩٧٠ ان يكون سحب الخبراء السوفيت بعد انتهاء المرحلة الاولى من الانسحاب .

بل ان كيسنجر يقول فى كتابه « سنوات فى البيت الابيض » ص ١٢٨ النسخه الانجليزية

انه فى ١١ يناير ١٩٧١ اتصل ضابط مصرى كبير بممثل المصالح الامريكية فى مصر وابلغه باسم السادات انه يبدى اهتماما كبير باقتراح ديان .

ويستمر السادات في لعبته مع السوفيت ففي خلال المؤتمر الرابع والعشرين للحزب الشيوعي السوفيتي الذي انعقد في الفترة من ٣٠/٣/ الى ٩/٤/٧١ ارسل بوفدين احدهما برئاسة عبد المحسن ابو النور امين عام الاتحاد الاشتراكي والثاني برئاسة سامي شرف الذي كان يحمل رسالة من انور السادات لبريجينيف يقترح فيها صياغة العلاقة القائمة بين الدولتين في معاهدة ..

ويقول هيكل في كتاب « ابو الهول والقومسير » ص ٢٢٦ انه نظرا لانشغال بريجينيف فلم يتسن لسامي شرف مقابلته شخصيا وتسليمه الرسالة الا بعد انتهاء المؤتمر .

وزيادة في الايضاح اقول ان الرد من الاتحاد السوفيتي على عقد المعاهدة التي طلبها السادات اتي في رسالة موقع عليها من بريجينيف وبودجورني وكاسجين في ١/٥/١٩٧١ اى قبل انقلاب مايو وإن كان تم التوقيع عليها في زيارة لبود جورني في ٢٧/٥/١٩٧١ وهذا ينقض ما قاله السادات بعد الغاء المعاهدة في مارس ١٩٧٦ من انه ارغم على عقد المعاهدة بضغط من السوفيت لتثبيت علاقتهم بمصر بعد ابعاد مجموعة مايو . وقد اطلعت على هذه الرسالة وعلى تاريخها حيث كتب احد اعضاء وفد المفاوضات الذي شكله السادات لدراسة هذه المعاهدة ، والمباحثة في شأنها مع الوفد السوفيتي ويمكن الرجوع اليها في محفوظات الرياسة أو وزارة الخارجية وينطبق الامر ايضا على ما اسماه السادات بطرد الخبراء السوفيت من مصر في يوليو ١٩٧٢ فقد سبق هذا القرار زيارات واتصالات ناجحة قام بها هو ذاته مرة في فبراير ومرة في ابريل وعبر عن رضاه الكامل عن الزيارتين – كما زار المارشال جاريشكو وزير الدفاع السوفيتي القاهرة في شهر مايو ١٩٧٢ وفي يونيو من نفس السنه – زار محمد صادق وزير الحربية المصري موسكو وقدم الى السادات تقريرا عن محادثاته في ١٥ يوينو وكان تقريرا مرضيا كما

عبر عن ذلك الفريق صادق فى مجلس الوزراء ــ وقد كنت نائبا لرئيس الوزراء فى ذلك الحين .

وقد تساءل هيكل فى كتابه ، « الطريق الى رمضان » ص ١٦٩ من النسخة الانجليزية ماذا حدث فى راس الرئيس الفترة من ١٥ يونيو الى ٦ يوليو عندما اتخذ قراره هذا ثم يقول لايستطيع الاجابة عن ذلك الا السادات نفسه .

واقول ان هذا القرار لم يكن نتيجة لعدم الرضا عن المعاملات فى المجالات العسكرية مع الاتحاد السوفيتى ولكنه كان شأنه الغاء المعاهدة نتيجة الاتصالات التى كانت تجرى خلال القناة الخلفية او القناة السرية التى كانت تربط بين السادات وبين السعودية ومن وبينه وبين امريكا .

واذكر انه كان لى موقف فى مجلس الشعب عن نظر مشروع الغاء هذه المعاهدة وقد كنت عضوا فيه وقد تحدثت فى اللجنة الموسعة التى رأسها سيد مرعى رئيس مجلس الشعب فى ذلك الحين لنظر هذا المشروع وقلت ان الغاء المعاهدات او تجميدها امر وارد فى الفقه ، الدولى . القانون الدولى ولكن لابد ان يقاس الامر بمقياس المصلحة ومدى تأثير هذا الالغاء الدولى والتجميد على المصالح الامنية وعلى العلاقات الاقتصادية والتجارية بوجه خاص واعطيت أمثلة على تنوع هذه المصالح والعلاقات وكان رد الحكومة انها تبحث الموضوع من كل جوانبه وهى مطمئنة على ما تقترحه على المجلس ويكشف اسماعيل فهمى فى كتابه ، التفاوض من اجل السلام فى الشرق الاوسط عن المفارقة الشاذة فى تعامل السادات مع السوفيت وتعامله مع الامريكيين فيقول كان السادات يشعر بعدم الامان وبحساسية مبالغ فيها فى كل مرة يتعامل مع السوفيت ويضرب مثلا لذلك بحديث جرى بين السادات وجروميكو فى ١٩٧٤ حيث قاطع السادات جروميكو فجأة معترضا على ما اسماه تدخلا فى الشئون

الداخلية المصرية واعلن ان مصر دولة مستقلة وانـه لن يقبـل أى تدخل فى شئونها ... ويقول اسماعيل فهمى اننى سارعت وهمست فى اذن السادات انه ليس هناك فى حديث جروميكو ما يعتبر تدخلا بأى صورة ، وكان جروميكو ينقل رسالة مكتوبة من القـادة السـوفيت تعكس الرغبة فى معرفة موقف العلاقات المصرية السوفيتية .... اما فى تعامله مع الامريكيين فكان السادات هادئا مرنا وكثيرا ما يتعمـد استعمال عبارات الالفة والمودة .. مثال ذلك صديقى العزيز هنرى واستعداده التام لقبول اى اقتراح امريكى دون تـردد .. وذلك على العكس تماما مع السوفيت فقد كان اسلوبه هـو الشـك الشـديد والاستعداد لتفسير كل عبارة كهجوم ضد مصر بل ان المقصود هو اهانته شخصيا (٢١٠)







الشفيع أحمد الشيخ رافعا يديه قبل شنقه بعد أن صدق السادات على الحكم

الفصل الرابع

اتحاد عمال مصر وحمامات الدم فى السودان
بداية انحياز السادات لنميرى ضد شعب السودان

حدثت احداث هذه الواقعة وانا اشغل مركز سكرتير اول اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي ، ولاادري من اين ابدأ هذه القصة فاحداثها متعددة الجوانب ، مختلفة الاطراف ، وان كانت كلها تدور حول الانقلاب الفاشل الذي جرى في السودان في منتصف يوليو سنة ١٩٧١ ، والذي قاده بعض الضباط وقيل ان بعضهم ينتمي الى الحزب الشيوعي السوداني .

وقد ساعدت كل من مصر وليبيا في قمع هذا الانقلاب . ارسلت مصر بقوات الى السودان ، واعترضت السلطات الليبية بطائراتها الطائرة البريطانية التي كان يستقلها ابوبكر النور ، الذي قيل في ذلك الحين انه قائد هذا الانقلاب ومخططه ، وكان في طريقه من لندن الى الخرطوم ، فقبضت عليه سلطات ليبيا ، وارسلته على طبق من فضة الى نميري ، ليعدمه في اعقاب وصوله مباشرة ، واستطاع نميري بهذه المساعدة ان يحاصر هذا الانقلاب وان يستعيد زمام الموقف .

وليس هنا مجال الكلام عن ثورة السودان ، وكيف نشبت ؟ ولماذا نشبت ؟ ولكننا نتناول ماشهده السودان في اعقاب استعادة نميري زمام الموقف ، فقد شهد السودان احداثا رهيبة ، ومحاكمات صورية ، واعدامات بالجملة لنقابيين وضباط من القوات المسلحة واعضاء في الحزب الشيوعي السوداني ، ووطنيين من ناصريين وبعثيين لاتجمعهم رابطة غير معارضة نظام نميري ، كما ارتبطت هذه الحملة بحملة واسعة اخرى على الاتحاد السوفيتي وعلى الدول الاشتراكية واتهامها بالتواطؤ مع المحرضين والقائمين بانقلاب ١٩ يوليو .

وقد عمت المظاهرات فى ذلك الحين كثيرا من اقطار العالم ، حتى عواصم اوروبا الغربية واخذت التشكيلات النقابية فى انحاء العالم ، والمنظمات المختلفة تندد بالمحاكمات العسكرية واحكام الاعدام بالجملة ، التى تجرى فى الخرطوم ، وسرعة تنفيذ الاحكام وعدم توفير امكانيات الدفاع عن المتهمين .

ووصلت الى وزارة الخارجية المصرية تقارير من سفاراتنا فى الخارج ، حول مظاهر الاحتجاج والتنديد التى تجرى فى الخارج ، ونضرب مثلا بما ارسل به القائم بالاعمال المصرى فى السفارة المصرية بلندن الى وزارة الخارجية فى هذا الخصوص ، قال فى رسالته بدأت السفارة المصرية فى لندن تتلقى عددا من الخطابات يوجه مرسلوها الاتهام الى حكومة الجمهورية العربية المتحدة ، بالتآمر مع الرئيس نميرى ، وتأييده فى الاجراءات التى اتخذها ازاء المحرضين والقائمين بانقلاب ١٩ يوليو .

ـ ثم يقول فى رسالته : ان الكثيرين يربطون الاحداث المتوالية فى العالم العربى ابتداء من الاعتقالات فى الجمهورية العربية المتحدة فى مايو وانتهاء باحداث السودان ، ويصورونها على انها انتصار للتيار الذى تفرضه بعض السياسات الاستعمارية وفى مقدمتها سياسة واهداف الولايات المتحدة الامريكية فى المنطقة ويكفى ان اورد نص هذه الرسالة دون حاجة لأى تعقيب فقد كانت هذه بداية تآمرية من السادات ونميرى استمرت سنوات بمظلة مصرية لحماية نظامه الفاسد وبتوجيه امريكى يكفل هذه الحماية ضد ارادة شعب السودان ومصالحه .

كان هذا مثلا من امثلة الرسائل التى وصلت وزارة الخارجية فى ذلك الحين من سفاراتنا فى الخارج ، وكانت وزارة الخارجية تخطر بها بعض الجهات ومنها الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى . ونعود الى ماكان يجرى فى السودان انذاك ، فقد توالت الاحداث ، وكان المؤتمر القومى للاتحاد الاشتراكى فى مصر قد انهى دورته وبدأ

السادات رحلة الاستجمام فى سيدى عبد الرحمن .

وكان الوفد السوفيتي برئاسة بوناماريوف ــ وله قصة فى موضع اخر ــ مازال فى زيارة الاسكندرية ، وجاءنى بوناماريوف الى حجرتى فى فندق فلسطين فى الاسكندرية صباح احد الايام ، وقال : انه تلقى من القيادة السوفيتية رسالة عاجلة ضمنتها رجاء الى السادات ، وانه يريد ابلاغ السادات بهذا الرجاء مشيرا الى ان الامر لايحتمل اى تأخير كانت الرسالة تتعلق بما اذاعته وكالات الانباء عن صدور حكم باعدام « الشفيع الشيخ » ينفذ خلال ساعات ، واعرب بوناماريوف عن الامل الكبير الذى تعلقه القيادة السوفيتية على وساطة السادات لدى نمـيرى لوقف اعدام الشفيع .

حاولت الاتصال بالسادات فى سيدى عبد الرحمن (فندق تورهوتيل) وبعد محاولات استمرت ساعات تم الاتصال ونقلت اليه رسالة القيادة السوفيتية .

وقبل ان نسترسل فى احداث القصة ، لابد من ان نقف عند شخصية الشفيع الشيخ ، كان سكرتيرا عاما لاتحاد عمال السودان ونائب الرئيس العام للاتحاد العالمي للنقابات ، كان شخصية عالمية معروفة فى جميع الاوساط النقابية لثقله ونشاطه الواسع ، وقبل هذا كانت له مواقفه القومية العديدة ، فقد استطاع فى سنة ١٩٥٦ بنفوذه النقابي ان يحشد الحركة العمالية ضد العدوان الثلاثى على مصر ، ونفس الموقف وقفه فى سنة ١٩٦٧ ، واستطاع ان ينجح فى دعوته الى اضراب عمال الشحن عن شحن وتفريغ سفن النقل الامريكية احتجاجا على موقف الولايات المتحدة الامريكية من العدوان .

وقد كانت هذه الشخصية موضع الحب والتقدير من عبد الناصر فلم يزر الشفيع القاهرة ، وكان تردده عليها كثيرا ــ الا واستقبله عبد الناصر .

وانتقلت عدوى حب الشفيع الى السادات كانت هذه طبيعته اذا

احب عبد الناصر شخصا كان لابد ان يحبه او يتظاهر بحبه ويتحدث عنه مرددا فى الغالب نفس العبارات والصفات التى يتحدث بها عبد الناصر عن هذا الشخص ، والعكس صحيح كان الشفيع يزور السادات فى مكتبه فى مجلس الامة او فى الاتحاد الاشتراكى واستقبلته انا فى اغلب هذه الزيارات .

وفى كل مرة كان السادات يعبر عن ترحيبه بالشفيع وتقدير مصر والعرب جميعا له .

واذكر وقد اصبح الشفيع فى رحاب الله اننى حملت لهذا الرجل اعزازا وتقديرا كبيرين ، واننى اعجبت بشخصيته وحماسه القومى ونشاطه وحبه لمصر .

اتصلت بالسادات ونقلت اليه رسالة القيادة السوفيتية ، كما استمعت اليها من بوناماريوف وانتهى اليوم بطوله دون ان اتلقى اى رد او خبر من السادات .

وفوجئت فى اليوم التالى بالصحف وقد نشرت بعناوين بارزة اخبار اعدام عبد الخالق محجوب والشفيع الشيخ وفى نفس اليوم طلبنى السادات لمقابلته انا وبوناماريوف فى سيدى عبد الرحمن حيث كان يستجم .

وقد اشرت فى مكان اخر الى الحديث الذى جرى بين السادات وبوناماريوف واكتفى السادات فى سياق هذا الحديث الى الاشارة بانه كلم نميرى عن الشفيع فرد نميرى قائلا ياريتك كلمتنى مبكرا فقد اعدم الشفيع منذ ساعتين .

ولهذه المكالمة التى اشار اليها السادات قصتها .

فقد نشرت الصحف واذاعت وكالات الانباء ان الشفيع قد اعدم فى نفس الوقت الذى اعدم فيه عبد الخالق محجوب وفى وقت متأخر من اليوم الذى اتصلت به بالسادات فى هذا الخصوص ، والامر لايخرج عن احد فرضين ، اما ان يكون نميرى قد كذب على

السادات ، وهذا وارد ، واما ان يكون السادات قد رأى لسبب او اخر الا يتصل بنميرى فى هذا الشأن ، وهذا وارد ايضا .

الا ان بعض الصحف الغربية قد نشرت بعد ذلك بفترة ان مكالمة جرت بين السادات ونيميرى التقطتها اجهزة الاستماع فى احدى سفن الاسطول السادس الامريكي فى البحر المتوسط ثم سربت الى الروس ، لان امريكا كان من صالحها ان تستخدم كل سلاح لتخريب العلاقات بين مصر والاتحاد السوفيتى .

وحقيقة مانشرته هذه الصحف عن المكالمة ان السادات سأل عن الاحوال فى السودان ، فطمأنه نميرى بان الامور تسير على مايرام ، وتجرى تصفية كاملة للانقلابيين ومؤيديهم والمتعاطفين معهم . وقال السادات لنميرى كنت حاكلمك عن الشفيع ، فرد نميرى قائلا كلامك ،ماينزلش الارض ولكن للاسف الشفيع اعدم منذ ساعتين ، فقال السادات عال ولكن اوعى يفلت منك رأس الافعى ، عبد الخالق محجوب ، فرد نميرى ودا ممكن .. اطمئن حنخلص على الجميع .. وكانت كلمة السادات الاخيرة (صح) .

كان عبد الخالق محجوب سكرتيرا عاما للحزب الشيوعى السودانى ، والحزب الشيوعى السودانى كانت له دائما مواقف مؤيدة لمصر ولعبد الناصر ، اختلف فيها احيانا كثيرة مع مواقف الاحزاب الشيوعية العربية .

وخلال حمامات الدم التى كانت تجرى فى السودان رافقت السادات فى زيارة لليبيا ، وعاد هو للاسكندرية للاستجمام ، وعدت انا للقاهرة لمواجهة ازمة جديدة تتعلق باعدام الشفيع .

اثار اعدام الشفيع الشيخ بهذه الصورة البشعة موجه عارمة من الغضب ، اجتاحت معظم التنظيمات العمالية فى مختلف انحاء العالم ، فقد كان الشفيع نائبا للرئيس العام للاتحاد العالمى للنقابات ، وكانت له علاقة وطيده بمعظم القيادات العمالية فى

مختلف انحاء العالم .

وكان من الطبيعي ان يجد هذا الحدث صداه داخل التنظيمات العمالية وبين قيادتها فى مصر ، نظرا للعلاقات الطويلة والطيبة ، والروابط النضالية التي جمعت بين الحركة العمالية فى السودان وعلى رأس قيادتها الشفيع والحركة العمالية فى مصر ، بل كان من الطبيعي ان يجد كل حدث فى اى بلد من البلدين صداه فى البلد الاخر .

وكانت النقابات العمالية فى مصر قد اعيد انتخابها من القاعدة الى القمة ، وانتهت من تشكيل تنظيماتها حتى الاتحاد العام لعمال مصر ، وهيئة مكتبه والمجلس التنفيذى .

وواجهت هيئة مكتب الاتحاد العام لعمال مصر فى اول اجتماع لها هذا الحدث الكبير فى السودان : اعدام الشفيع .

وصلت الى مكتبي فى الاتحاد الاشتراكي ظهر يوم ٣١ يوليو فعرفت ان السيد صلاح غريب رئيس اتحاد عمال مصر قد اتصل بي مرارا وتم الاتصال به فعرفنى ان هيئة مكتب الاتحاد العام فى حالة اجتماع مستمر منذ الصباح ، وهناك اتجاه عام متفق عليه بين جميع اعضاء هيئة المكتب على اصدار بيان بادانة اعدام الشفيع .

كان ردى عليه ان اتحاد عمال مصر هو منظمة ديمقراطية ولها حرية التعبير عن رأيها ديمقراطيا ، الا اننى رجوته على اساس ان الاتحاد الاشتراكي هو التنظيم الام ، وان اتحاد عمال مصر هو من المنظمات الديمقراطية المساعدة للاتحاد الاشتراكي ، ان يعرض على صورة البيان الذى يتفق عليه قبل اعلانه .

اجزت صيغة البيان بعد ان عرضته على الامانة العامة للاتحاد الاشتراكي ، واتفقنا على ادخال تعديلات عليه لتخفيف لهجته وتناقلته اجهزة الاعلام الداخلية والخارجية .

وفى صباح اليوم التالى قرأت فى صحف الصباح وفى مكان بارز منها ، ان رياسة الجمهورية اصدرت بيانا تنفي فيه ما نسب الى

اتحاد عمال مصر ، من اصدار بيان باستنكار اعدام الشفيع ، وان مصر تعلن انها لاتقبل التدخل فى شئون السودان الداخلية ، وان السادات أمر بإجراء تحقيق فيما نسب الى اتحاد عمال مصر .

وهبت رياح ازمة جديدة مع السادات .

ومنذ الصباح الباكر استمرت الاجتماعات فى اتحاد عمال مصر ، ثم علمت من بعض القيادات العمالية ، ان مندوبين من مخابرات الرياسة ومن المباحث العامة قد حضروا الى مقر الاتحاد فى الصباح الباكر واجتمعوا بالسيد صلاح غريب . وان الاجتماعات العمالية التى عقدت طوال هذا اليوم قد ابدت تأييدها الكامل للبيان الصادر عن هيئة المكتب والمجلس التنفيذى (كانت هيئة المكتب تتكون من سبعة اعضاء والمجلس التنفيذى من ١٤ عضوا من رؤساء النقابات العامة بالاضافة الى اعضاء هيئة المكتب) .

لم يجر اتصال بين السادات وبينى فى هذا اليوم ، وجاءت صحف الصباح فى اليوم التالى تحمل خبر لقاء فى قصر عابدين بين السادات والمجلس التنفيذى لاتحاد عمال مصر ، واعضاء مجلس الشعب من العمال واعضاء اللجنة المركزية من العمال ، واعضاء الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى ، ورئيس الوزراء والوزراء وذلك فى يوم السبت ٩ اغسطس اى بعد اسبوع من نشر الخبر .

وخلال هذا الاسبوع اتصل بى السادات من الاسكندرية ، وقال لى فى اول اتصال جرى بيننا لقد سببت لى حرجا كبيرا مع السودان ، ان مجلس قيادة الثورة السودانى فى حالة انعقاد مستمر منذ ان اذيع بيان اتحاد عمال مصر ، وبابكر عوض الله (نائب نميرى فى ذلك الحين على ما أذكر) لم يتوقف عن الاتصال بى من الخرطوم منذ ذلك الحين ، لموافاة نميرى ومجلس قيادة الثورة بما سأفعله ، قلت له اى حرج .. هل اصدار اتحاد عمال مصر بيانا يناشد فيه الجميع حقن الدماء ، وتحقيق الوحدة الوطنية فى السودان ، ان يكون فى ذلك اساءة لنميرى ونظامه ، هذا ما لم افهمه قال مش ضرورى تفهم ،

وعلى كل انا دعيت الى اجتماع لتصفية هذه الموقف ومنع وقوعه فى المستقبل .

كانت تقارير مخابرات الرياسة قد رفعت الى السادات تقريرا بما جرى يفيد بان البيان قد عرض عليّ ووافقت على اصداره .

وعندما توافدت القيادات العمالية على الاتحاد الاشتراكى للسؤال عن اسباب الاجتماع الذى دعا له السادات وموضوعاته ، قلت من الطبيعى ، ان يجتمع بكم رئيس الجمهورية ليهنيء قيادتكم الجديدة بعد اعادة انتخابات النقابات العمالية وليتحدث معكم عن مهام الطبقة العمالية فى المرحلة القادمة وفى مقدمتها تحرير الارض المحتلة .

وجاء يوم الاجتماع ودخل السادات على المجتمعين بوجه متجهم ، واذكر ان السادات قد قوبل عند دخوله قاعه الاجتماعات بعاصفة كبيرة من التصفيق فقد كانت الطبقة العمالية ، كغيرها من الطبقات ، تؤمل خيراً فى العهد الجديد .

وتحدث السادات واصيب العمال بخيبة امل .

شن هجوما لاذعا على اتحاد عمال مصر بسبب موقفه من قضية قتل الشفيع ، وأحداث السودان ، وبسبب تدخله فى شئون السودان الداخلية .

لم يتحدث السادات عن المعركة ، ولم يتحدث عن دور الطبقة العمالية طليعة تحالف قوى الشعب العاملة بالنسبة لتحرير الارض المحتلة .

خرج السادات من حديثه بنظرية جديدة مفادها انه ما دام تحالف قوى الشعب العامل هو الذى يحكم ، فليس من حق طبقة او فئة من فئات تحالف قوى الشعب العامل ان تتخذ موقفا مستقلا عن بقية فئات التحالف ، وان هذا الموقف كان يتعين ان يعرض على التحالف ، اى على السادات نفسه ، لانه التحالف ، ولايصدر البيان الا بعد اذنه وحده واذا اعترض فلا راد لحكمه .

وصاية كاملة من السادات على كل قوى التحالف .

لم تكن الصفات التى اطلقها السادات على نفسه أو أوعز باطلاقها عليه ليتميز على غيره من بقية البشر ، لم تكن هذه الصفات ، كرب الاسرة وكبير العائلة والزعيم المؤمن والقائد الملهم ، وبطل الحرب والسلام واخر الفراعنة وسادس الخلفاء الراشدين إلى غير هذا من الاسماء والمسميات لم تكن هذه الصفات قد ظهرت بعد .. ولكن صفه سبقت هذه الصفات عبر عنها السادات فى حديث إلى قيادات العمال .. وهى « انا التحالف والتحالف انا » .

ذكرتنى بالعبارة المأثورة عن لويس التاسع عشر « انا فرنسا وفرنسا انا » .

وانتهى السادات الى القول اذا كان واحد شيوعى او اثنين تسللوا الى اتحاد العمال فانا اطلب منكم ان تطهروا صفوفكم منهم دون تدخل منى ، ولم يتوقف السادات منذ ذلك الحين وخلال عشر سنوات عن ترديد هذه العبارة ، كلما اتخذت احدى المنظمات النقابية موقفا لايتفق واتجاهاته او لايتطابق وسياساته ، وكانت هذه البداية لتدخلات سافرة فى انتخابات وتشكيلات النقابات المهنية والعمالية ، وفى اضعاف الحركة النقابية وفى احكام السيطرة عليها وفقدانها لاستقلاليتها وهكذا اصبحت هذه العبارة لازمة من لوازمه كلما بيت النية على الاطاحة باى تنظيم ديمقراطى مهنى او عمالى .

وليس مجال هذه القصة ما جرى بالتفصيل من مناقشات اعقبت هذا الحديث ولكن اذكر ان سكرتير اتحاد عمال مصر عبد العظيم المغربى تصدى بكل ادب وموضوعية لتفنيد حديث السادات ، وكان موفقا الى اقصى حد مؤيدا من جميع صفوف القاعة .

مازلت اذكر حديث المغربى وهو يسأل ماذا يكون ردى إذا جاء عامل مصرى نقابى يسألنى ، ماذا فعلتم من اجل الشفيع ، وهو

الذى ربط نضال الطبقة العمالية السودانية بالنضال القومى مـن اجل تحرير الوطن العربى ، ومن اجل الوحدة العربية وتصدر هـذا النضال سنين طويلة . وماذا افهم اذا كان رئيس جمهـورية مصر يتوسط لدى نميرى فى شأن الشفيع فيقوله له (ان الشفيع قد حـوكم واعدم منذ ساعتين) فى الوقت الذى يقبض فيه على مرتزق المانى فى جنوب السودان (شتيرنر) وهو يحارب مع القبـائل المتمـردة على حكومة السودان ، ويقدم للمحاكمة فى السودان ، ويطلب محـاموه التأجيل للاطلاع والاستعداد ، فتجيبهم المحكمة للتأجيل شهرين وفى هذا الوقت يحاكم الشفيع ورفاقه ويعدمون فى ساعات . ما معنى هذا الا ان يكونوا بكل الحسابات قد حوكموا واعدموا قبل الاوان : واضاف عبد العظيم المغربى ليس السودان غريبا عنا بل هو العمق الاستراتيجى لمصر ، وهى احدى دول المواجهة للعدو الصهيونى وما يجرى فى السودان بصفة عامة يؤثر على جبهتنا مـع العـدو ، ولايمكن ان يعتبر موقفنا هذا تدخلا فى الشئون الداخلية للسودان .

بعد هذه الكلمة بدأ السادات يتراجع كعادته فى كل مـواجهة ، فافاض فى الحديث عن نضال الشفيع ، ومواقفه المشرفة فى حـرب سنة ١٩٥٦ وبعد هزيمة ١٩٦٧ ـ تحدث عن الشفيع باعتباره مـن طلائع التقدم فى الامة العربية ، وقال انا كلمت نميرى فرد بان كلامك مايبزلش الأرض ولكن جه بعد الاوان . وانا حاعمل أيـه .. مجلس قياده الثورة بقيادة نميرى فى حالة اجتماع دائم ، وكل ربع سـاعة يتصلوا بى فى التليفون ويقولوا هل هذا يصح ، لو ان الـدنيا كلهـا اصدرت هذا البيان لما كان مهما ، ولكن صدوره عن اتحاد عمـال مصر هذه هى الكارثة ، وانهى كلامه بانه لاوصـاية مفـروضة على اتحاد عمال مصر وان بابه مفتوح للالتقاء بـه والـكلام حـول كل القضايا وانه لن ياخذ بعد ذلك بالتقارير التى ترفع له .

وكانت اخر عبارة قالها قبل ختام اللقاء .

على العموم لم يكن اتحاد العمال هو المقصود بهذا الكلام .

اذن من كان يقصد .. (والمعنى فى بطن الشاعر) كان يقصد الزيات .

لم يقل هذا صراحة فى الاجتماع ولكن بعد ان انتهى الاجتماع دخلنا الى مكتب رئيس الجمهورية ، ممدوح سالم وصلاح غريب وانا وقال السادات : ياصلاح الاجتماع كان محاكمة للزيات مش محاكمة لاتحاد العمال .

خرجت من هذا الاجتماع بانطباعين :

اولهما : ان تحقيق الديمقراطية وتثبيت دعائمها لايعتمد على النوايا الحسنة والوعود الطيبة من جانب الحكام ، او على الشعارات الجذابة التى يرفعها هؤلاء الحكام ، ولكنها عملية نضالية مستمرة شأنها شأن النضال من اجل الحياه لايتوقف السعى من اجلها على زمن دون زمن ، أو على جيل دون جيل ، نضال مستمر مع استمرار الحياة ذاتها ومع تتابع الاجيال .

فقد ملأت كلمات السادات وخطبه واحاديثه الناس املا فى عهد جديد من الديمقراطية تشكل فيه كل مؤسسة من مؤسسات الدولة وكل المنظمات الجماهيرية من نقابات وتعاونيات وجمعيات ، على اساس من الاختيار الحر ، وتمارس فيه بالطريق الديمقراطى التجربة والخطأ ولكن ها هى الحقيقة تصدمنا ، مع اول ممارسة ديمقراطية لمنظمة جماهيرية تعتبر ممثلا لطليعة تحالف قوى الشعب العامل .

والتجربة توحى بأن السادات لن يترك الممارسة الديمقراطية لاية مؤسسة او منظمة ولن يترك لها حق التعبير عن ذاتها ، الا من خلال وصياته ، وبالقدر الذى يراه ، وفى الحدود التى يرسمها ، واذا حاولت مؤسسة او منظمة ان تتجاوز هذه الحدود فلديه السلاح الذى يشرعه ، وهو ان اثنين من الشيوعيين تسللا لهذا التنظيم ولابد من ان يطهر نفسه ، او أن يعاد انتخابه هذا هو تاريخ السادات مع النقابات العمالية ، فقد اعاد تشكيلها مرات ، ثم مع النقابات

المهنية شن حربا على نقابة الصحفيين لانها ارادت ممارسة حقيقية للديمقراطية ، وحرية الراى ، وتدخل بكل ثقله الحكومي في الانتخابات التى اجريت لاعاده تشكيل مجلسها ليحقق النجاح للصحفيين من اتباعه .

وشن حربا على نقابة المحامين بسبب مواقفها من القضايا القومية الوطنية ومعارضتها للقوانين الاستثنائية ، وحل مجلس النقابة المنتخب وعين مجلسا مؤقتا .

ومهدت المقدمات للنتائج بداية من ١٩٧١ فعندما اكتشف السادات ان الاتحاد الاشتراكي قد بدأ يمارس العمل السياسي ممارسة ديمقراطية ، لجأ الى مبدأ التعيين بدلا من الانتخاب وعين سيد مرعي محل الزيات الذى انتخب سكرتيرا للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي في يوليو سنة ١٩٧١ ، وعين بعد سيد مرعي حافظ غانم ، ثم رفعت المحجوب ، ثم مصطفى خليل لينهى به على الاتحاد الاشتراكي اسما ومسمى .

هذا هو الانطباع الاول أما عن الانطباع الثاني الذي خرجت به من هذا الاجتماع العمالى فهو الموقف الصلب القوى الذى وقفه اتحاد عمال مصر وهيئة مكتبه واللجنة التنفيذية والقيادات العمالية من اعضاء مجلس الشعب واللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي ورؤساء النقابات العامة . هذا الموقف الذي برزت فيه وحده القوى العاملة في مصر ، والذى حمل السادات على شن حملة عاتية على اتحاد العمال ثم الاجهاز عليه بعد ذلك بسنة او سنتين .

واذا كنت ذكرت من هذه القيادات عبد العظيم المغربى ، فانني لايمكن ان انسى احمد رفاعي نائب رئيس إتحاد عمال في ذلك الحين ، وابراهيم خليفة سكرتير العلاقات الخارجية ، ومحمد عبده جمعة سكرتير الاتحادات المحلية ، وغيرهم كثيرون ، جمعتني بهم مناسبات كثيرة وانا سكرتير للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي ، فكانوا في احلك الساعات واظلمها هم الامل في غد

افضل واذا كانت قوى البغى والطغيان قد حالت بينهم وبين اداء دورهم فى تنمية الروح النقابية وتعميقها سياسيا واقتصاديا واجتماعيا ، فانى أكتب قصة هؤلاء والامل فى المستقبل لايفارقنى .





فى اول لقاء مع جولدا مائير . قالت للسادات : كنت أنتظر هذا اليوم !

الفصل الخامس

بداية التفكير فى اللجوء الى اسرائيل

تفجرت كراهية السادات المريرة للسوفيت بعد ان تولى السلطة ، وقد عاش قبل ذلك يتظاهر بعكس ذلك تماما ، دأبه في اخفاء كل مشاعره ونواياه . وكان يشعر في قرارة نفسه بان السوفيت يبادلونه مشاعر الكراهية ، لسبب كان يعرفه شخصيا ، ويشك في انهم يعرفوه ، ولم يكن احد في مصر يعرف هذا السبب حتى بدأ يتسرب الى مصر والعالم في الآونة الاخيرة . كان يطلق على السوفيت دائما من باب التهكم « اصدقاءنا السوفيت »

وكان السادات ، فيما يعرف الأن ، يعول في الاحتفاظ بسلطته وسلطانه على أمريكا ، لكن أصدقاءه الامريكان « لم يعولوا كثيرا على امكانية استمراره في حكم مصر ، وعاد مندوبهم في تشييع جنازة عبد الناصر ، ليؤكد للمسئولين في واشنطن ، ان بقاء السادات في الحكم لن يدوم طويلا .

واعلن السادات عن مبادرته بفتح قناة السويس في ٤ فبراير سنة ١٩٧١ كبادرة لفتح صفحة جديدة مع اسرائيل وبالتالى مع امريكا ، واستقبل روجرز وزير خارجية امريكا في ٤ مايو ١٩٧١ ، وكان يصحب روجرز ساوشيسكو الذى كلف بالتوجه الى اسرائيل لجس النبض ، حول ما وصلت اليه محادثات السادات ـ روجرز ، ثم قام السادات بما سمى بحركة التصحيح في الرابع عشر من نفس الشهر ، أى بعد اقل من عشرة ايام من زيارة روجرز ، ولا يمكن الان وبعد ما توفر من معلومات تجاه الارتباط بين الحدثين الاخيرين .

وانتظر السادات عودة سيسكو ، بعد جس نبض اسرائيل ، ولم يعد سيسكو ، والسادات يسأل يوميا في هذا الصيف الغائم ، عن

اخبار من اصدقائنا الامريكان ، وما من اخبار ترد من اصدقائه الامريكان ، ولم يكن صيف ١٩٧١ قطعا بالصيف المريح بالنسبة للسادات الذي يلتمس المساندة الامريكية فلا يجدها ، خاصة وقد التزم « أصدقاؤنا السوفيت » الصمت بدورهم ، وكان لابد من التفكير في طريق ما ، طريق يحمل امريكا على مزيد من المساندة ، ولا يغضبهم في نفس الحين ، طريق يفسد نبؤة المندوب الامريكي الذي اشترك في جنازة عبد الناصر والذي تنبأ بأن حكم السادات لن يستمر طويلا .

وفي اواخر صيف ١٩٧١ ولا اخبار ترد من هذه الجهة ، او تلك ، قال لي السادات ، وهو يجلس جلسة الاسترخاء المعتادة في استراحة القناطر .

ـ لابد من التفكير في طريق اخر غير طريق الاعتماد على امريكا او على السوفيت ...

وتنبهت حواسي وانا أسأل وما هو هذا الطريق وصمت السادات لحظة وقال : ـ نحولها الى حرب تحرير ولم يكمل كلامه .. وادركت انه تحاشي الاجابة ، وانه كان على وشك ان يقول شيئا خطيرا ولم يقله ، لانه غير مجرى الحديث مباشرة ، ولكن لم يخطر في بالي قط ان الطريق الذي عناه ، هو طريق اللجوء الى اسرائيل مباشرة .

لم يكن السادات قط مؤهلا لقيادة حرب تحرير ، وهو الذي منع اى تدريب عسكري جدي للشباب في الجامعات او في المصانع ، وهو الذي كان يقاوم بكل شدة اى تفكير او اى حديث عن الحرب الشعبية ، بدعوى ان ارض مصر تختلف عن ارض فيتنام وأن ظروف مصر تختلف عن ظروف فيتنام ، وكان الشعب المصري يتغنى في ذلك الحين بالحرب التي خاضها شعب فيتنام ضد القوات الامريكية .

ومع تتابع الاحداث اشعر الآن بأن السادات كان يعني بالطريق الأخر : الاتصال المباشر باسرائيل .

وقد كان من الطبيعي والمنطقي وقد بدأت توجهات السادات الى امريكا باعتبارها التي تملك وحدها الحل ، وربط نفسه بتوجهات اقطاب الاستراتيجية الامريكية في المنطقة ـ السعودية والمغرب وايران ـ ان يتجه نظره الى القطب المتميز للاستراتيجية الامريكية في المنطقة : اسرائيل .

ويقول بورشجريف كبير محرري النيوزويك في حديث نشرته لـه « النهار العربي والدولي في ١٠ ديسمبر ١٩٧٧ » تحت « عنوان الرئيس السادات كان يفكر منذ ١٩٧٢ في الاتصال بالاسرائيليين » . في فبراير من ذلك العام قال لي السادات انه يفكر ان في طريقة للتحرر من سيطرة الدولتين الكبيرتين . والسعي الى تحقيق السلام بعيدا عن تأثيرهما او نفوذهما المباشر . وقال لي ايضا « يجب بدء حوار مباشر مع العدو » ولكن طلب مني الا انشر ذلك في « نيوزويك » .

ويتبين من هذا ان فكرة اتصال السادات بالعدو ليست جديدة بل قديمة وتعود الى ما قبل حرب اكتوبر ، وأنه أباح بها الى صحفي امريكي معروف ، غير بعيد عن الأوساط الرسمية الامريكية . واذا كان الصحفي الامريكي لم ينشر الخبر حسب تعهداته للسادات في ذلك الحين الا انه من المؤكد انه اعلم حكومة بلاده او احد اجهزتها برغبة السادات بل ان السادات ما اخبره ذلك الا لتسريب الخبر للدوائر الامريكية .

واذا كان السادات قد غذا تفكيره في الاتصال بالعدو الى رغبته في التحرر من سيطرة الدولتين الكبيرتين فقد قادته خطاه ، واضعا أمنه الاستراتيجي فوق اى اعتبار ، قادته خطاه الى زيارة القدس ، والى مصالحة العدو ولكن مع تحقيق سيطرة أمريكية إسرائيلية مشتركة على كل مقدرات البلاد اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية .

واذا كان السادات قد اسر لـ « بورشجريف » كبير محررى « النيوزويك » بأنه كان يفكر منذ ١٩٧٢ فى الحوار المباشر مع العدو ، فإنني استطيع ان اؤكد ان هذه الفكرة بدأت تراوده منذ سنة ١٩٧١ وانها كادت تأخذ خطوات فعلية فى اوائل ١٩٧٢ .. بوساطة شاوشيسكو رئيس رومانيا .

وشاوشيسكو رئيس رومانيا هو رئيس الدولة الاشتراكية الوحيدة التى ابقت على علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل فى اعقاب عدوان ١٩٦٧ ، بل ورفعتها الى درجة سفارة ، وفكرته عن الاتصال المباشر والمفاوضات المباشرة ، بعيدا عن تأثير القوتين العظميين فكرة قديمة . واذكر انني زرت رومانيا على رأس وفد من الاتحاد الاشتراكي فى ١٩٦٩ للاشتراك فى مؤتمر الحزب الشيوعى وكان معى مصطفى الجندى ، واجتمعت انا ومصطفى الجندى الذى كان عضوا فى اللجنة المركزية وعضوا فى مجلس الامة وامينا للاتحاد الاشتراكي فى محافظة الغربية (وهو الان عضو فى مجلس الشعب) ـ اجتمعنا مع شاوشيسكو ما يقرب من الساعتين وكان محور الحديث حول فكرته عن الاتصال المباشر بين مصر واسرائيل . وطلب مني ان انقل عنه رسالة شفوية الى عبد الناصر بمضمون الحديث الذى يجرى بيننا ووعدته بذلك وأكدت له فى الوقت ذاته موقف عبد الناصر المبدئى من المفاوضات المباشرة .

وأذكر ان عبد الناصر لم ير داعيا فى ذلك الحين للرد على شاوشيسكو ولا مناقشة اقتراحاته وقال لى وانا اعرض هذه الرسالة انه سبق لشاوشيسكو ان ارسل مبعوثا الى مصر لمقابلة الرئيس عبد الناصر وهو ماكوفسكي جروجيو نائب وزير الخارجية (رومانيا) ونقل اليه رأى شاوشيسكو حول الاتصال المباشر بين مصر واسرائيل وكان ذلك فى يونيو ١٩٦٨ وان عبد الناصر استمع اليه مطولا ثم قال له « الذى اريده منك ان تحصل عليه من الاسرائيليين هو خريطة تحدد افكارها عن الحدود النهائية التى يجب ان تكون

عليها اسرائيل » ولم يسمع من شاوشيسكو شيئا بعد ذلك .

وقد أورد محمد حسنين هيكل هذه الواقعة ايضا في كتابه « الطريق الى رمضان » (ص ٦٠ من النسخة الانجليزية)

ثم جاء شاوشيسكو لزيارة مصر زيارة رسمية في بداية ١٩٧٢ ودارت بينه وبين السادات محادثات مطولة تركزت - كما علمت بعد ذلك - حول الاتصال المباشر بين مصر واسرائيل على اساس انه ليس من مصلحة اي من القوتين حل هذه القضية ..

كنت خلال هذه الزيارة نائبا لرئيس الوزراء ونظرا لعلاقتي السابقة مع شاوشيسكو ، فقد نقل سفيره في مصر رغبته في ان اكون مرافقا له في هذه الزيارة

وقد اضطرتني الظروف الى الاعتذار ، نظرا لأنه تصادف ان توفي زوج اختي واخي وصديقي الدكتور محمد على الخفيف في اليوم الذي تحدد لوصول شاوشيسكو الى القاهرة واختير ممدوح سالم وزيرا للداخلية في ذلك الحين لمرافقة الضيف بدلا عني .

وقد زرته في قصر الضيافة قبل عودته الى رومانيا لاشكره على تعزيته لي ، وأعبر عن أسفي للظروف التي حالت بيني وبين مرافقته ذكرني بالحديث الذي جرى بيننا في بوخارست ، ثم قال انه سعيد بالمحادثات التي اجراها مع السادات ، وانهما وصلا الى تفاهم واتفاق كامل في وجهات النظر ، وانه يعود الى بلاده . وهو واثق بأن ازمة الشرق الأوسط ستتحرك نحو الحل ، وبالاسلوب والطريق الصحيح ، وعبر عن سعادته بأن السادات يشاركه في الكثير من أرائه حتى تكاد تكون الآراء متطابقة .

لم يكن هناك مجال للدخول في تفصيلات اكثر ، ولم اعلم اكثر من هذا لأن خطوط الاتصال بيني وبين السادات في ذلك الحين لم تكن تسمح لي بسؤاله عن اية تفصيلات .

الا ان جولدا مائير رئيس وزراء اسرائيل فى ذلك الحين تكشف فى كتابها وعنوانه « حياتي » Mylife الذى صدر فى ١٩٧٥ عن طبيعة الاتفاق الذى تم بين السادات وشاوشيسكو فى ١٩٧٢ .

تقول جولدا مائير فى صفحة ٤٠ من هذا الكتاب انه فى بداية ١٩٧٢ قدم مساعد وزير خارجية رومانيا الى اسرائيل فى زيارة لها ، كان ظاهرها الاجتماع بالمسئولين فى وزارة الخارجية الاسرائيلية ، ولكن كان له طلب واحد وهو ان يرانى ، وأكد على رغبته فى ان يرانى ، والا يحضر احد محادثاتنا .

وبعد ان تحدثت جولدا مائير عن العلاقات الطيبة التى تربط اسرائيل برومانيا ، الدولة الاشتراكية الوحيدة التى ابقت على علاقاتها باسرائيل ، وعن تقديرها لشخصية شاوشيسكو وعن رغبته فى تحقيق تسوية سلمية لمشكلة الشرق الأوسط مضت الى القول : —

اخطرنى مساعد وزير الخارجية (الرومانى) بعد ان قابلنى على انفراد انه فى الواقع قد قدم الى اسرائيل فقط لينقل الى الأتى : « لقد ارسلنى رئيسى لاخطاركم انه عندما زار مصر اخيرا تقابل مع الرئيس السادات ، وانه كنتيجة لهذه المقابلة فان رئيسنا يبعث لكم برسالة غاية فى الاهمية ، وكانت رغبته ان يبلغ هذه الرسالة لكم بنفسه ولكن كان ذلك غير ممكن (وكان شاوشيسكو يزمع السفر الى الصين) فانه يقترح ان تأتوا الى بوخارست فى زيارة سرية واذا فضلتم فاننا سنكون سعداء ان نبعث لكم بدعوة رسمية ..

وتقول جولدا مائير انها قامت بزيارة بوخارست بعد ذلك بفترة قصيرة ، وقد امضت ١٤ ساعة (فى اجتماعين طويلين) مع شاوشيسكو الذى قال لها انه فهم من السادات نفسه انه على استعداد للقاء اسرائيلى وقد يكون اللقاء معى (اى مع جولدا مائير) وقد لايكون الاجتماع معى ، ويمكن ان يكون الاجتماع على مستوى اقل من رؤساء الدول ، ولكن اجتماعا من هذا النوع يمكن ان يتم .

وتضيف جولد مائير : وقلت لشاوشيسكو ، السيد الرئيس هذه افضل انباء سمعتها منذ سنين كثيرة » ..

وتحدثنا لساعات طويلة حول هذا الموضوع وكان شاوشيسكو مشدودا كما كنت ايضا . ولم يكن هناك شك فى تفكيره ، انه كان ينقل رسالة تاريخية وذات ذكاء مطلق ، وقد تحدث معى حتى عن التفصيلات وقال :

« لن نعمل عن طريق سفراء أووزراء خارجية وليس انا ولا أنت .. »

وواضح مما كتبته جولدا مائير ان السادات منذ أوائل ١٩٧٢ وافق شاوشيسكو على اجراء اتصالات سرية مع اسرائيل حتى على اعلى المستويات ، اى بين السادات وجولدا مائير ، وان تكون رومانيا هى الوسيط بين الاثنين .

واذا كانت مثل هذا الاتصالات لم تتم فى ١٩٧٢ ، فقد حدثنى صحفى رومانى ، وهو من الشخصيات المقربه الى شاوشيسكو مؤخرا عن كتاب يعده عن المساعى الرومانية من أجل السلام فى منطقة الشرق الاوسط قال لى هذا الصحفى ان السادات فى زيارته للسعودية فى اعقاب هذا الاتفاق مع شاوشيسكو أثار عرضا لمثل هذه الفكرة ، وانه وجد معارضة قوية لها من الملك فيصل الذى حذر من مثل هذا اللقاء ، ومن اثاره على الموقف العربى كله ، وعلى القضية برمتها .

ويتأكد هذا القول من الصحفى الرومانى بما ورد فى كتاب اسماعيل فهمى وزير الخارجية الأسبق . « التفاوض من أجل السلام فى الشرق الأوسط » عن واقعة لاحقة ومماثلة وهى تتعلق بزيارة القدس فيقول ان السادات قد ابلغه فجأة وهما فى زيارة رومانيا التى بدأت فى ٢٨ اكتوبر ١٩٧٧ عن فكرته فى الذهاب الى القدس . يقول اسماعيل فهمى كنا فى رومانيا فى قصر الضيافة

عندما بدأ السادات وهو مازال فى ملابس النوم يناقشنى هذه الفكرة ولم نكن نطير فوق تركيا متجهين الى ايران او نعبر الجبال .. كما قال السادات فى مناسبات أو فى كتابه البحث عن الذات .. أو ما قاله السادات لديان ان الفكرة تبادرت الى ذهنه بطريقه روحانية بينما كان يطير فوق السحاب .. فقد اراد تغليف مبادرته المزعومة بهالة من الغموض ..(ص ٣٨٤) .

ويسترسل اسماعيل فهمى فى تكذيب كل هذه الارهاصات فيقول .. وفى إستراحتى الخاصة وجدت « اسامه الباز » مدير مكتبى والدكتور محمد البرادعى وهو مستشار قانونى فى وزارة الخارجية ينتظرانى بفارغ الصبر ، وبعد ان استرحت قليلا قصصت عليهما شيئًا فشيئًا ما سمعت به من الرئيس السادات . وما انتهيت حتى انفجر أسامه الباز قائلا هذا جنون ، ولاشك ان الرجل غير متزن .. لابد من منع ذهابه الى القدس حتى لو استعملنا القوة (ص ٣٩٠) .

ولم يختلف اعتراض البرادعى بالنسبة لفكرة السادات عن موقف الباز ، ولكنه لم يعبر عن رأيه بنفس العنف ثم توجه الدكتور البرادعى فجأة الى اسامة قائلا ماذا تفعل لو اصر السادات على رأيه هل تذهب معه ؟ ولكن اجابه الباز كانت واضحه كل الوضوح « لن أذهب الى القدس الا جثه هامدة » (ص ٣٩١) .

ونصل بعد ذلك الى النقطة التى نقلتنا الى هذا الحديث : فيقول اسماعيل فهمى إنه بعد زيارة رومانيا اتجهنا الى ايران ومنها الى الرياض .. وفى اليوم التالى لحضورنا الى الرياض قلت للرئيس السادات .. مارأيك فى اجتماع مع الملك خالد والامير فهد لتجلس معهما وانت ياسيادة الرئيس تخبرهما بنفسك عن فكرتك فى الذهاب الى القدس دون ان تطلب تأييدهما أو التزامهما بما سوف نقوم به فى النهاية .

ويقول اسماعيل فهمى كنت ارجو ان يكون رد فعل السعوديين

لهذه المبادرة عنيفا الى درجة تمنعه منعا باتا ونهائيا وتحتم عليه العدول عن رأيه . رفض السادات وقال « انهم ليسوا بالمستوى الذهني ليفهموا او يتفهموا هذه التحركات » (ص ٣٩١ و ٣٩٢) .

والأمر الذي لايعرفه اسماعيل فهمي ان السادات كان يعرف مقدما موقف السعودية وهو نفس الموقف الذي عبر عنه الملك فيصل عندما عرض عليه فكرة الاتصال المباشر بين مصر واسرائيل في بداية ١٩٧٢ .

على ان فكرة الاتصال الشخصي باسرائيل وفكرة اللقاء على اعلى المستويات التي بدأ تفكير السادات فيها منذ ١٩٧١ وخلال ١٩٧٢ ظلت تملك عليه فكره حتى اتخذ قراره بزيارة القدس في نوفمبر ١٩٧٧ .

فزيارة القدس لم تكن من وحي الخاطر او الهاما نزل على السادات وهو على متن الطائرة التي نقلته من رومانيا الى ايران بعد محادثاته مع شاوشيسكو كما يقول السادات في كتابه « البحث عن الذات » ولكن سبقتها ومهدت لها اتصالات واجتماعات بين شخصيات رسمية مصرية وشخصيات اسرائيلية بترتيب وتنسيق بين المخابرات المركزية الامريكية والموساد (المخابرات الاسرائيلية) .

ويكشف « فيليب ايجي » الموظف السابق في المخابرات المركزية الامريكية والذي قطع علاقاته بها في عام ١٩٧٤ في مذكراته عن عمله في المخابرات الامريكية عن دور هذه المخابرات في الاتصالات المصرية الاسرائيلية التي سبقت هذه الزيارة ومهدت لها ولما تلاها من اتفاقيات فيقول :

« في تلك الاعوام كان هناك في وكالة المخابرات المركزية قسم خاص سري للغاية (للتنسيق بين المخابرات المركزية والموساد ـ

المخابرات الاسرائيلية) وكان يرأس هذا القسم جيمس بيــزوس انجلتون الذى ظل فى هذا المنصب حتى ١٩٧٤ واستقال بعــد ذلك نتيجة للفضائح المرتبطة بمشاركته فى الاطاحة بحكومة ســلفادور اليندى فى تشيلى ثم يقول : ولم يمر ذلك الحدث الهام مثــل صــفقة كامب ديفيد والتمهيد لها دون اشتراك هذا القسم الخــاص فقــد نظمت الموساد (المخابرات الاسرائيلية) لقاء سريا بين بيجيــن ورئيس مجلس الشعب المصرى سيد مرعى بحث خــلاله مســألة « المصالحة » المحتملة بين مصر واسرائيل ، ثم شــارك فى هــذه العملية موشى ديان وزير خارجية اسرائيل بالاجتماعات السرية التى عقدها مع حسن التهامى مستشار الرئيس السادات فى مدينة طنجة (وقد اصبح امر هذه الاجتماعات التى جــرت تحــت إشراف ملك المغرب معروفة للجميع وهى التى يــطلق عليهــا اجتمــاعات ١٦ ايلول ـ سبتمبر ١٩٧٧ .) »

ثم يقول فيليب ايجى انه فى ١٧ أيلول ـ سبتمبر طار ديان مــن طنجة الى باريس ومنها الى تل ابيب حيث اجرى محادثات مع بيجين وفى ١٨ أيلول (سبتمبر) التقى ديان وهو فى طــريقه الى نيــويورك واثناء توقف الطائرة فى زيــورخ بــواسطة عمــلاء المخــابرات الاسرائيلية مع مبعوث من القاهرة وسلمه جواب بيجين . ويــؤكد الكاتب الاسرائيلى « رفائيل اسرائيلى » وهــو يعمــل اســتاذا فى الجامعة العبرية فى القدس وسبق له ان عمــل اســتاذا فى جــامعة هارفارد الامريكية وله العديد من الــكتب والمقــالات عــن الشرق الأوسط ـ يؤكد ما قاله رجل المخابرات الامريكى عن الاجتمــاع الذى تم بين سيد مرعى رئيس مجلس الشــعب المصرى وبيجيــن فيقول : منذ تأليف بيجين الحكومة الاسرائيلية بدأ السادات يجرى اتصالات سرية مع جهات أوروبية وشخصيات يهــودية امــريكية لمعرفة ما اذا كان « بيجين » مستعدا لعقد صفقة سلام مع مصر . ويستطرد الكاتب الاسرائيلى الى القول انه حدث اول اتصــال لــم

يكشف عنه حتى الآن بسرعة ، ففي اغسطس قام بيجين « بزيارة لرومانيا تلبية لدعوة من شاوشيسكو وعلم السادات بأمر هذه الدعوة فاوفد « سيد مرعي » رئيس مجلس الشعب فى ذلك الحين الى بوخارست للاستماع الى اراء بيجين » وهذا الاتصال الأول مهد الطريق امام الاتصالات المصرية الاسرائيلية الاخرى وابرزها الاتصال بين موشى ديان وحسن التهامي .

ويقول كسينجر فى كتابه (سنوات فى البيت الابيض) انه بعد اتفاق فك الاشتباك الاول فى ١٧ يناير ١٩٧٤ كتب السادات خطابا رقيقا الى جولدا مائير يعبر فيه عن جدية رغبته فى السلام مع اسرائيل وان جولدا مائير قد ردت عليه بخطاب مماثل وردد كسينجر بعض فقرات من الخطابين .

واذا كانت عبارات سنه الحسم واوراق اللعبة و ٩٩٪ من الحل فى يد امريكا مصدرها امريكى كما اشرنا فى مكان اخر كما ان عبارات الحاجز النفسي وتحريك القضية وتسخين الجبهة الأمريكية ايضا فان زيارة القدس كانت ايحاء امريكيا مهما حاول السادات ان ينفى عنها هذه الصفة ، فى كتاب « البحث عن الذات » فهو يقول فى الكتاب نفسه فى ص ٣١٥ ما يأتى :

قبل المبادرة « زيارة القدس فى نوفمبر ١٩٧٧ » بشهرين تقريبا فوجئت برسالة من السفارة المصرية فى واشنطن تقول انها تسلمت خطابا خاصا للرئيس السادات من الرئيس كارتر وانه مكتوب بخط اليد ومختوم بالشمع الأحمر .

فقلت لهم ارسلوه ، ولكن السفارة لم ترسله فى الحقيبة الدبلوماسية بل اصرت على ارساله مع مندوب خاص ، قرأت هذا الخطاب الذى لا يعلم احد عنه شيئا ويخيل الى ان احدا لن يعلم عنه شيئا فى المستقبل ، ثم كتبت الرد عليه بنفس الطريقة ، اى بخط اليد ، ووضعت عليه الشمع الأحمر وسلمته لنفس المبعوث الذى سافر به وسلمه للرئيس كارتر شخصيا (ص ٣١٥) .

ويمضى الى القول :

ولكن رغم ان هذا الخطاب كان خطابا شخصيا لا يمكننى ان افصح عن محتوياته ... فهو يمثل فى الحقيقة بدء التفكير فى المبادرة التى حدثت بعد ذلك بشهرين (ص ٢١٦) .

وحديث كتاب البحث عن الذات عن مبادرة القدس ونشأتها ومنشأها يحمل تناقضا كبيرا فهو إذ ينفى ان كارتر هو الذى اوصاه بهذه الزيارة ، يصر على عدم الافصاح عما تضمنته رسالة كارتر السرية ، ثم يشير الى انه عقب تسلمه لهذه الرسالة قام بزيارة إلى رومانيا وايران (ص ٣٢٠) وشاوشيسكو رئيس رومانيا صاحب الفكرة والداعى لها وشاه ايران هو المبارك والمؤيد لها .. وتؤكد روزالين كارتر - زوجة الرئيس السابق جيمى كارتر ، فى كتابها (السيدة الأولى من السهول) ان السادات قام بزيارة القدس استجابة لرسالة من كارتر فى نوفمبر ٧٧ وحتى خطاب السادات فى الكنيست الاسرائيلى يكشف عن تأثره الواضح بالايحاء الامريكى فقد قال فى هذا الخطاب ان ٧٠٪ من الصراع العربى الاسرائيلى مشكلة نفسية و ٣٠٪ تمثل الجوهر . ويكشف « فانس » وزير الخارجية الامريكى بعد انقضاء نحو اسبوعين على زيارة السادات للقدس انه هو صاحب الفكرة اذ قال فى تصريح له فى ١٩٧٧/١٢/٧ :

« ان ازالة الحواجز النفسية هى حدث تاريخى ، وقد سبق وقلت فى الماضى ان العقبة الاساسية نحو السلام هى الحاجز النفسى الذى بقى حتى بعد ما بدأت الأطراف فى المفاوضات الجدية المباشرة ، واعتقد انه بعد الخطوات التى تمت من خلال زيارة الرئيس السادات للقدس ، والاستقبال الذى لقيه من الشعب الاسرائيلى ورئيس الوزراء بيجين ، تحطمت هذه الحواجز »

وأعود الى القول ان البدايات التى حملها الجزء الثانى من عام ١٩٧١ وبدايات عام ١٩٧٢ تنبىء عن الخواتم التى انتهينا اليها

ابتداء باتفاق فصل القوات الاول فى ١٧ يناير ١٩٧٤ ، واتصالا بالاتفاق الثانى فى اول سبتمبر ١٩٧٥ ، ثم زيارة القدس فى ١٩ نوفمبر ١٩٧٧ ثم اتفاقيات كامب ديفيد فى ١٧ سبتمبر وانتهاء بمعاهدة السلام المصرية ـ الاسرائيلية وملحقاتها التى لا حصر لها فى ٢٦ مارس ١٩٧١ .

بدأ السادات مع ١٩٧١ يجعل وجهته لدى امريكا ، ويربط نفسه بكل اقطاب الاستراتيجية الامريكية فى المنطقة ، ويعيد تشكيل علاقات مصر الاقتصادية الدولية ويمهد لربط الاقتصاد المصرى بعجلة السوق الراسمالية العالمية ، تقربا واسترضاء واملا فى الحظوة لدى امريكا .

وينتهى السادات ، بداية من نهاية ١٩٧٣ ، وبعد الحرب المجيدة التى خاضتها قواتنا المسلحة الباسلة فى أكتوبر ، الى القبول كاملا بالحل الامريكى .

ففى ديسمبر ١٩٧٣ بعد أن بدأ كسينجر رحلاته المكوكية لفض الاشتباك الاول وتعثرت المفاوضات فى هذا الشأن يسأل كسينجر السادات : هل تقبل عرضا امريكيا .

وبسرعة وبلا ادنى تفكير يكشف السادات عن ترقبه المتلهف لمثل هذا العرض ، فيرحب بكل سرور ، بعد ان قال لكسينجر لقد جاء دوركم انتم فحلوا الموقف انتم بأنفسكم (ص ٣٠٧ من البحث عن الذات) .

وكان هذا رأيه طوال حياته ، يلقى بالمشكل على غيره لحلها ليتباهى بعد ذلك بأنه رجل استراتيجى ليس من شأنه أن يدخل فى التفصيلات ويكشف ابا ايبان وزير الخارجية الاسرائيلى وهو يتحدث عن فك الاشتباك الأول فى كتابه السيرة الذاتية Auto - Biography الذى كتب فى ١٩٧٧ وطبع فى لندن فى ١٩٧٨ عن المدى الذى

وصل اليه السادات فى الاستجابة الما يطلبه كسينجر وزير خارجية امريكا (الوكيل المعتمد لاسرائيل) .

يقول ابا ايبان فى ص ٥٦٠ من كتابه :

فى الأسبوع الثالث من يناير ١٩٧٤ ضاقت الخلافات ، فقد وصلنا الى عمق الانسحاب الاسرائيلى من غرب القناة ، وعن بعض المواقع فى الشرق ، وتم الاتفاق على ان توضع المنطقة ، المنزوعة السلاح ، بين الجيشين تحت اشراف الأمم المتحدة .

ويقيت نقطة بلا حل وهى تخفيض القوات .. وكان الامر يتعلق الى اى مدى يكون السادات على استعداد لتخفيض قواته فى سيناء ..

وقد عشنا اياما صعبة اكد فيها كسينجر انه لن يستطيع مطلقا حمل مصر على ان تتنازل عن بقاء عدد من الدبابات اقل من ٢٥٠ دبابة ..

ولكن عندما عاد تلك الليلة قال لى فى المطار ان مصر لن تحتفظ باكثر من ٣٢ دبابة فى سيناء .

ويقول ابا ايبان : كان من الصعب على ان اصدق اذنى .. كيف اقنع كسينجر السادات ان تخفض مصر قوة دباباتها فى سيناء من ٧٠٠ دبابة الى هذا العدد (٣٢ دبابة) وعدد افراد قواتها المسلحة من ٧٠,٠٠٠ الى ٧٥٠٠ ، مع تخفيض مستجاب لما طلبه كسينجر فى الصواريخ وفى الاسلحة الاخرى .

ويمضى ابا ايبان قائلا :

وهذا يعنى فى الواقع ان كسينجر قد حقق نزعا جوهريا فى السلام للمناطق التى حصلت عليها مصر فى حرب يوم العبور (حرب اكتوبر)

ويشير ابا ايبان الى أهمية هذا القرار وخطورته فيقول :

كان هذا القرار من السادات هو الذى افضى بى للمرة الاولى الى الاعتقاد ، بأن تغييرا جوهريا فى الاتجاه قد اخذ مكانه فى السياسة

المصرية .

... وفى ٢٨ يناير اعلنت موافقة اسرائيل ، واعلن السادات ذلك فى الاسكندرية ونيكسون فى واشنطن ، وفى اليوم التالى رافقت كسينجر من القدس الى مطار اللد فى قطار ، بسبب الثلوج التى منعت المرور فى الطرق ، وقد اعطى هذا لنا فرصة للتحدث طويلا ... وكان كسينجر يشعر شعور الواثق ، أن مصر قد اخذت طريقا جديدا فى اتجاهها الدولى .. فقد قرر السادات ان ينفض يده من الاعتماد على الاتحاد السوفيتى ، الى علاقات اكثر قربا واعتمادا وارتباطا بالولايات المتحدة .. وهذا سيكون له اثره فى اعتدال موقف مصر بالنسبة لاسرائيل .

كان هذا يعنى ايضا ان السادات اصبح على استعداد لان يستبعد وينفض يديه من المتطرفين العرب امتدادا من بغداد الى طرابلس ..

ورغم ان إتفاقيته مع سوريا لم يكن عليها فى احكام اتفاقية الفصل مع مصر ، فانه كان من المفهوم من السادات انه لايستطيع ان يظل طويلا معزولا ، باعتباره الرئيس العربى الوحيد الذى دخل فى علاقات تعاقدية مع اسرائيل ..

(ص ٥٦٠ وما بعدها ابا ايبان ـ السيرة الذاتية) .

ويؤكد اسماعيل فهمى فى كتابه « التفاوض من اجل السلام فى الشرق الأوسط » ما أورده ابا ايبان فى كتابه السيرة الذاتية فيقول :

خلال المراحل النهائية من مفاوضات اول اتفاق لفك الاشتباك عقد كيسنجر اجتماعا منفصلا مع السادات ، وعقب الاجتماع كنا ـ كسينجر وانا ـ نستقل سيارة عندما ربت كسينجر على صدره بفخر وشعور بالانتصار وقال « اسماعيل ، انه هنا ولايستطيع احد الغاء هذا الآن » قاصدا ان الاتفاق قد تم بينه وبين السادات ولارجعة فيه وانه فى جيبه، وكان السادات قد وافق فجأة على قصر الوجود العسكرى المصرى على الجانب الشرقى للقناة على ٧٠٠٠

رجل و ٣٠ دبابة وبهذا أدهش السادات الجميع بما فيهم كسينجر والاسرائيليين . وفى الواقع كان كسينجر يقول طوال الوقت ان السادات لن يرضى فيما هو مرجح بأقل من ٢٥٠ دبابة (ص ١١٦ و ١١٧) .

والجديد الذى يضيفه اسماعيل فهمى انه خلال اجتماع الجانب المصرى الأمريكى تمهيدا لاعلان الاتفاق والذى اراد السادات ان يعقد لاعلانه مؤتمرا صحفيا احتفالا بكل ضجيج الصور ..انزعج الفريق الجمسى عندما اطلع على هذا الاتفاق الذى لم يؤخذ رأيه فيه ، وشعر ان شرفه وشرف الجيش المصرى قد تعرضا لاذلال شديد فأغرورقت عيناه بالدموع ونهض على الفور من مقعده وتراجع الى ركن قصى فى القاعة وبدأ يبكى . وشاهد الجميع الفريق الجمسى وبدأوا يتململون . وتأثرت مشاعر الوفد المصرى الذى كان يشعر بنفس شعور الجمسى وكان يمكن ان يرى المرء بسهولة على وجوه الوفد الأمريكى انهم ايضا شعروا بالظلم الذى وقع على مصر .. (ص ١١٧) وينتهى اسماعيل فهمى الى القول بأنه كان فى امكان اسرائيل حينئذ ان تزعم انها اعادت الوضع الى ماكان عليه تقريبا قبل العمليات العسكرية التى بدأت فى السادس من اكتوبر ١٩٧٣ (ص ١١٧) وان السادات قبل ماكان فى الواقع يعتبر عودة الى الوضع السابق للحرب (ص ١٢٥) .

وهكذا سارت المفاوضات مع امريكا واسرائيل فى كل مراحلها ، من فك الاشتباك الأول الى فك الاشتباك الثانى ، الى اتفاقيات كامب ديفيد ، الى معاهدة الصلح المنفرد مع اسرائيل .

اسرائيل تتصلب وتتعنت فى مطالبها ، وتتدخل امريكا بصياغات واقتراحات قد تختلف فى الشكل عما تطلبه اسرائيل ، ولكنها لاتختلف فى المضمون ، والسادات يقبل الصيغ والاقتراحات الجديدة التى تقدمت بها روح « الفروسية الأمريكية » (وهو الوصف الذى اطلقه السادات على السياسة الأمريكية فى كتاب

البحث عن الذات) وفيها الاستجابة الكاملة لما تطلبه اسرائيل .

ترك السادات كل شيء في يد امريكا ليؤكد لها أنه اصبح جديرا بان تخلع عليه « عباءة الأمن الاستراتيجي » .

وتصف مجلة التايم الأمريكية في عددها الصادر في ٢٥ ديسمبر ١٩٧٨ ، على اثر تعثر توقيع اتفاق الصلح المنفرد بين مصر واسرائيل ، تصف هذا الموقف أو الانفراط والتعارض بين مصر واسرائيل بأنه مجرد مسألة شكلية بحتة وتمضي المجلة في وصف شريط المفاوضات فتقول :

انه لطالما حصل هذا التعثر الا ان المصريين والاسرائيليين ، كانوا بمساعدة الولايات المتحدة ، يعودون فيخرجون من القبعة ارنبا كما يفعل السحرة ... وتنجح المفاوضات » .

وكان لابد ان تنجح المفاوضات ، لانها قامت من جانب السادات على اساس الاسترضاء والامل بالحظوة والقبول بما تطلبه امريكا ، وليس هناك من مانع من اثارة تظاهره بين الحين والآخر ، عن خلاف او انقطاع في سير المحادثات ، او توقفها او تعثرها ، أو عن تصلب الجانب الاسرائيلي وتأييد امريكا للموقف المصرى ، كل ذلك مقبول ومطلوب لجعل « الطبخة الامريكية » اكثر قبولا وتقبلا ..





الفصل السادس

الدستور الدائم وحقيقة ديمقراطية السادات

كلفت مع الأمانة العامة للجنة المركزية بمراجعة المبادىء الخاصة بالدستور الدائم التى كانت قد اعدتها اللجان التى شكلها مجلس الأمة ، والمناقشات التى جرت حولها فى لجان المؤتمر القومى العام ، وذلك لاعداد صياغة مشروع الدستور الدائم ، ملتزم بالمبادىء والقيم التى ارستها ثورة ٢٣ يوليو ، واذكر انني توافرت على هذه المهمة اياما وليال طويلة حتى انتهيت الى اعداد الصيغة النهائية ، وأرفقت بها مذكرة شارحه للنصوص المقترحة ، وذلك لعرضها على السادات تمهيدا لاحالتها الى اللجنة المركزية لمناقشتها واقرارها ، ثم عرض المشروع فى صورته النهائية على الاستفتاء العام .

وذهبت الى السادات قبل اجتماع اللجنة المركزية بأيام قليلة لأعرض عليه المشروع والمذكرة ، وكان ذلك فى استراحة القناطر ووجدته مجتمعا فى حديقة الاستراحة بممدوح سالم وزير الدخلية ومصطفى ابو زيد فهمى المدعى العام ، وبدا أن الاجتماع كان خاصا بقضية مراكز القوى ، كما سماها فى ذلك الحين .

واخرجت ما فى حقيبتى من أوراق وبدأت اعرض المشروع مستعينا بالمذكرة الايضاحية فى الشرح ، ولا اذكر ان هناك ملاحظات هامة قد اثيرت ، حتى جاءت النصوص الخاصة باختصاصات رئيس الجمهورية كرئيس للسلطة التنفيذية ، ومنها النص الذى يحمل حاليا فى الدستور الدائم رقم ١٣٨ . وعندما تلوت النص بالصورة المقترحة « يضع رئيس الجمهورية بالاشتراك مع مجلس الوزراء السياسة العامة للدولة ويشرفان على تنفيذها على

الوجه المبين فى الدستور » عندما تلوت هذا النص انفجر مصطفى ابو زيد فهمي معترضا عليه فى صورة هستيرية موجها حديثه الى السادات ، متساءلا كيف تقبل وانت مؤسس الجمهورية الثانية ... وانت وأنت .. (مستخدما كل صفات ونعوت التعظيم والتفخيم والتمييز والتقديس) كيف تقبل ان يأتى (زعيط ولا معيط والا زوربيح) ان يأتي اى انسان من الشارع فيقول لك انا شريكك فى وضع السياسة العامة للدولة . وكانت الكلمات تتسارع وتتسابق وصوته يرتفع ويعلو وانا أنظر اليه وانا مشدوه، ونظرة الرضا تبدو فى عينى السادات، اما ممدح سالم فقد ظل وجهه جامدا كعادته دائما .. وطالب الدكتور ابوزيد بنص يقصر وضع السياسة العامة للدولة على رئيس الجمهورية وحده دون مشاركة من فرد او هيئة . كاد صبرى ينفذ ، ولكننى كظمت غيظى وحاولت اجعل المناقشة حول هذا الأمر أكثر وقارا ، وعرضت الموضوع عرضا علميا مشيرا الى ان هذا النص منقول من الدستور المعمول به ومن الدساتير السابقة عليه ، وان تغييره على الصورة التى يقترحها الدكتور مصطفى ابو زيد قد يؤول تأويلا ليس فى صالح الحكم ، وليس فى صالح السادات ، قد يرى البعض فى هذا التغيير اتجاها الى انفراد رئيس الجمهورية بكل السلطات فى حين ان السادات ينادى بدولة المؤسسات ، وليس بدولة الأفراد ، واضفت ان الدستور لا يفصل على انسان اولا يفصل لأنسان ، وقد يأتى غير السادات ويفرض نظاما دكتاتوريا مستغلا مثل هذا النص المقترح .

حاول مصطفى ابو زيد فهمي ان يرد ولكن السادات حسم الأمر ، وطلب ان ننتقل الى مناقشة الأحكام الأخرى ، دون ان يبدى رأيه فى المناقشة التى جرت ... وكان للدكتور مصطفى ابو زيد فهمي نفس الموقف من النص الخاص بمدة رئاسة الجمهورية وقد

كان النص يقصر المدة على فترتين فاذا به يطالب بأن يكون النص مطلقا دون تحديد أية مدة اى ان تكون رئاسة الجمهورية للسادات مدى الحياة . وبالقناع المتقن صمم السادات على بقاء النص على حالة . كان هذا هو موقف السادات ١٩٧١ ولكنه عاد بعد ذلك وأوحى الى مجلس الشعب فى ١٩٨٠ بتعديل النص ليبقى رئيسا للجمهورية مدى الحياة وكان له ما اراد ولكن إرادة الله كانت هى الأعلى .

كان قد اصابنى الأرهاق المادى والنفسى من طريقة واسلوب المناقشة ، فاخذت اقرأ فى المذكرة التى اعددتها كمذكرة شارحة للمواد حتى انتهيت فى ساعة متأخرة من الليل . وطلب منى السادات أن اترك الاوراق على أن يرسلها الىّ فيما بعد ...

وجاءنى بعد ذلك مشروع الدستور معاد نسخه على اوراق الرياسة وفيه بعض التعديلات ولعل فضولى قد استعجلنى فى الرجوع الى المادة التى كانت محل هذا النقاش الطويل فرأيتها وقد عدلت على النحو الذى طالب به الدكتور مصطفى ابو زيد فهمى ، والذى صادف هوى فى نفس السادات .

اصبت باحباط شديد لا لأن السادات لم يأخذ برأيى ، ولا لأن التعديل لا سند له فى كل الاعمال التحضيرية ، التى سبقت صياغة الدستور ، بل أكثر من هذا لأن التعديل فى ذاته مؤشر خطر على نيات السادات الانفرادية .

ولم يكن هذا هو التعديل الوحيد ، فقد كرر السادات فى كثير من المناسبات أن الدكتور جمال العطيفى ، قد عاونه فى وضع احكام الدستور .

حاولت من جانبى ان اخطو خطوة جديدة ، فسربت خبر هذا التعديل الى الدكتور محمود فوزى ، وقد كان رئيسا للوزراء فى ذلك الحين ، وتركته ليتحرك اذا قدر ان يتحرك ، وناقشت الموضوع مع

صديق كنت ارتاح اليه واطمئن اليه وهو الدكتور اسماعيل غانم الذى عين مرتين وزيرا للتعليم وللثقافة ، وآثر فى كل مرة ان يعود الى منصبه فى الجامعة ، وتركنا رحمه الله وهو استاذ فى كلية الحقوق فى جامعة عين شمس ، وكان اكثر منى حماسا لضرورة اعادة النص الى اصله وقال ان هذا الموضوع سيكون من بين الموضوعات التى سيتعرض لها بالمناقشة فى اللجنة المركزية .

وجاء يوم اجتماع اللجنة المركزية وبدأ اعضاء اللجنة فى مناقشة مواد المشروع ، وبعد بداية المناقشة وقبل ان تصل الى المادة ١٣٨ ، التى كانت موضع هذا الجدل الطويل ، شاهدت الدكتور محمود فوزى يخرج من قاعة الاجتماع الى الصالون الملحق بالقاعة ، وتصلنى منه ورقة رقيقه العبارات ، كعادته ، رحمه الله يستسمحنى ان اقابله لدقائق خارج قاعة الاجتماع ، وكان بشوشا كعادته وحدثنى باسلوبه الذكى الرفيع المتواضع فى ذات الوقت ، مشيرا الى النص المذكور ، ومذكرا انه قبل رئاسة الوزراء على اساس النص الذى كان واردا فى الدستور القائم ، وانه اذا مر النص بالصورة المقترحة ، فانه يعتبر هذا تكليفا له بالاستقالة ، وانه يرجو ان توضح الصورة امام السادات .لم يطل حديثى معه فقد حاولت ان اطيب خاطره ، وقلت له لعلك تعرف موقفى من هذه القضية ، فهز راسه بالايجاب وانتهى الحديث بأن وعدته بابلاغ السادات .

اعجبنى موقف الدكتور محمود فوزى (رحمه الله) عرفته طويلا قبل ذلك متحدثا لبقا ، حديثه يفيض علما وأدبا ، يجتذبك الى سماعه ، وهو يحلق فى افاق واسعة من المعرفة ، يقلب معك الامر على كل جوانبه متفاديا الجزم برأى ، ولكنه فى هذه المرة حزم الامر واتخذ القرار .

وعدت سريعا الى الاجتماع وارسلت بورقة صغيرة الى السادات ضمنتها ما جرى من حديث مع الدكتور فوزى وكنت اعرف الرد

مقدما ، لقد عادت الورقة وعليها تأشيرة السادات يعـاد النص الى اصله فى الدستور المؤقت وبذلك تـأكدت مـن ضرورة مشـاركة مجلس الوزراء لرئيس الجمهورية .

وقد ذكرت الواقعة السابقة فى كتابى الذى امر السادات بضبطه ومنع تداوله « مصر الى اين » ... فى هامش ٢١ كالتالى :

« يرجع الفضل فى تثبيت هذه المشاركة وتأكيدها فى الدستور ، الى موقف حاسم للسيد الدكتور محمود فوزى ، وقد كان رئيسا لمجلس الوزراء عند مناقشة مشروع الدستور فى اللجنة المركزية ، ولا اجـد نفسى فى حل من ذكر التفصيلات ، ولانها تتعلق اولا بشخصى ، وقد أثرت الصمت فى كل ما يتعلق بشخصى منذ ان نحيت عن سـكرتارية اللجنة المركزية ، كما انه يتعلق بشخص الدكتور محمود فـوزى ، وتقدير مناسبة الكشف عن تفصيلات هذا الموقف امـر يخصـه شخصيا ، وقد اشرت الى هذا الموقف للأهمية البـالغة التـى كان يعلقها البعض على هذه العبارة ، وما تعنيه من القيادة الجماعية ..

وقد علمت من محمد حسنين هيكل ان الدكتور محمود فوزى قد امكنه ان يطلع على صورة من كتابى المصادر ، وانـه اسعده ان يسجل مثل هذا الموقف ، ولما سألت الاستاذ هيكل هل الـدكتور فوزى يقبل ان يكون شاهدا فى هذه الواقعة ، اذا قدمنى السادات للمحاكمة على كتابى ، فقال الاستاذ هيكل انه لا يعتقد ذلك .

واذا كانت عقيدتى ان التاريخ شهادة وامانة ، حق على الانسان ان يوفيها ، وان كان السادات قد مضى عنا ، كما رحـل الـدكتور محمود فوزى الى رحاب الله ، فقد بقيت الـورقة الصـغيرة التـى ارسلت للسادات وبقيت تأشيرته فرأيت ان اجعلها خـاتمة هـذه القصة .

وقد ضفت الى كتابى « مصر الى اين » بعضا مما جاء فى المذكرة الشارحة لاحكام هذا الدستور ، وقد كان هذا فى مقدمة الأسـباب

التي حملت السادات على ضبطه ومنع تداوله ، إذ ان هذه المذكرة تكشف على ان كثيرا من التطبيقات التي لجأ اليها السادات جاءت على غير ما قصدت اليه احكام هذا الدستور ، وهي تحمل مخالفات صارخة لنصوص الدستور ومفاهيمها .

وكانت قناعتي – التي اكدتها للسادات اكثر من مرة – ان الظروف الموضوعية التي تحققت في بداية عهده اعطته فرصة العمر ليكون حاكما ديمقراطيا ، لبلد ديمقراطي حقيقة وواقعا ، قلت له ان عبد الناصر قد حقق خطوة واسعة على طريق الديمقراطية الاجتماعية ، وانه كان تواقا الى تحقيق الوجه الآخر من الديمقراطية ، وهو الوجه السياسي ، وان الأمل قد اصبح معقودا عليه ليستكمل المشوار .

لقد تسلم السادات السلطة في ظروف لا ينكر احد ان الثورة تباطأت فيها بل وتراجعت امام طبقة جديدة بدأت تبرز على السطح منذ الهزيمة في سنة ١٩٦٧ ، وان كانت هذه الطبقة قد بدأت تتشكل قبل ذلك ، نتيجة الثغرات التي شابت عملية التحول الاشتراكي ، التي بدأت مع بداية الستينيات ، ولم يعد هناك من سبيل لحماية الثورة من التآكل ، الا باقامة نظام ديمقراطي صحيح تستطيع فيه قوى الجماهير ، صاحبة المصلحة في الثورة ، ان تتحرك وان تشارك بعملها في حماية الثورة ، والتغلب على معوقات عملية التحول ، وان تحقق بالاسلوب الديمقراطي انتصارها على القوى المعادية .

كانت هذه قناعتي التي بدأت بها مع السادات وباعدت بعد ذلك بيني وبينه ، ولكنها لم تكن قناعة السادات ؛ وانا اتحدث عن الفترة التي اعقبت حرب اكتوبر ولا عن الفترة التي اعقبت احداث ١٨ و ١٩ يناير سنة ١٩٧٧ والتي انتهت بالديمقراطية التي اسماها السادات نفسه « ديمقراطية الانياب » .. ولكنني اتحدث عن الفترة المبكرة في حكم السادات والتي كانت الامال معقودة فيها على

قيام حكم ديمقراطي صحيح .

كان السادات في احاديثه وخطبه وتصريحاته العامة ، يعطي الديمقراطية والحرية الاولوية الأولى على كل قضية اخرى ، وكان السادات في احاديثه الخاصة معي يؤكد على ، هذا الهدف ، ويعتبره من اعز امنيات عبد الناصر وان تحقيقه استكمال لمسيرة عبد الناصر .

وكان يردف حديثه عن الديمقراطية بعبارة مازلت أذكرها ... ما الذي اخشاه من اطلاق الحريات والشعب معي ... لنجعل من الدستور الدائم وثيقة للحريات وتضع فيه كل ضمانات الحرية ، حتى تحول مستقبلا دون اى عدوان على الحريات ، لقد قضيت سنينا طويلة من عمرى متنقلا بين السجون والمعتقلات وليس مثلي من رجال الثورة جميعا من يشعر ويقدر مذاق الحرية .

ولكن هل كان السادات يؤمن بالديمقراطية حقا ... هل كان في نيته ان يحكم البلاد حكما ديمقراطيا ... وهل هذه الديمقراطية تتفق مع طبيعه تكوينه ومنهج تفكيره ... هذا هو السؤال .

(وتحضرني في هذا المقام قصة ترتبط بطبيعة تكوين السادات ومنهج تفكيره وقد تلقي الضوء على تطورات موقفه بالنسبة للديمقراطية والحرية) .

بعد احداث مايو ١٩٧١ زارني السفير البريطاني في ذلك الحين في مكتبي ، وكنت وزيرا لشئون مجلس الامة ليستفسر عن بعض الأمور ، وكان من بين ماقاله في سياق حديثه ... « ان خصوم السادات قد تعاملوا معه على خطأ فقد اسقطوا من حسابهم انه ارهابي ... »

لم اعلق على ما قاله ولكنى لم ابد ارتياحا لان رجل الدولة والسياسة لا يمكن ان يوصف بالارهابي ، فالمسئولية السياسية لايمكن ان تتفق مع الطبيعة الارهابية .

نقلت هذا الحديث الى السادات وعجبت من سعادته بهذا الوصف الذى وصفه به السفير البريطانى .

وبعد ذلك فى اكتوبر او نوفمبر ١٩٧٢ دعتنى السيدة حرم السادات الى تناول العشاء فى القصر الذى استأجرته فى حى السفارات فى لندن ، لاقامتها بعض الوقت ، وكنت فى لندن فى ذلك الحين للعلاج من اثار جلطة فى المخ .

كان معنا فى هذه الليلة كمال رفعت سفير مصر فى لندن وحرمه وكريمته ، والفريق الليثى ناصف رئيس الحرس الجمهورى ، وكان يعالج فى لندن وحرمه ، ورشدى صبحى المليونير المصرى المقيم فى لندن ، ووكيل اعمال السيدة حرم السادات فى بداية نشاطها المالى ، وحرمه ومحب السمرا القنصل العام لمصر فى لندن (وكان يطلق عليه اسم كاتم اسرار السيدة حرم السادات وأشرف مروان

سألت السيدة حرم السادات حرم كمال رفعت عن احوالها ، واجابتها باننا زهقنا من لندن وعايزين نرجع مصر .

كان رد السيدة حرم السادات « اصل كمال قتال قتلة وانور مش عايز يرجعه مصر علشان كده » ... واستدركت السيدة حرم السادات قائلة « ماهو أنور برضه ارهابى » ...

رئيس جمهورية مصر يفاخر بما وصفه به السفير البريطانى من انه ارهابى » وحرم رئيس جمهورية مصر تفخر بان زوجها ارهابى ، وتقرر ذلك كحقيقة واقعة مسلم بها .

والارهابى بطبيعته انسان انعزالى يؤمن بالفردية ولا يؤمن بالجماعة ، ويعتقد ان التاريخ من صناعة افراد وليس من صناعة الشعوب ، حركته حركة يائسة تتسم بقصر النفس والعجلة وعدم التبصر وغياب الرؤية التاريخية والمستقبلية ، يتسم عمله بالسرية الكاملة والتكتم والمكر والدهاء والمفاجأة والضرب من الخلف والعجز عن المواجهة او انعدام المواجهة ، يتوهم انه وحده يستطيع ان يغير مجريات التاريخ ويتصور ان الاقدار قد منحته قوى

وقدرات ضنت بها على غيره من سائر البشر ، وانه وحده ، دون غيره ، هو القادر ، وغيره عاجز لا يرتفع الى مستوى قوته وقدراته وفهمه للامور وتعامله معها .

والان وانا اطل على الاحداث التى حاقت بمصر خلال عشر سنوات من حكم السادات لا أجد تفسيرا لهذا القناع الديمقراطى الذى بدأ به السادات فى اعقاب احداث مايو ، غير ما قاله هيكل بعد مقتل السادات .

قال السادات لهيكل ، بعد ان اودع من اسماهم بمراكز القوى وانصارهم وراء قضبان السجون ، على ان اخاطب الجماهير فماذا عساى ان اقول .. ان مراكز القوى وغيرهم يقولون ان الخلاف بينى وبينهم كان على السلطة وكان علىَّ دخول الحرب .

طلب من هيكل كعادته ان يعد له مشروع خطاب ، فنصحة بأن يتحدث حديثا غير مكتوب وان يركز حديثة الارتجالى على الديمقراطية .. اردت ان تطلق للشعب حرياته وان يمارس الديمقراطية على اوسع نطاق وكانت مراكز القوى هى العقبة فى طريق تحقيق ذلك ... وستكسب الجماهير لان الحديث عن الحرية والديمقراطية حديث محبب للجماهير .

ووجد السادات فى كلمة الديمقراطية ضالته المنشوده ، فتحدث عنها وتغنى بها ورفع شعارها فى خطابه فى ١٤ مايو ، وتوالت احاديثه وخطبة يلوك فيها عبارات الديمقراطية وسيادة القانون ، والحقوق والحريات ، واستقلال القضاء ، ودولة المؤسسات وغيرها ..

ثم وجد فى هذا الخلاص – الذى فتح هيكل له بابه – منفذا لخلاص اخر من كابوس يؤرقه ويفسد عليه احلامه وطموحاته .. ذكرى عبد الناصر والاشتراكية ..

وهكذا تلقف السادات الخيط من هيكل ..

رفع السادات شعار الديمقراطية ليتخلص من اعوان

عبد الناصر ، اعداء الديمقراطية ثم من ذكرى عبد الناصر عدو الديمقراطية ، ومن الاشتراكية التى رفع رايتها ، عدو الديمقراطية عبد الناصر ...

وهكذا تحولت الديمقراطية فى ممارسات السادات من هدف الى وسيلة لضرب عصفورين بحجر واحد ، الاشتراكية وعبد الناصر ، واصبح هذا وحده هو المشروع وغيره عدوان وتآمر .

وبدلا من ديمقراطية الحوار ، وديمقراطية المشاركة ، وديمقراطية الرأى الآخر وديمقراطية المؤسسات السياسية والشعبية الحرة والمسئولة ، شهدت البلاد موجات من العنف ، تارة باسم تعميق الديمقراطية ، وتارة باسم سيادة القانون ، وتارة باسم الدستور ، وتارة عن طريق الاستفتاءات الصورية المحددة النتائج والنسب مقدما ، وتارة عن طريق افتعال الفتن الطائفية .

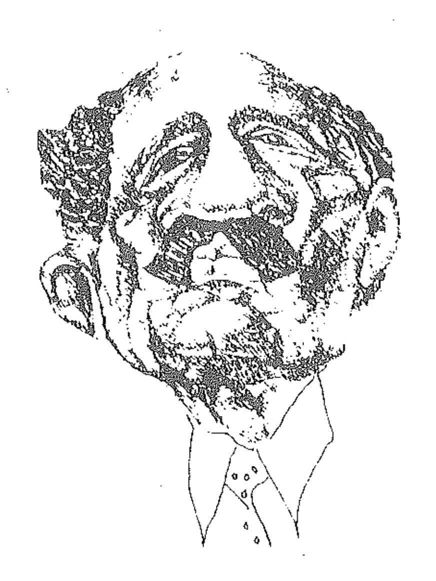
كان السادات مغرما بالتفرد فى كل شىء ، فاقام صورة من الحرية والديمقراطية خاصة به وفريدة فى نوعها تعبر عنها سلسلة متتابعة من تشريعات واجراءات القمع والارهاب وتصاعد سطوة وسيطرة اجهزة القمع والارهاب .

وهكذا حكم السادات بالديمقراطية قولا وبالعنف السلطوى واقعيا ، والعنف الذى تصاعد حلقاته تدريجيا حتى قضت عليه فيما قضت عليه من حريات ومن فكر وثقافة وعلم وقيم .

وهكذا جمع السادات بين الانفتاح الاقتصادى الذى يصل الى حد ان يعيش الاقتصاد المصرى فى بيت بلا ابواب أو نوافذ ، وبين الانغلاق الفكرى الذى يصل الى حد أن يعيش العقل المصرى فى سجن دائم .

ولم يتجاوز السادات هذه النظرة فى تعامله مع نظام تعدد الأحزاب ، فاذا كان منذ ان انفرد بالسلطة بعد ١٥ مايو ١٩٧١ ، قد طالب بتنظيم شبابى جديد ، يدين له وحده بالولاء ، ويكون قادرا على

التصدى والاقتحام، والقضاء على كل معارضيه ، وبتنظيم نسائى تكون على رأسه امرأة (راجل) ويكون قادرا على نفس المهمة ، وبأقلام صحفية واجهزة اعلامية ونقابات عمالية ومهنية ، لها نفس القدرة والمهمة أيضا ، فأنه اراد فى سنة ١٩٧٧ ، بعد ان اطلق للاقتصاد الحر عقاله يغزو السوق والعقول والقيم والأخلاق والسلوك ، اراد ان يقيم نظاما لتعدد الأحزاب من صنعه هو نفسه يكون حزبه فيه هو المسيطر ، بنفس القدرة والمهمة والى جانب حزبين أو ثلاثة ، تكون ظلالا لسلطاته وسلطانه ، تضبط حركتها مع وقع الخطى التى يرسمها ، ولما خرجت على الخطوط المرسومة ، التى يسمح بها صاحب السلطة ، كانت ضرباته المتلاحقة لها ، بالاستفتاءات والتشريعات تارة ، وبسلطة القمع والأرهاب تارة أخرى ، حتى كان آخر ذلك مذبحة سبتمبر ١٩٨١ .



بسم الله الرحمن الرحيم

الاتحاد الاشتراكي العربي
اللجنة التنفيذية العليا

طلبني السيد رئيس الوزراء تلفونياً الخميس حالياً
وطلب مني أن أضع أمام سيادتكم الآتي:

أولاً - أنه لا يعلم من قبل الاجتماع بالتعديل المقترح
عن سلطة رئيس الجمهورية وكذلك الوزراء

ثانياً - أن المادة ١١٣ من الدستور المؤقت تنص على
أن يضع رئيس الجمهورية بالاشتراك مع الحكومة السياسة
العامة للدولة في جميع النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية
والإدارية ويشرف على تنفيذها
وهي بالجانب ما تنص عليه المادة ١٢٢ من الدستور المؤقت
أن تتولى الحكومة تنفيذ السياسة العامة للدولة.

ثالثاً - أنه قبل رئاسة الوزارة على هذا الأساس وكان يرجو
الاقتناع بوجهة النظر المتقدمة ولكنه لم يجد [illegible]

رابعاً - أنه يرجو أن تأخذ سيادتكم علماً بوجهة نظره هذه
قبل البت في التعديل المقترح.

"الرئاسة"

[illegible]





مع وفد برلمانى فى زيارة لموسكو

الفصل السابع

السادات يوفدني في زيارة الى موسكو كمبعوث شخصي له

فى يوم من الأيام الأولى من شهر آغسطس ١٩٧١ وصلت شحنة من الأسلحة المتفق عليها مع السوفيت ، اوكانت فى طريقها للوصول ، وأبلغنى السفير السوفيتى بهذه الشحنة فى حديث له معى اثناء زيارته لى فى الاتحاد الاشتراكى ، ورفعت للسادات ـ كما هى العادة ـ تقريرا عن المقابلة وعن شحنة الاسلحة هذه ، ثم قابلته وكان ثائرا ، وقال لقد قلت مرارا ان الموضوع ليس موضوع اسلحة ولكن الموضوع قرار سياسى ، ولابد ان يعاد عرض الموضوع الذى تحدثت فيه مع بودجورنى ، عندما كان فى مصر فى شهر مايو ، ومع بوناماريوف ، فى شهر يوليو . وعندما سألته عن طبيعة هذا الموضوع قال « الاستراتيجية المشتركة بيننا وبين الروس » ، واضاف « لابد ان تتحرك الأمور مع الروس فلم يعد امامنا غيرهم » .

والح علىَّ السادات فى السفر الى موسكو ، كمستشار له لمحاولة جس النبض وتحريك الموضوع . ترددت كثيرا فقد اصبح يملوءنى الشك والحذر من تصرفات السادات ، وكيف اجيب على الأسئلة التى يمكن ان يوجهها الىَّ السوفيت والسادات لم يطلعنى على شىء فيما يتعلق باتصالاته مع (الأمريكان) .. كان الغموض يحيط بكل شىء ، وحتى وزارة الخارجية المصرية لم تكن تعلم شيئا .. سألت نفسى كيف وكيف ، عشرات الأسئلة توالت على فكرى ونحن نتحدث حول هذه الزيارة ، ولم تكن هذه فقط اسباب ترددى بل كانت هناك تجربة ماثلة امامى ، هى تجربة سامى شرف عندما حمله السادات رسالة خاصة بوصفه مبعوثا شخصيا الى الرئيس بريجينيف ، ثم

اتهمه بعد ذلك بالاتفاق مع السوفيت على الاطاحة به ، كانت امامى هذه التجربة مع شعور عميق بالحذر والشك من السادات .

قلت ان الخلافات والموضوعات التي يريد ان يثيرها مع القيادة السوفيتية لايمكن ان تجرى الا على أعلى المستويات ، اى بينه وبين القيادة السوفيتية أو مع بريجينيف على وجه خاص .

حاولت الافلات من هذه المهمة ولكن السادات اصر على ذلك قائلا : فلتكن زيارة لجس النبض تمهيد للزيارة لى اذا لا استطيع ان ازور الاتحاد السوفيتي الا بدعوة ، واخيرا قبلت على ان تكون زيارة غير رسمية وعلى ان يكون حديثي مع اى من القادة السوفيت ــ اذا فرض وتم مثل هذا اللقاء ــ على اساس من توجيهات مكتوبة من السادات شخصيا .

وكان هذا اقصى درجات الشك من مستشار لرئيس الجمهورية ، ولكن الظروف حولى والطعنات من الخلف والمزاج المتلون والمتقلب للسادات والذى تكشف لى بعد ان وصل الى مركز رياسة الجمهورية ، والتنقل بسرعة ودون حرج بين وموقف آخر متناقض له ، كل ذلك جعلنى اتحامل على نفسي واطالب منه هذه التوجيهات المكتوبة .

قبل السادات هذا الطلب ، ولا أدرى كيف ارتضي لنفسه ان يقبله ، وجلس معى فى ليلة من ليالى شهر اغسطس وكتب بخط يده هذه التوجيهات التي وجدتها وانا اقلب اوراقى القديمة ورأيت ان ارفق صورتها فى خاتمة هذه القصة .

وسافرت الى موسكو ، بعد ان رتبت الزيارة مع السفير فونوجرادوف سفير الاتحاد السوفيتي وكان ذلك فى اواخر شهر اغسطس سنة ١٩٧١ ، كان القادة السوفيت جميعا يقضون اجازاتهم كالمعتاد فى منتجع القرم (مصيف القادة السوفيت) .

قابلنى بوناماريوف سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتي وقد سبق لى ان التقيت به فى القاهرة ، وكان فى ذلك الحين يتجاوز الستين وهو مسئول عن الاتصال بالأحزاب الأجنبية

وبحركات التحرر الوطني ، عقائدى ومن القادة السوفيت المتشددين ، ويعتبر من كبار مستشارى بريجينيف .
وبدأ الحديث معى فى موسكو اتصالا بحديث الاسكندرية فى حضور الدكتور عزيز صدقى ، لكنه فى هذه المرة كان اكثر جدلا ، قال بوناماريوف عبارة اذكرها « بدأ جريان مياه النيل يأخذ طريقا عكسيا » واخذ يتحدث عن موقف القيادة السوفيتية بعد هزيمة ١٩٦٧ ، واستيلاء اسرائيل ، ومن ورائها امريكا ، على الأسلحة والعتاد الحربى ، كشفهم لاسرار الصناعة الحربية السوفيتية ، الأمر الذى اضطر السوفيت الى تغيير خطوط انتاج عدد كبير من الأسلحة ، ورغم كل ذلك فلم تتراجع القيادة السوفيتية عن قرارها ، بل كان اصرارها اجماعيا ، على ضرورة تقديم كل المساعدات السياسية والعسكرية والاقتصادية لمصر ، حتى ازالة اثار العدوان الصهيونى . وتساءل اليس هذا قرارا سياسيا .. وعقدنا مع مصر معاهدة صداقة فى مايو ١٩٧١ ليأخذ هذا القرار السياسى طابعه القانونى ، وعاد ليؤكد ان القرار السياسى الذى يطالب به السادات قائم وموجود وان الاتحاد السوفيتى ينفذ التزاماته وتعهداته بصدق وامانة ، بينما تبدو من جانب السادات ظواهر تشير الى عدم ثقته بصداقة الاتحاد السوفيتى .

حاولت من جانبى ان ابعد الشكوك حول تصرفات السادات ، وأن اعيد الثقة الى السوفيت ، مؤكدا ان عبد الناصر والسادات وان اختلفا فى الأسلوب الا انهما من مدرسة واحدة وهى مدرسة التحرير الوطنى .. وتحدثت طويلا مدافعا عن السادات ، وقد كنت فى ذلك الحين صادقا مع نفسى ولكننى مع تداعى الاحداث خلال السنوات التى تعاقبت على هذه المقابلة اقول اننى كنت فيما دافعت عنه بعيدا عن الحقيقة .. ولكن دفاعى على كل حال كان دفاعا عن مصر ، التى كانت فى ذلك الوقت فى اشد الحاجة الى صديق ..

واعود الى الحديث فأقول اننا انتهينا الى ضرورة عقد اجتماع

مكاشفة بين السادات والقيادة السوفيتية ، وان هناك امورا لايمكن البت فيها ، او الكشف عنها ، الا بين السادات وبريجينيف ، وان علينا نحن الاثنين ما دمنا نحرص على العلاقة بين الشعبين ، ان نحاول ازالة اي سوء فهم عارض يؤثر على تطور هذه العلاقات نحو الأفضل .

وقال بوناماريوف انني اذا كنت احمل رسالة الى القادة السوفيت فيمكنني ان اقابل كاسيجين رئيس الوزراء ، اذ ينتظر حضوره الى موسكو خلال يومين ، أما بريجينيف فهو معتكف في منتجعه بالقرم ، وقلت له انني لا أحمل رسالة ولكن مقابلة كاسيجين ستكون هامة بالنسبة لي ، وستساعد في مساعينا المشتركة .

خرجت من اجتماعي مع بوناماريوف ولدي انطباع بأنه كون رأيا بالنسبة للسادات ، وقد يكون لديه اسبابه لتكوين هذا الرأي ، وكان من الطبيعي ان يخفي هذه الأسباب عني ، إلا أن ماكنت اخشاه ان يكون هذا الرأي هو رأي القيادة السوفيتية او جزء منها على الأقل .

وتحدد لي في اليوم التالي موعدا في المساء مع كاسيجين بعد عودته مباشرة من القرم . كان كاسيجين في ذلك الوقت في السبعين من عمره ، وكان السادات يسميه (الباشكاتب) فقد كان عقله حاضرا لكل شاردة وواردة تجري في الاتحاد السوفيتي على اتساعه . كانت ملامحه جامدة لايمكن ان تشتم منها اي معنى ، ولكن كفاءته كانت خارقة ، ومعرفته بالأمور كانت واسعة ، لا اعتقد انه كان قادرا على كسب الأصدقاء ، أو كان قادرا على الزعامة مثل بريجينيف الذي كانت لديه كل صفات الزعامة .

قابلت كاسيجين ودار بيننا حديث طويل عن المشروعات المشتركة وامكانيات التعاون الصناعي والتجاري وافاق التنمية في مصر ، وانتقلت بعد ذلك الى موضوع التسليح وان مصر لابد وان تحسم المشكلة في ١٩٧١ سلما أوحربا .

فى ١٩٧١ سلما أو حربا وان الاتحاد السوفيتى هو الصديق الذى وقف معنا فى كل الظروف الصعبة وان علينا ان نحسم معا المعركة ، ونقلت التوجهات التى كتبها السادات بيده وكأننى حفظتها عن ظهر قلب . وأشار كاسيجين الى أنه بمجرد عودة القيادة السوفيتية من أجازتها سنرسل الى صديقنا السادات بدعوة ليشرفنا فى موسكو ، ونرجو ان يقبل الدعوة ويبدو ان اتصالا آخر قد تم خلال وجودى فى موسكو مع بريجينيف فى منتجعه فى القرم ، لأن كاسيجين أبلغنى استعداده لمقابلتى فى أول شهر سبتمبر بعد عودته من أجازته مباشرة ليحملنى رسالة الى السادات .... قضيت فى موسكو ثلاثة ايام ، انتظارا لهذه المقابلة ، اجريت بعض الفحوص الطبية فى احدى المصحات فى ضواحى موسكو ، ومازلت اذكر حتى الان تفصيلات المقابلة التى جرت مع بريجينيف تحدث عن العلاقات الوثيقة التى ربطت بين عبد الناصر وبينه ومع القيادة السوفيتية وانهم يتطلعون الى نفس العلاقات مع خليفة عبد الناصر ، ثم تحدث عن نظرة السوفيت الى مصر وتقديرهم لها بوصفها طليعة لقوى التحرر الوطنى ، والمح الى ضرورة التضامن العربى والعمل المشترك فى مواجهة المخططات الصهيونية والامبريالية ، لأن المعركة مع العدو الصهيونى المدعم من الامبريالية الامريكية تحتاج الى حشد كل القوى والامكانيات العربية . ثم قال اننا لم نتأخر عن أى طلب جاءنا من اصدقائنا المصريين أو عن تنفيذ اتفاقاتنا العسكرية ، وقد يحدث بعض التأخير لأن انواع الاسلحة المطلوبة من جانب مصر يتغير باستمرار وقد يكون هذا راجعا الى تعديلات فى خطة مصر الحربية ولكن نحن نحاول بكل ما نستطيع ان نلاحق هذه الطلبات وأوامرى صريحة فى ذلك . ولتكونوا على ثقة بأنه ليس هناك أى تأخير متعمد .... واهتمامنا بمصر لا يقل بحال من الأحوال عن اهتمامنا بأنفسنا بحلفائنا من الكتلة الاشتراكية لأن

معركة مصر هى معركتنا . وأكد ان ما يخص مصر نضعه فى اولويتنا سواء أكان فى المجال العسكرى أو الاقتصادى واستطرد الى القول بأن المعاهدة التى عقدناها مع مصر تعتبر نقطة تحول فى علاقاتنا لأنه كما طلب صديقنا السادات قد رفعت بعلاقاتنا الى مستوى قانونى او على الاصح الى مستوى استراتيجى (وكنت لا اعرف فى ذلك الحين ـ وهذا ما عرفته بعد ذلك ـ ان السادات هو الذى طلب عقد المعاهدة ولأن السادات كان يقول لى دائما لقد أتى بها بودجورنى لتكون بالونا اختبار لنوايانا بعد التخلص من اياهم ـ وكان يعنى بأياهم جماعة مايو) .

كان بريجينيف يتحدث فى حماس ولكننى لمحت وجهه البشوش وقد تغير وكسته مسحة من الألم ، عندما انتقل الحديث الى مايردده البعض فى مصر من ان هناك مؤامرة اشترك فيها السوفييت ، لعزل السادات ، وقال ان هذا كذب وافتراء يردده هؤلاء الذين يسعون للقطيعة بين الاتحاد السوفيتى ومصر ، والامبريالية الأمريكية والصهيونية من ورائهم . ثم قال « لن نغير خطنا وسنسير مع السادات دون اى حساسيات ، وبكل الوضوح والصراحة ، ولكن المهم ان تكون هذه هى رغبته ايضا ..

واستطرد قائلا ان على صديقنا السادات وعلى اصدقائنا فى مصر ان يتفهموا موقفنا تماما فالاتحاد السوفيتى ليس امريكا فنحن لانتآمر على انظمة او قيادات ولانسعى للاطاحة بنظام لنقيم بديله نظاما عميلا فالتعايش السلمى هو من اصول مبادئنا واحترام سيادة الدولة وعدم التدخل فى الشئون الداخلية للدول الأخرى ودعم نضال الشعوب من اجل حريتها والعمل من اجل الصداقة والسلام والوفاق مع الشعوب الأخرى هو استراتيجية ثابتة للاتحاد السوفيتى .

كان حديثى فى اطار التوجيهات التى كتبها السادات بيده واضفت قائلا ان من يقترح استراتيجية مشتركة بين مصر

والسوفيت ، لايمكن الا ان يكون مؤمنا بالصداقة والتعاون بين البلدين ، ساعيا الى تعميق العلاقات وتوسيعها الى ابعد الحدود .

ثم تناول الحديث كل جوانب القضية والتعاون المشترك فى مختلف المجالات وانتهى الحديث بما قاله بريجينيف من ان القيادة السوفيتية سترسل بدعوة الى صديقنا السادات ليشرفنا فى موسكو ، ونرجو ان يقبل الدعوة .

خرجت بانطباع من هذه المقابلة ان بريجينيف اقرب اعضاء القيادة السوفيتية الى قضايانا ومشاكلنا ، واننا يمكن ان نفيد من توثيق الصلات معه ، فى تذليل كثير من الصعاب التى تنشأ بين الجانبين .

وعدت الى القاهرة بعد هذه الزيارة القصيرة العاجلة التى تكتمت اخبارها حتى على المصريين فى موسكو ، وكاشفت السادات بكل تفصيلاتها ودقائقها وانطباعاتها ، وقلت له ان ــ انطباعاتى ان الثقة تكاد تكون منعدمة لديهم ولابد من بذل مزيد من الجهود خلال الفترة القادمة حتى تتكلل الزيارة بالنجاح ، ووافقنى على هذا ، ويبدأ الأمر وكأن اليأس قد اصابه من (الأمريكان) ومن وعودهم له .



توجيهات السادات

ان الحل اليوم هو قرار سياسي نابع من ارادتنا مع [illegible]
على اساس القرار السياسي الامريكي حتى لا نضطر بعد [illegible]
ثلاث سنوات [illegible] ولمن هو هذا ان [illegible]

ان سنة ١٩٧١ سنة حاسمة بالنسبة لمصر ولكن ليس [illegible]
في هذه السنة وانما [illegible]

٣- انه كما قلت [illegible] ان ٩٩٪ من مفاتيح الحل
بيد امريكا ولكن ليس معناها [illegible]
[illegible]

٢- [illegible] ٩٩٪ [illegible]
[illegible]
[illegible]

٤- ان [illegible]
[illegible]
[illegible]

١٥ / ٨ / ١٩٧١



السادات يجرى مباحثات فى موسكو مع بريجنيف وكوسيجن .. والقناع على وجهه

الفصل الثامن

السادات يمهد لزيارة موسكو بدروس فى اللغة الفارسية .. ومصير على صبرى ينتظرنى

جاءت الدعوة للسادات لزيارة موسكو فى اكتوبر ١٩٧١ ، وهى دعوة ابدى شديد التلهف عليها فى صيف هذا العام حيث انقطع ، او كاد ، الاتصال بينه وبين الامريكيين ، ورأى السادات ان يسبق سفره وفد من الصحفيين ذوى الاتصال بالدوائر المختلفة فى الاتحاد السوفيتي . ووقع اختياره على عدد من الصحفيين اذكر منهم الان لطفي الخولى وفيليب جلاب ، وذلك للتمهيد للزيارة ولمعرفة الاتجاهات المختلفة حتى يمكن له الاطلاع على كل الاحتمالات قبل الاجتماعات الرسمية :

وكانت هذه هى زيارة السادات الرسمية الاولى لموسكو ، وكان قد زارها زيارة سرية فى مارس ١٩٧١ بعد توليه رئاسة الجمهورية ووجدت من واجبى ان اعد مع السفير السوفيتي فيلاديمير فونوجرادوف ، اعدادا جيدا لهذه الزيارة ، حيث جاءت بعد قطيعة طويلة وبعد ان اعلن السادات وروج ان ١٩٧١ هو عام الحسم ، وكان التحضير لهذه الزيارة ولما ينتظر ان يثار فيها من امور هامة فى ذلك الحين يحتاج الى اجتماعات يومية مع السادات .

وفجأة قال لى السادات ان السفر الى موسكو سيكون عن طريق الكويت وايران ، وانه اتفق على ان يجرى محادثات فى البلدين ونحن فى الطريق الى موسكو .

وبعد ان تقررت زيارة ايران انشغل عنى السادات تماما فى الترتيب لزيارة لايران ، كنت ادخل عليه يوميا فاجده مع السفير الايرانى ، قال لى انه ينشط معلوماته فى اللغة الفارسية ، وانه يعد مع السفير الايرانى الخطاب الذى سيلقيه فى مطار ايران باللغة الفارسية تحية للشاه .

واستطيع ان أؤكد وقد عايشت السادات فى بداية ولايته للحكم انه كان مفتونا بشاه ايران ، بثرائه ونفوذه وسلطانه واسلوب حكمه ، بخضوع وزرائه ومستشاريه وانحناءاتهم التى تصل الى حد الركوع امامه ، كان فى قمة السعادة وهو ينقل لى ماقاله الشاه بعد سماعه الخطاب ، من انه يجيد ادبيات الفارسية افضل من الشاه ، غير ان افتتان السادات بالشاه لم يكن مجرد افتتان صبياني بل كان مفتونا بالدور الذى يقوم به الشاه فى خدمة المصالح الامبريالية والذى كان يمتد من فيتنام الى الخليج العربى ، هذا الدور الذى اهله لان يكون هو نفسه جزءا من الاستراتيجية الامريكية فى المنطقة ، وهذا ماادركه تماما الان .

وقد كان لايران الى جانب السعودية وضعها الخاص باعتبارها قطب من اقطاب الاستراتيجية الامريكية ، واذا كانت السعودية تصدر اكبر كمية من النفط الى الولايات المتحدة الامريكية ، فان امن المنطقة المنتجة للبترول وممراتها البحرية كان معهودا به للسيطرة العسكرية الايرانية ، فى عهد الشاه ، وهكذا احتلت ايران رغم انها تأتى بعد السعودية فى انتاج النفط ، فى خدمة المصالح النفطية الامبريالية ، الدور الاول بالنسبة لاستراتيجية النفط الامبريالية ، بفضل قواتها العسكرية .

وبهذه الطبيعة كان توجه السادات الى الشاه .

كان السادات على ثقة من ان الحكم الشاهنشاهى لن يزول فى ايران ، وان شاه ايران استطاع ان يحقق امنه الاستراتيجى ، عن طريق تعاونه غير المحدود مع الامبريالية ، ووضع كل موارد ايران ومصادر ثرواتها وقوتها العسكرية تحت الهيمنة الامريكية .

وهذا هو سر ثورته العارمة عندما عصفت العاصفة بالشاه ، وطرد الشعب الايرانى حكم الطغيان الامبراطورى من ايران ، وسبق فى هذا حتى امريكا صاحبة المصلحة الاولى فى بقاء نظام

الشاه ، لانه لم يكن يتصور فى لحظة قط امكان خلع الشـــاه ، وهـــو الحليف الاستراتيجي لامريكا ، الذى يتزىّ بالعباءة الأمريكية .

كان الشاه واسرائيل القـطبين او الجنـاحين العسـكريين ، والعصا الغليظة فى يد الاستراتيجية الامريكية ، لتحقيق الهيمنـة الامريكية على المنطقة العربية كلها .

لم يكن يعنيه ان شاه ايران ، وهو امبراطور دولة اسلامية ، ظلت علاقته قائمة مع اسرائيل ، بينما قطعت الـدول الاسـلامية كلهـا علاقاتها باسرائيل .

لم يكن يعنيه أن شاه ايران وهو حليف اسرائيل وانـه يـزودها بالنفط (٨٥٪ من استيرادها)

لم يكن يعنيه تحركات الشاه التوسعية فى الخليـج العـربى ، واحتلاله لجزر عربية ثلاثة فى عمق الخليج ، وفرض هيمنته على الدول العربية فى الخليج .

والذى كان يعنيه هو علاقة الشاه مع امـريكا واسرائيـل ، وكيف يستطيع ان يؤثر فى اتجاه الحل ، بل ماكان يعنيه اكثر هو نهجه الذى اهله لان يصبح بقاؤه فى الحكم جزء من الاستراتيجية الامريكية .

الم تتحرك كل القوى الامبريالية وعلى رأسها الولايات المتحـدة الامريكية لاعادته للحكم ، بعد ان كد الغليان الشـعبى ، فى عهـد مصدق فى نهاية الاربعينيات ، يعصف بعرشه .

بهذه القناعة كان توجه السادات الى الشـاه فى ١٩٧١ ، هـذا التوجه الذى لم ادرك ابعاده اذ ذاك ، ولم يدركه حتـى السوفييت ، والسادات يتوقف فى طهران قبل ، زيارته الرسمية الاولى لـلاتحاد السوفيتى .

وسافر الوفد برئاسة السادات ، وكنت احد اعضاء الوفد ، ومعى الدكتور عزيز صدقى ، نائب رئيس الوزراء ووزير الصناعة ووزيـر الحربية محمد صادق ، وانضم للوفد بعد ذلك محمود رياض وزيـر

الخارجية حيث كان فى مهمة فى الخارج ، ومراد غالب سفير مصر فى موسكو وفى المطار كانت القيادة السوفيتية كلها فى استقبالنا ، بريجينيف وبودجورني وكاسيجين واعد للسادات استقبال رسمي وشعبي فى المطار وعلى امتداد المطار الى قصر الكريملين .

عكس هذا الاستقبال رغبة القيادة السوفيتية فى تحسين العلاقات ، التى اصابها الجمود فى الآونة الاخيرة ، تقابلت فور وصولى الى الكريملين مع الصحفيين الذين اوفدهم السادات ، وقدموا الى مذكرة هامة عن الشخصيات التى اجتمعوا بها وعن المناقشات التى دارت بين الجانبين وعن النقاط التى اثيرت فى هذه الاجتماعات ، ثم طلب السادات لطفي الخولى فى استراحة الكريملين لينقل اليه حصيلة ماتوصلوا اليه من معلومات .

وكان من بين ماقاله لطفي الخولى انه لمس من الشخصيات المختلفة التى اجتمع بها ، رغم اختلاف مواقفها عن اتجاه عام يستهدف الحرص على العلاقات السوفيتية ـ العربية ومعالجة مااصابها نتيجة اصداء الاحداث الاخيرة ، فى المنطقة العربية ، والبحث عن افضل السبل ، لتنميتها وتعميقها ، واشار الى أن هناك مشاعر خاطئة لدى البعض بان السادات وصل الى شبه اتفاق مع امريكا ، وانهم جميعا يرحبون بأية خطوات يتخذها السادات فى طريق السلام ، ولكنهم يشعرون بان السادات يعامل الاتحاد السوفيتي كعدو يخفى عنه كله شيء فى حين ان الاتحاد السوفيتي مستمر فى الوفاء بالتزاماته وفق الاتفاقيات المعقودة مع مصر ، ولم يقصر فى تنفيذ اى من تعهداته ، وعرض لبعض الاستفسارات والاسئلة التى اثيرت والاجابات عليها ، وانتهى الى ما اتفق عليه الجميع ، بان ازالة الغيوم وعودة علاقات الثقة وتطويرها ، رهين ، باجتماع مكاشفة بين السادات وبريجينيف وهذا هو نفس ماكنت قد انتهيت اليه فى زيارتى لموسكو ، لجس النبض ، التى جاء ذكرها فى مكان اخر .

وبدأت الاجتماعات الرسمية فى صباح اليوم التالى بلقاء طويل بين السادات وبريجينيف ، وتلا ذلك الاجتماع الرسمي ، وكان الوفد السوفيتي مشكلا على اعلى مستوى من بريجينيف وبودجورني وكاسيجين والمارشال جريشكو وزير الدفاع وبوناماريوف سكرتير اللجنة المركزية وفونوجرادوف السفير السوفيتي فى مصر .

وقد عثرت فى اوراقى القديمة على ملخص كتبته بخط يدى لوقائع الاجتماع الاول .

فقد بدأ بريجينيف الاجتماع بالترحيب بالصديق الرئيس انور السادات وبالوفد المرافق له ، واشاد بمصر وشعبها وبالعلاقات الودية التى تربط بين الشعبين فى مصر وفى الاتحاد السوفيتي كما نوه بالعلاقات الممتازة وبالثقة المتبادلة التى ربطت بين مصر وعبد الناصر وبين القيادة السوفيتية والشعب السوفيتي وان السوفيت يتطلعون الى علاقات على نفس المستوى مع خليفته الرئيس انور السادات والى تعميق علاقات التعاون والاخوة بين الشعبين وان الاتحاد السوفيتي سيحافظ دائما على خطه الثابت فى تأييد ، ودعم مصر والدول العربية الاخرى لازالة العدوان الصهيونى الامبريالى .

ثم انتقل الى ماتحمله السياسة الامريكية من مخاطر على العلاقات المصرية السوفيتية من تصرفات ، وتستهدف دق اسفين للفصل بين نضال الشعبين المصرى والسوفيتي ومخاطر ذلك على حركة التحرر العربي وحركة التحرر العالمي . ونوه ايضا الى مايجرى فى مصر من محاولات من جانب عناصر يمينية لتخريب العلاقات مع الاتحاد السوفيتي ، وفصل مصر عن خطها التحررى الثابت ، واوضح الضرر البليغ الذي سيلحق بالقضية العربية وبالمستقبل العربى ، لو نجح هؤلاء فى مسعاهم ، ولن يستفيد من ذلك الا العدو الصهيونى الامبريالى الذى يحرك الدمى اليمينية واكد فى نهاية كلمته على ان

الاتحاد السوفيتي سيظل على سياساته الثابتة فى دعم نضال الشعب ، المصرى ونضال الشعوب العربية ، وانه ينتظر من مصر فى عهد السادات خليفة عبد الناصر ان تزداد اصرارا وتمسكا بمسيرتها التحررية والتقدمية ، ومعاداة الاستعمار ، والامبريالية ، وانتقل الى ضرورة وجود ثقة متبادلة بين الجانبين ، والمصارحة والمكاشفة كعاملين هامين لدعم وتطوير العلاقات ، ثم تمنى اخيرا للشعب المصرى كل تقدم وازدهار على طريق التحرر والتنمية والتقدم .

وانتقلت الكلمة الى السادات فشكر الرئيس بريجينيف على كلمته هذه ، وعلى تمنياته الطيبة للشعب المصرى التى يحمل اكثر منها للشعوب السوفيتية واكد على وعيه وفهمه وتقديره لكل كلمة قالها بريجينيف . ثم قال اننى دائما اقول لشعبى انكم تقفون بجانبنا كأصدقاء مخلصين فى ساعات الشدة ، وأن هدف هذه القوى الامبريالية هو دق اسفين بيننا وبين الاتحاد السوفيتي ، وهذا ليس فى صالح أحد غير الصهيونية والامبريالية الامريكية ، واستطرد قائلا اننى اعتقد ان لامريكا وهى فى ذلك على اتفاق كامل مع اسرائيل ثلاثة اهداف :

اولا ـ تصفية الوجود السوفيتي فى المنطقة والايقاع بين العرب والاتحاد السوفيتي .

ثانيا ـ عزل مصر عن امتها العربية وعن اصدقائها الحقيقيين ، فشعبها يرغب فى تطوير بلاده وهم يخشون ذلك ويريدون ان تبقى مصر دولة افريقية متخلفة مثل الجابون .

ثالثا ـ تصفية كل الانظمة التقدمية فى العالم العربى الامر الذى يصبح سهلا بعد عزل مصر .

ثم اخذ بعد ذلك يعدد المساعدات العظيمة التى قدمها الاتحاد السوفيتي لمصر ، والتى لن تنساها مصر ابدا ، ومصر بلد الوفاء ، ونحن دائما اوفياء لاصدقائنا ، وقال انه على ثقة من ان الاتحاد

السوفيتى سيقف معنا فى سنة الحسم كما وقف معنا فى لحظة الهزيمة والظلام ، لذلك فقد الححت على بودجورنى وبونامار يوف فى ضرورة الاستراتيجية المشتركة .

وهنا سأله بريجينيف ماهو المقصود بما ترددونه ياسيادة الرئيس ان عام ١٩٧١ عام الحسم ، فرد السادات قائلا انا اريد ان يكون عام ١٩٧١ حاسما ، تتحرك فيه القضية نحو الحل السلمى او نحول البديل ، وهو ان يكون استعدادنا كاملا لدخول معركة فاصلة مع اسرائيل ، فسنة الحسم لاتعنى اننى حددت موعدا للمعركة ، مع اسرائيل ، ولكننى اريده عام حركة ، فلانريد ان تتجمد قضيتنا ، او توضع فى ثلاجة ، ولهذا جئت اليكم لنتبادل الرأى ولنحدد مواقع اقدامنا فى المستقبل .

(ولاحظت ان برجينيف لم يهتم بالتعليق على عبارة استراتيجية مشتركة التى قالها السادات) .

وانتقل الحديث بعد ذلك الى المارشال جريشكو وزير الدفاع السوفيتى ، والحقيقة ان الذى استغرقنى فى هذا الاجتماع ، هو ماسمعته من المارشال جريشكو ، الذى تحدث طويلا بالارقام عن التسليح وعن المعدات ، وقال انه يعتبر الجبهة المصرية والجبهة السورية جبهة واحدة ، وانه بناء على هذه النظرة يستطيع ان يؤكد ان التسليح والمعدات على الجبهتين يتعادل ، ان لم يزد ، على الاسلحة والمعدات على الجبهة الاسرائيلية .

كان جريشكو يوحى بانه لايتصور قيام المعركة دون اشتراك سوريا مع مصر ، الى جانب الايحاء بان المعركة ممكنة بالوضع الحالى .

قال السادات بعد الجلسة التى استمعنا فيها الى جريشكو مخاطبا محمد صادق وزير الحربية شفت كلام جريشكو يامحمد ، زى مايكون بيقول لنا ماتحاربوا بأه ، اذا كنتم ناويين على الحرب ، وكرر هذه العبارة مرارا بعد عودته الى القاهرة .

وتحدث بعد جريشكو ، الفريق صادق ، وجرت مناقشات طويلة عن مدى استعدادات القوات المسلحة المصرية ، والى حاجاتها الى اسلحة وعتاد اضافى ، وانهى برجينيف المناقشة بأنه طلب أن يعقد اجتماعا بين صادق وجريشكو ، لمناقشة الطلبات المصرية على ان يعود الجانبان الى الاجتماع فى اليوم التالى .

واستؤنف الاجتماع فى اليوم التالى حيث اتفق الطرفان على الاسلحة والمعدات المطلوبة ، ثم ارجىء الاجتماع الى الساعة الواحدة ظهرا ، ليعود بريجينيف الى اللجنة الدائمة لمجلس السوفيت الاعلى ، والى المكتب السياسى .

وعدنا الى الاجتماع ، واعلن بريجينيف فى بداية الاجتماع انه قد تمت الموافقة على اغلب الطلبات المصرية ، اما الاسلحة والمعدات الباقية ، فقد توقفت المصانع العسكرية السوفيتية عن انتاجها ، وسيسعى الاتحاد السوفيتى الى شرائها من السوق وتوريدها الى مصر .

واستقبل السادات هذه الموافقة بترحاب كبير ، وعبر عن رضاه فى كلمة ختامية وقال انه لايطلب من (اصدقاءه السوفييت) اكثر من هذا .

قال لى بوناماريوف ، ونحن فى طريقنا بعد ان انتهى الاجتماع ان بريجينيف قد جاهد جهاد الابطال ليحصل على طلباتكم ، واعتقد انه لو كان رئيسا لمصر لما فعل اكثر من ذلك .

ولم تنته القصة عند ذلك ، ففى الحفل الكبير الذى اقيم فى وداع الوفد المصرى ، تحدث بريجينيف عن الصداقة المصرية السوفيتية وعن الثقة التى لابد من ان تتأكد ، وعن العلاقة الخاصة التى ربطته بالسادات . ثم قال وهو يرفع كأسه (وهذه عادة لدى السوفيت) وكان الكأس من المياه المعدنية ، انه يرفع الكأس تحية للصداقة وللرئيس السادات وللوفد الممتاز المرافق له ، ثم قال ولاننسى

شخصا حاضرا معنا هنا ، وكان له فضل كبير فى فترة صعبة من علاقتنا ، فقد امكن له بلباقته ان يخفف من حدة هذه الفترة وطلب من الحاضرين ان يرفعوا الكأس تحية لى ورفع الحاضرون جميعا مصريون وسوفيت كأسهم تحية للزيات ..

لم اعلق اهمية على هذا الموضوع ولكن السادات لم يتركه يمر فقد حرك فى نفسه الشكوك كما سنرى فيما بعد .

وفى طريق عودتنا للقاهرة طلبنى السادات للجلوس الى جانبه فى الطائرة ، وقال انه مستريح الى هذه الزيارة ، وانه كاشف بريجينيف بشكوكه حول مهمة سامى شرف عند زيارته لموسكو ، ولكن بريجينيف عرض الموضوع عرضا صريحا وصادقا ، بما اكد للسادات ان الموضوع مجرد شائعات ، ليس لها ادنى قدر من الحقيقة ، وقال انه يزداد اعجابا ، ببريجينيف فى كل مرة يجتمع معه فيها ، وانه صديق حقيقى لمصر ، وانه يمكن الاعتماد عليه ، ولابد لنا من ان نحافظ على علاقتنا به طيبة .

كان كل شيء يوحى باننا ندخل مرحلة جديدة من العلاقات الطيبة بين البلدين ولكن يبدو ان الامور لم يرد لها ان تأخذ هذا الطريق ، فقد سارت باضطراد على عكس ذلك ، وليس موضوع العلاقات المصرية السوفيتية وما اصابها هو موضوع هذه القصة .

عدت الى القاهرة واخذت مشاغل المسئولية تستغرق كل وقتى ولم يكن لدى من الوقت ما يسمح لى بان اتناول سير الناس او اطعن فيهم او اجمع حولى بطانة او يصبح مجلسى مجلس الندماء كما لم تكن تسمح اخلاقى ولاتكوينى بان اشارك او ان انتمى لمثل هذه المجالس .

ولو اردت غير ما أملاه ضميرى وغير مافرضه انتمائى لهذا الوطن ، وانشغالى بقضاياه وهمومه ، لو اردت ذلك ، لظللت حتى اخر لحظه النديم الاول ، والصديق الاول والمخلص الاول وكل مايمكن ان يطلق على التابع من صفات الامانة والاخلاص والولاء ..

ولكن كل على شاكلته ..
وحدث ان قابلت سيد مرعي الذى اصبح النديم الاول ، بعد ما يقرب من شهر من زيارة موسكو ، فاذا به يهمس فى اذنى مين زيك ياعم ما انت صديق بريجينيف استفسرت عن عنه مايعنيه فقال اصل انور واحنا سهرانين معاه حكى لنا حكاية شرب بريجينيف نخب صحتك وانت فى موسكو ..

وسمعت القصة من نديم صغير اخر او احد بطانة السادات كان من قبل نديما للدكتور لبيب شقير رئيس مجلس الامة والذى اتهم فى قضية مايو وهو نصر عبد الغفور (رحمة الله وسامحه) وسمعت ان الطعنات قد توالت عليّ بعد هذا الحديث من البطانة والندماء .
احترت كيف يظل السادات بعد شهر من هذه الزيارة يذكر هذه المسألة العابرة التى كنت نسيتها ، وامامه من المشاكل الكثير من القضايا المعقدة ما يمكن ان يستغرق كل تفكير وتدبير ولكنه ، نسى كل ، هذا وقد جمع حوله البطانة والندماء ليذكر ان بريجينيف قد رفع كأسه تحية لى وليترك السميعة والمطيباتية بعد ذلك يشيدون بفهمه الواسع وعمق ادراكه للامور .. ويوجهون سهام الطعن لغيره ..
واذكر بعد اجتماع الجنة المركزية ان طلب السادات ان يزورنى فى مكتبى فى الاتحاد الاشتراكى ليستريح بعض الوقت قبل عودته لمنزله ، وصعدنا الى مكتبى فى الدور الاول .
قال لى ضاحكا .. « دا مكتب على صبرى .. والا انت باين مصيرك زى مصير على صبرى .. » .
ضحكت ولم يكن السادات يضحك عندما قال ذلك واتساءل الآن عما عناه السادات بالمقارنة بين مصيرى ومصير على صبرى ، الذى كان يصفه السادات فى خطبه واحاديثه بأنه عميد عملاء موسكو وهل بدأت فى هذا الحين تتبلور فى عقل السادات نية افتعال تهمة العمالة لى نتيجة لاختلافنا السياسى والجوهرى وبعد أن شهد بريجينيف يرفع الكأس بتحية خاصة للزيات .





الزيات وشقيقته د. لطيفة : أقسم السادات أن يخرب بيتهما !

الفصل التاسع

المزاج الدموى وقضية مراكز القوى

ليس هنا مجال الحديث عما سمي بقضية مراكز القوى ، وكيف جمعت أدلتها وكيف حوكم من أتهم فيها فهذا الموضع اتركه لاصحابه ، وهم اكثر مني دراية ومعرفة بالكتابة فيه ، ولكني اتناول جانبا ، وقد يكون في هذا الجانب من الدلالة مايكفي لاعطاء صورة عن هذه المحاكمة .

تولت النيابة العامة التحقيق فيها وكان النائب العام (المستشار محمد على ماهر) يشرف على التحقيق ويطلع السادات اولا بأول على نتائجه ، واشهد انني سمعت من الكثيرين شهادة طيبة عن نزاهته واستقامته ، واذكر ايضا انه كان هو وشقيقته الدكتورة سعاد ماهر صديقين للسادات واسرته ، قبل ان يصبح السادات رئيسا للجمهورية ، وأنهت رئاسة الجمهورية على هذه الصداقة ، كما أنهت على كل الصداقات السابقة عليها .

وكنت كغيري ، مطمئنا على سير التحقيق ، ولكن فجأة سحب التحقيق من النيابة ، وحولت القضية الى المدعى العام ، وهي وظيفة جديدة استحدثها القانون رقم ٣٤ لسنة ١٩٧١ بتنظيم فرض الحراسة وتأمين سلامة الشعب ، وعين لها الدكتور مصطفى ابوزيد فهمي الذي كان استاذا في كلية الحقوق قبل ذلك .

وعلمت بعد ذلك ان سبب هذا التحول في التحقيق ان النائب العام ، في مقابلة اخيرة مع السادات ، اخطره بان اقصى عقوبة يمكن توقيعها على اى من المتهمين في قضية مراكز القوى ، لن تتجاوز ثلاث سنوات اذا عرضت القضية على محكمة الجنايات .

ومن هنا جاء قرار السادات باقصاء النيابة العامة عن التحقيق في القضية ، وتكليف المدعي العام بها ، ومن هنا ايضا كانت فكرة

احالة القضية الى محكمة خاصة ...

ولم يكن لى اتصال بالتحقيقات ، ولا اعلم بالوقائع التى تدور حولها ، فقد كان السادات حريصا على ان يبقى هذا الموضوع ، موضوعه المباشر بالذات ، غير انى اخذت على عاتقى الاتصال بالمدعى العام مرتين ، احدهما عندما وصل الى علمى انه قد بيت النية على القبض على خالد محيى الدين ، فأوضحت له ماقد يثيره مثل هذا الاجراء من ضجة محلية وعالمية ، وطلبت منه التريث فى اتخاذ مثل هذا القرار ، اما المرة الثانية فقد كانت بخصوص التحقيقات الجارية مع احمد الخواجه ، نقيب المحامين المصريين ، ورئيس اتحاد المحامين العرب ، كانت تحقيقات مبنية ـ كما علمت ـ على تقرير سرى تقدم به الصحفى موسى صبرى ، يتضمن وقائع ، كنت اعلم علم اليقين انها مختلقة ، لأن احمد الخواجه كان على اتصال يومى بى فى الاتحاد الاشتراكى قبل ١٤ مايو اذ كنت مقررا للجنة السياسية وهو عضو فيها .

وفى المرتين تمكنت من وقف اتخاذ المدعى العام لاجراءات ضد خالد محيى الدين واحمد الخواجه ، غير اننى لم اتمكن من وقف بعض الاجراءات السياسية التى اتخذت بناء على اصرار من السادات .

واذكر ان السادات كان قد اصر فى ذلك الحين على حل المجلس المصرى للسلام الذى كان يرأسه خالد محيى الدين ، وكان الاتحاد الاشتراكى يرعى هذا المجلس ويخصص له مقرا فيه ، فاصر السادات على حل المجلس واغلاق مقره ، وقد امكننى ان اوقف هذا الاجراء فى ذلك الحين ، وان انقذ الموقف بأتفاق مع غالبية اعضاء المجلس ، وهم ينتمون الى تيارات فكرية مختلفة ، بان يتولى سعيد خيال وهو عضو قديم فى حركة السلام رئاسة المجلس مؤقتا ، حتى يمكن تصفية الجو بين السادات وخالد محيى الدين ، كانت هناك معارضة لهذا الاتجاه ، غير اننى تغلبت عليها واستطعت ان ابقى

على المجلس المصري للسلام ، ولكن كان ذلك الى حين ، حيث اصدر السادات بعد اتفاقات كامب ديفيد ومعاهدة السلام المصرية الاسرائيلية ، قرارا بحله واغلاق مقره .

واعود الى قصة مراكز القوى فبعد انتهاء المحاكمة ، اتصل بي حافظ بدوي ، وكان رئيسا لمجلس الشعب ورئيسا للمحكمة الخاصة ، التي شكلها السادات لمحاكمة المتهمين في قضية مراكز القوى ، وطلب مني موعدا عاجلا على ان يكون ذلك في منزلي لأهمية الموضوع وسريته ، وجاء حافظ بدوي الى منزلي في حالة هلع شديد ، بادرني بشكر طويل في شخصي وبأنني الوحيد الذي يستطيع ان ينقذه من المأزق الذي وقع فيه . سألته ان يوضح لي الموضوع فقال ان هناك ضغوطا شديدة على المحكمة للحكم بالاعدام على بعض المتهمين ، وان السيد بدوي حمودة رئيس مجلس الدولة السابق (واحد اعضاء هذه المحاكمة الخاصة) قد هدد بالانتحار بالقاء نفسه من على كوبري قصر النيل ، ولكنه عاد واستجاب ، بعد ضغوط شديدة ، للحكم بالاعدام على بعض المتهمين ، بشرط ان يعد السادات وعدا صريحا بتخفيف حكم الاعدام ، وقال لي حافظ بدوي أنني الوحيد الذي يستطيع ان يحصل من السادات على هذا الوعد .

وقع على هذا الخبر وقع الصاعقة فاكثر المتهمين كانت تجمعني بهم علاقات عمل وقبل ذلك علاقات انسانية ، وقد اختلفت معهم واختلفوا معي ، وامنت انني على صواب ، وامنوا انهم على صواب ، ودخلنا معركة كان كل منا يعرف انها قد تكلفه الكثير ، ولكن ان يصل الأمر الى الاعدام جعل الصورة تبدو امامي مروعة ومخيفة .

هذا من جانب ومن جانب آخر لم اكن اريد للسادات ، وانا مستشاره ، ان يبدأ عهده بمذبحة دموية ، تذكرنا بمذبحة المماليك ، وفي قضية مهما قيل حولها فهي قضية سياسية ، لاتتجاوز صراعا على السلطة ، حسم لصالح السادات . كانت

قناعتى فى ذلك الحين انها ليست اكثر من ذلك ، ولكن الحقيقة تكشفت لى بعد ان اكتملت الصورة ، لقد كانت خطوة على الطريق الذى رسمه السادات ، او رسم للسادات ، تتابعت بعدها خطواته على نفس الطريق لتصل بنا الى ما وصلنا اليه ...

استحلفنى حافظ بدوى ان اتوسط لدى السادات ، واستعجلنى لأن الاحكام ستعرض فى ظرف يومين على السادات للتصديق عليها . كنت اعرف ان السادات يستجم فى حلوان ولم يكن قد بدأ بعد فى « هواية جمع الاستراحات » فاستأجرت له الرياسة فيلا صغيرة فى حلوان كانت تملكها وتديرها كفندق سيدة يونانية ، وذهبت اليه وكان كعادته مسترخيا ، وعرضت عليه بعض المسائل ثم فاتحته فى الموضوع ، سألته ان كانت هناك نية مبيتة على اعدام احد المتهمين ، فرد على قائلا انه عقد العزم على اعدام على صبرى وسامى شرف ولم يستقر بعد على رأى نهائى بشأن آخرين .

حاولت بكل وسيلة هدانى الله اليها ان اثنيه عن نيته ، واستمرت محاولاتى اكثر من اربع ساعات ، قصصت فيها قصصا من التاريخ وعرجت على مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم وعفوه حتى عن الكفار ، وانتقلت من الترغيب الى التهديد وانا اشير الى ان الاعدام يحول المتهم السياسى الى شهيد ، وانه سيخلق منهم ابطالا فى التاريخ ...

وفى تلك الجلسة رأيت وجها جديدا للسادات أصابنى بالرعب والاحباط ، واصراره يزداد ، وعبارات الكراهية تتكرر على لسانه ، وهو يردد أنه انتظر هذه اللحظة منذ وقت طويل ، وادركت فجأة ، وبعد اربع ساعات من محاولة اثنائه عن عزمه ، استحالة محاولتى ، ونظرة متعطشة الى الدماء تطل من عينيه .

انتفضت واقفا بلا وعى وانا اقول : يستحيل علىَّ وانا مستشارك ان اتحمل عبء هذا القرار .

ولفحتنى امواج الكراهية والتهديد ، وهو ينفجر فى ثورة عارمة قائلا : اذا كنت تريد ان تستقيل فالباب مفتوح ولاتتصور ان لك فضلا علىّ وحسابنا سيكون فيما بعد ..

وعدت الى منزلى واعتكفت فيه ، ولم اذهب الى مكتبى فى اليوم التالى ، صممت على الا اكون جزء من نظام يلوث يديه بالدماء ، وعانيت يومها فيما يشبه الحمى ، العجب من هذا الوجه الجديد الذى اكتشفته فى السادات ، والشك فى امكانية ان يؤدى نظامه الى البعد الديمقراطى السليم ، الذى كنت اتطلع أن اكون من بين العاملين على اضافته للبعد الاجتماعى لثورة ٢٣ يوليو .

وفى الساعة الرابعة بعد ظهر اليوم التالى اتصل السادات بى تليفونيا فى منزلى وقال : طلبتك فى مكتبك لاننى اعرف انك دائما فى مكتبك ، ولكن قيل لى انك لم تذهب اليوم الى مكتبك ، وسأنتظرك فى الساعة السادسة فى منزلى (منزل الجيزة) .

ذهبت فى الموعد المحدد ، وعرفت وانا فى طريقى الى الصالون ، ان السادات مجتمع بهيئة المحكمة العسكرية التى نظرت قضية الفريق اول محمد فوزى فى مكتبه ، وفى الصالون وجدت هيئة المحكمة التى حاكمت بقية المتهمين ومعها ممدوح سالم وزير الداخلية . كان السيد بدوى حموده يجلس صامتا ، والحوار محتدم بين حافظ بدوى وحسن التهامى (العضو الثانى فى المحكمة الخاصة) وموضوع الحوار حول « الفسيخ » وهل يعتبر من الميتة التى حرمها القرآن .. كان حسن التهامى يدافع عن هذا الرأى بينما كان ينكره حافظ بدوى ، « وويل الشجى من الخلى » سلمت على الجميع وجلست صامتا وانتظرت طويلا حتى رأيت هيئة المحكمة العسكرية تغادر مكتب السادات ...

طلبنى السادات بعد ذلك لمقابلته ولم اكد اجلس على مقعدى حتى بادرنى الى القول ان احدا من المتهمين لن يعدم ، واضاف أنه

مضطر الى تخفيف احكام الاعدام لأن المحكمة العسكرية التى كانت تحاكم الفريق اول محمد فوزى المتهم الاول فى القضية لم تجد فى القانون العسكرى ما يسمح لها بتوقيع حكم الاعدام على الجرائم التى ارتكبها ، وعلى ذلك لم يصبح من المناسب ان يصدق على حكم بالاعدام ، على المتهمين المدنيين وبنفس الجرائم ، واكد السادات انه يخفف حكم الاعدام لا استجابة لرجائى او تهديداتى ولكن بسبب موقف المحكمة العسكرية وطلب منى ان اعود الى مكتبى ..

وعدت لأكمل مشوارا بدأته، واعتقدت ساعتها انه فى صالح مصر ، عدت لاكافح واتصدى واحاول ما أمكننى ان اوقف اى انحراف عن هذا الهدف ، ولكن صورة السادات لم تعد قط فى خيالى ، الصورة التى تصورتها عنه ..

وبدأت من هذا اليوم آخذ حذرى من السادات

على ان القصة لم تنته ، فقد نجح السادات فى املاء احكام مسبقة على خصومه عن طريق تحقيق وادعاء تولاه المدعى العام ، وهو موظف عام يستطيع السادات ان يعينه وان يقيله وقتما يشاء ، وعن طريق محكمة خاصة كان على رإسها رئيس مجلس الأمة ، وكان شيخا من شيوخ القضاه فى مصر (رئيس مجلس الدولة السابق) عضوا فيها وشكل كل ذلك قناعته عند السادات بانه من الممكن تحقيق اطماعه وطموحاته بالقانون والقضاء .

وحاول السادات منذ البداية ان يستميل القضاء ، مرددا بعض الشعارات عن دولة المؤسسات وسيادة القانون واستقلال القضاء مستجيبا ، الى ما طلبه القضاه من عودة زملائهم الذين سبق ان ابعدوا عن القضاء (فيما سمى بمذبحة القضاء) ومستجيبا ايضا الى بعض المطالب الخاصة برجال القضاء واتخذ من وشاح القضاء شعارا له .

ولم يدم هذا الود طويلا ، فالسادات فى سعيه الى الاستئثار بالسلطة ، وفرض حكمه الفردى المطلق والقضاء على كل صور

المعارضة وافراغ كل مؤسسة من مضمونها كان ينتظر من كل مؤسسة ان تكون طوع امره وان يكون قوله فيها هو القول الفصل .

واستطاع السادات عن طريق حكمه البوليسي ووزير داخليته (النبوى اسماعيل) ان يطوع مجلسه (ولا اقول مجلس الشعب) لما اراد ولكن استعصى عليه ان يطوع القضاء لما يريد رغم الضغوط التي باشرها السادات على القضاء ورغم الاساليب الفاضحة التي لجأ اليها وزير عدله (انور ابوسحلى) فى التدخل فى القضايا وفى التأثير على القضاه وفى املاء تشكيلات واشخاص معينة فى المحاكم وفى النيابات وفى التأثير المذرى فى انتخابات نادى القضاة صمد القضاه وانتفض القضاء المصرى عملاقا شامخا ـ كما كان دائما ـ وكان لنادي القضاة موقفه الحاسم فى رفض قانون حماية القيم من العيب ، هذا القانون الذى توج به السادات ترسانة القوانين الاستثنائية البغيضة التى توالت على مصر فى عهده منذ ١٩٧٧ وحتى حادث اغتياله فى ١٩٨١ ، وصدر حكم محكمة امن الدولة العليا برياسة حكيم منير وعضوية الاستاذين على عبد الحكيم عمارة واحمد محمد بكار ـ المستشارين بمحكمة استئناف القاهرة فى ١٩ ابريل ١٩٨٠ فى قضية احداث ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٩ ، والتى اسماها السادات بانتفاضة الحرامية ـ صدر حكم المحكمة باسقاط دعوى السادات واحكامه المسبقة على الشرفاء والوطنيين التى ظل يرددها طوال اكثر من ثلاث سنوات ، ووضعت المحكمة هذه الاحداث فى اطارها الصحيح محددة اسبابها ومسبباتها الاقتصادية والاجتماعية ، بوصفها انتفاضة شعبية تلقائية ، تعبيرا عن سخط الجماهير ، على رفع اسعار الحاجات الضرورية والتضخم والغلاء والانهاك الاقتصادى والاجتماعى الذى اذل القاعدة العريضة من الشعب .

وحملت هذه المواقف وغيرها كثير وعظيم ، السادات على ان يكشف عن وجهه الحقيقي وكراهيته لرجال القضاء والقانون فاذا

بتشريعات مجلسه (مجلس الشعب) تتوالى تسحب من النيابة اختصاصها فى التحقيق فى بعض القضايا ، وتقيم اشكالا وصورا جديدة من المحاكم يجلس فى مجلس القضاء منها اشخاص من غير القضاه الطبيعيين واذا بالسادات يحمل حملة شعواء على القضاه لموقفهم من قانون حماية القيم من العيب ، جاءت حملته مرة بصفته رئيسا للجمهورية فى خطابه الى مجلس الشعب فى ١٤ مايو ١٩٨٠ ومرة بصفته المزدوجة كرئيس للجمهورية وكرئيس للحكومة فى الاجتماع الذى عقده لمجلس الوزراء الموسع فى ١٩ مايو ١٩٨٠ وطالب السلطة القضائية فى خطابه الاول بأن تتولى امر المعارضين لمشروع القانون من داخلها وطلب الى وزير عدله أنور (انور ابوسحلى) فى الاجتماع الثانى بمواجهة الامر بلجنة للقيم من داخل القضاء .

وامتدادا لغضبة السادات على رجال القانون بسبب تمسكهم باحترام الشرعية جاءت اجراءاته الاستثنائية ضد المجلس الشرعى لنقابة المحامين على وقفته ضد القوانين والاجراءات الاستثنائية وفى مقدمتها قانون العيب الى جانب مواقفهم الوطنية ضد تنازلاته الوطنية والقومية .

وقد اشرت فى كتابى « مصر الى اين ؟» الذى امر السادات بمنع تداوله الى خطورة هذا الاتجاه المعادى لرجال القضاء والقانون فقلت :

وبكل الامانة نحاول ان ننبه الى خطورة هذا الاتجاه من الحزب الحاكم وان نعيد الى الذاكرة - وما كنا نريد ان نثير هذه الذكرى - ما جرى فى المانيا فى ظل حكم الحزب النازى ، فقد اثارت صحف الحزب نعرة الكراهية للمحامين والمحاكم وكثفت من حملات الاثارة ضد بعض افراد القضاء وضد المحاكم بوجه عام لموقف المحاكم منذ تسلم النازية الحكم فى ٣٠ يناير سنة ١٩٣٣ من التأكيد على

ضرورة احترام المشروعية وكان من نتيجة جو الكراهية هذا ان فقدت المحاكم استقلالها تحت ضغط الحزب الى ان اعلن هتلر رسميا الغاء استقلال القضاء فى خطاب مليىء بالكراهية القاه امام البرلمان فى ٢٦ ابريل ١٩٤٢ وهكذا حلت السلطة المطلقة محل سيادة القانون كاساس للدولة .

تنبأت بذلك فى يونيو سنة ١٩٨٠ فى الكتاب المشار اليه وشاء الله ان ينجينا من هذا المصير

وفى سياق هذه النزعة الدموية ارجو ان يسمح لى القارىء بأن اتحدث عن نفسى وان كان الحديث عن كل شريف غيبه السادات وراء قضبان سجنه .

فقد ساقنى السادات الى سجنه فى حملته الارهابية فى فجر ٣ سبتمبر ١٩٨١ وكان يعلم اننى اصبت بجلطة فى المخ فى سنة ١٩٧٢ وان علاجى استمر اكثر من اربعة اشهر بين القاهرة ولندن ، اعقبتها بعد ذلك ازمة قلبية اصابت الغشاء الاسفل للشريان التاجى واننى اعيش تحت عناية طبية مكثفة لاحتمال اصابة الغشاء العلوى للشريان التاجى باصابة يتوقف معها القلب (وقد اصابتنى فعلا بعد خروجى من السجن فى ازمة حادة مازلت اعالج من اثارها)

القى بى فى زنازين سجنه فى ظروف صحية قاسية ودون ادنى رعاية طبية ولما تحرك مدير القسم الطبى فى مصلحة السجون وجاء الى السجن ليعاود المتحفظ عليهم ومنهم من تجاوز السبعين من عمره كان يعمل وفريقه الطبى تحت رقابة مشددة من عيون مباحث امن الدولة التى كانت تتحكم تحكما كاملا فى سجن السادات كان خوفه من المباحث وخوف مساعديه يرتفع احيانا فوق المهنة وامانتها ومسئولياتها وفى حالتى وجد الامر خطيرا بعد ان اطلع على رسم القلب الذى عمل باجهزة بدائية فى السجن ..

خرج يهرول الى وزارة الداخلية ليرفع الامر الى وزيرها نبوى

اسماعيل وابدى برأيه الطبي في ضرورة نقلي الى مستشفى متخصص ووضعي تحت العناية المركزة لمتابعة تطورات حالتى الخطيرة ..

ونقل النبوى هذه الصورة الى السادات ورفض السادات ان انقل الى مستشفى القلب في امبابة فنقلت الى مستشفى سجن الاستقبال في طره هذا السجن الذى بني وشيد واقيم في عهد السادات ليكون السجن الرهيب الذى يلقي فيه بضحاياه وما اكثرهم .

ونقلت على عجل الى هذا المستشفى ـ الذى سمي مجازا بالمستشفى ـ وليس فيه ادنى وسائل الرعاية الطبية حتى انبوبة الاوكسجين التى جاؤا بها الىّ لأتنفس من خلالها عندما تضيق انفاسي كانت معطلة عن العمل

وبقيت في مستشفى السجن اكثر من اسبوعين وانا احاول ان استقدم طبيبي المعالج ويسوف في اجابة طلبي فأضربت عن الطعام حتى توفر لي اسباب العلاج والرعاية الطبية فاعادوني الى السجن بأمر السادات لالقي المصير الذى كان يستعجله السادات ...

ترك انسان يموت بلا اسعاف ورعاية .. مع سبق الاصرار والترصد .. هكذا وصل العنف السلطوى الى ان ينزع من الانسان مشاعر الانسان ، وأن يرتكب الانسان جريمة في حق اخيه الانسان ، وهذا ما كان من شأن الشهيد المهندس الدكتور عبد العظيم أبو العطا وزير الرى السابق وسكرتير حزب مصر ، أحد ضحايا السادات في حملته الارهابية في سبتمبر سنة ١٩٨١ وتحملت اختى الصغيرة صفية ، بعد أن غيب السادات اختى الدكتورة لطيفة الزيات ، التى كانت ترعى صحتي وصحة والدتى المسنة القعيدة ، غيبها وراء قضبان سجنه ، تحملت اختى الصغيرة كل صنوف القهر الى جانب رعايتها لأولادها تحملت رعاية امي المسنة القعيدة التى يعرفها السادات حق المعرفة ، والتى طالما اشاد بافضالها عليه قبل رئاسته للجمهورية ، تحملت اختى الصغيرة اشد

صنوف القلق على صحتى ، وانا الاخ الأكبر الوحيد لها ، قضت اياما طوال تحاول ان ترسل الادوية الضرورية لاستمرارى فى التنفس ولا مجيب ، مباحث امن الدولة تحيلها على مصلحة السجون التى تعيدها بالتالى الى مباحث امن الدولة .

لم تترك صحيفة من الصحف المسماة بالقومية الا وطرقت بابها، لتستنجد بمن فيها ولا مجيب فالعنف السلطوى كان قد جمد القلوب والمشاعر خوفا وتزلفا .

وتطوعت صحفية حديثة تعمل تحت التمرين فى مجلة المصور لتحمل مسئولية القيام بهذه المهمة الانسانية التى تخلفت عن القيام بها كل اجهزة العنف السلطوى .

وعلمت بعد خروجى من سجن السادات ان هذه الصحفية الانسانة كانت تحضر اجتماعا فى مجلة المصور وكان فيه مكرم محمد احمد رئيس التحرير ، وتصدرته السيدة سكينة السادات الاخت غير الشقيقة للسادات ، وخلال الحديث ذكر مكرم محمد احمد انه ذاهب الى ليمان طره لزيارة معينة فسألته الصحفية الانسانة اذا كان من الممكن ان يأخذ بعض الادوية معه لايصالها الىّ فى السجن ، فابدى مكرم استعداده لذلك ، واذا بالسيدة سكينة السادات تنهر الصحفية الانسانه ، وتنهر رئيس التحرير ، وتنهال على الصحفية الانسانه ، باسئلة واستجوابات وكأنها ندبت للتحقيق من المدعى العام الاشتراكى ، اومن مباحث امن الدولة او من نيابة امن الدولة .

هذه الصحفية الانسانة كانت تنتظر فى لهفه تعيينها فى مجلة المصور ، بعد استكمال تمرينها وحصولها على موافقة كل من عملت معهم ، وفى مقدمتهم رئيس التحرير نفسه ، توقفت اجراءات تعيينها ، لينقل اليها رئيس التحرير بعد ايام اسفه الشديد للاستغناء عنها .

خرجت من عملها فى المصور لأن السيدة سكينة السادات رأت

هذا ولا راد لمشيئتها .. اليست هي اخت ـ ولو انها غير شقيقة للسادات .

واذا كانت لهذه الصحفية الشريفة تحية تقدير واعزاز فان السيدة سكينة السادات قصة بل قصص يتوقف قلمي عن الخوض فيها .

حتى التقارير الطبية ، والرسومات التى ارادت اختى ، ان تكون تحت نظر الاطباء المبتدئين الذين كانوا يعاودونني فى السجن ومستشفى السجن ، صادرتها مباحث امن الدولة ومازالت الى اليوم حبيسة ادراجها .

اعود الى سجن السادات فاذكر انه عندما كان يمسى الليل ، وانا نائم على ارض الزنزانة ، كان يسرح بى فكرى الى سنة ١٩٧١ . كان السادات قد وضع من اسماهم بمراكز القوى وراء قضبان سجنه ، وكان ينتظر كل مساء وقبل نومه ممدوح سالم وزير الداخلية ليأتيه بالتقرير اليومي عن المسجونين ، كان يصادف وجودى معه دخول ممدوح سالم عليه فكان يبادره بالسؤال ايه ياممدوح مفيش « استرحامات » كان ينتظر من هؤلاء الذين القاهم وراء قضبان ، سجنه ان يقدم كل واحد منهم استرحاما ، يلتمس فيه عفوه ومغفرته ، وان يعترف بخطئه ويقر بأن ماصدر عنه صدر عن حسن نية او عن خديعة غيره ، وانه لا يحمل لشخصه غير الولاء والاخلاص . كان يقبل على قراءة تقارير ممدوح سالم فى نهم المتشفي ـ وهو الزاهد فى قراءة اى تقرير من التقارير التى تتكدس امامه والتى تتعلق بالمشاكل التى تحيق بالبلاد .

كان يضحك اذا تضمن التقرير ما يشير الى وقوع خلاف او منازعات او مشاكل بين المسجونين ، وكان يقرأ كل خطاب يرسله اى مسجون الى اسرته ، وخطابات اولاده او زوجته اليه ، يتشفى فيما اصابهم من آلام واحزان كان يعتقد ان اول من سينهار ويسارع

الى الاسترحام ، هو محمد فائق الذى كان وزيرا لـلاعلام ، وفى كل ليلة يبادر بسؤال ممدوح هل وصل الاسترحام المنتظر ، وكان يـرد بالنفى فيستشيط السادات غضبا .

كان يقول ان فائق رقيق ولن يتحمل السجن طويلا ، ولما طـال الوقت كان يقول لى « قريبك ظهر انه ندل » ... وكان يعرف ان هناك علاقة قرابة بين والدة محمد فائق ووالدتى ، من أحاديثه التى كانت تطول مع والدتى ، خلال زياراته المتعددة لمنزلى ، قبـل رئـاسته للجمهورية .

خاب امله فى فائق فقد رفض كل العروض وظل صامدا شامخا ، ولم يخرج الا مع دفعة خرجت فى مايو ١٩٨١ ، اى بعد عشر سنوات من السجن ، ليعيد السادات وضعه فى السجن ، مع زميل سـجنه عشر سنوات فريد عبد الكريم الذى اجمعت التقارير الطبية التـى وضعتها اللجان التى شكلتها مصلحة السجون ووزارة الصحة على ضرورة الافراج عنه صحيا ، ونحا السادات كل هذه التقارير الطبية جانبا واعاد فريد عبد الكريم الى السجن فى حملته الارهابية الاخيرة فى ٣ سبتمبر ١٩٨١ .

كان يسرح بى الخيال بعيدا ، واتصور نبوى اسماعيل بـديلا عـن ممدوح سالم ، وهو يقدم التقرير اليومى للسادات ، ليقـراه بنهـم وتشفى ، كما كان يقرأ تقـارير ممـدوح سـالم بنفس النهـم والتشفى ... ولم يكن هذا مجرد خاطر ، ففى يوم اشتد الاخذ والرد بينى وبين مفتش المباحث المشرف على السجن لـطلب طلبتـه ، وكانت لائحة السجون تسمح به ، بطانية ثانية لشعورى بقشعريرة فى ليل السجن البارد ، وانا نـائم على الأرض ، ذل لسـانه خـلال المناقشة ، فقال انه علىّ ان اكتب فى التقرير اليومى الذى يـرفعه النبوى الى السادات أننى اعطيتك بطانية ثانية وقد اعاقب على هذا ، لابد ان انتظر حتى اتلقى التعليمات من الوزارة فى شأن البـطانية الثانية ..

وفى سكون ليل السجن ورهبته سألت الله ان يمنحنى القوة حتى اخر لحظة من انفاسى ،لافسد على الســادات لــذة الانتصــار على نفسى ، بعد ان أذل بدنى .

واحمد الله ان استجاب لدعوتى .







الرئيس المؤمن .. وزجاجة من الخمر (! !)

الفصل العاشر

الشباب بين الحوار والعنف

جاء شهر ديسمبر ١٩٧١ ، وكادت السنة التى سماها السادات بسنة الحسم ، تنتهى بلا حسم ، وتصاعد العمل السياسى ف الجامعات ، وعبر الطلبة عن غضبهم من تميع الموقف ، بصحف الحائط التى تندد بالموقف الداخلى والخارجي ، وبتصاعد عقد الندوات والاجتماعات والمؤتمرات .

ولم يكن الغضب قاصرا على الطلبة ، فقد امتد الى الجبهة الداخلية باكملها ، فعام الحسم انتهى بلا معركة ، بل انتهى دون تسخين الجبهة (على رأى العسكريين) كانت جبهة المواجهة باردة كالثلج ، فى حين كان ابناؤنا فى القوات المسلحة يتوقون الى خوض المعركة العسكرية ، ويعيشون على خطوط القتال ، وقد اثقلتهم التدريبات ، واصابهم ملل الانتظار وآلام الغربة عن البيت وعن الاسرة . واصيبت الجبهة الداخلية بخيبة امل ايضا ، انعكست اثارها بصفة خاصة على الشباب ، والشباب دائما هو روح الوطن ونبضه واحاسيسه ومشاعره .

وانتشرت فى البلاد شائعات ـ بحق او بغير حق ـ عن الحلول الامريكية ، بل ان امريكا اخذت تذيع فى كل مكان ان الدبلوماسية الهادئة بينها وبين السادات مستمرة ، وان التفاؤل موجود ، وان هناك حل(جاى فى السكة) ، بل زادت امريكا على ذلك بالقول ان مصر قبلت الحل الجزئى . وكان للاقتراح الذى عرضه السادات فى ٤ فبراير من ذلك العام بانسحاب جزئى للقوات الاسرائيلية على الشاطىء الشرقى لقناة السويس ، وتطهير قناة السويس ، واعادة فتحها للملاحة الدولية ، كان لهذا الاقتراح اثره فى بلبلة الافكار .

وكانت احاديث السادات وخطبه وكلماته تنصب كلها على اعداد الجبهة الداخلية للقتال ، وعلى ان المعركة لن تقتصر على جبهة القتال ، بل ستمتد الى اعماق البلاد ، الى قراها ومزارعها والى مصانعها ، والى الانسان المصرى فى كل مكان ، ولم يتخذ السادات خطوة ايجابية على هذا الطريق ، يلمسها الناس ، ويشعرون بحق انهم على وشك مواجهة المعركة .

واقتصاد الحرب الذى تردد فى كتابات المتخصصين ، وفى مقالات الصحفيين ، وفى احاديث السادات لم يتجاوز - كثيرا مجرد الأقوال ، رغم الالحاح فى المطالبة به فى فترة مبكرة ، وعلى وجه التحديد منذ ان بدأت الامانة المؤقتة للاتحاد الاشتراكى بعد مايو سنة ١٩٧١ ، ثم بعد ان توليت سكرتارية اللجنة المركزية فى اواخر يوليو سنة ١٩٧١ .

كان من الطبيعى ان يغضب الشباب ، وان يعبر عن غضبه فى هذه الاجتماعات والندوات والمؤتمرات التى تصاعدت فى شهر ديسمبر سنة ١٩٧٢ .

وأذكر بعد ان انتخبتنى اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى العربى سكرتيرا اول لها فى اواخر يوليو سنة ١٩٧١ ، ان وضعت امامى فى ذلك الحين خرائط وتنظيمات وانشطة منظمة الشباب ، عدة الاف من الشباب يغطون الجمهورية كلها من اقصى الشمال الى اقصى الجنوب لقنوا ثقافة سياسية ، قد تكون فجة ولكنهم يستطيعون ان يتابعوا مجرى الاحداث على المستوى الوطنى والقومى والعالمى ، ويستطيعون ان يشاركوا بالرأى فى قضايا وطنهم وعصرهم .

كان هناك نظام دورى للمعسكرات ، حيث تجتمع اعداد من الشباب للاستماع الى محاضرات يلقيها اساتذة متخصصون فى مختلف مراحل الحياة ، ولكن هذه المعسكرات ، كانت قبل ذلك ،

حلقات مناقشة وحلقات تعارف ، تربط الاساتذة وتربط الدارسين بعضهم بالبعض ، وتخلق صداقات روحية بين المشتركين فى المعسكر . ناقشت الموضوع من كل جوانبه مع الدكتور محمد كمال ابو المجد الذي استقدمه السادات من امريكا ، وكان يعمل مستشارا ثقافيا ، وأسند إليه شئون الشباب فى الامانة المؤقتة ، وقد اشرت فى موضع آخر الى الرابطة التى تجمعه بجماعة الاخوان المسلمين ، ناقشت الموضوع من كل جوانبه مع الدكتور ابو المجد وانتهينا الى قناعة باننا لابد ان نستأنف وباقصى سرعة ، انشطة الشباب ، وفى مقدمتها معسكرات تثقيف الشباب ، فنحن لا نستطيع ان ننشيء منظمة للشباب من العدم ، ولدينا منظمة موجودة فعلا ، ويمكن من خلال الممارسة ، ان نتكشف اسلوب عمل جديد ، او اخطاء يمكن تصويبها ، او انحرافات يمكن اصلاحها ، وبذلك نخلق المقومات الاساسية لنقيم تنظيما جديدا .

قابلت السادات وناقشته فى موضوع المنظمة ، واستئناف نشاطها ، بالصورة التى انتهت اليها قناعتنا ، ثار السادات ثورة عارمة وقال« ان كل من فى المنظمة عدولى ، انهم شيوعيون . انهم اذناب مراكز القوى .. لقد طالبت بتنظيم شبابى جديد يكون مواليا لنا ... » .

ومضى السادات يقول : اريد تنظيما قويا من شباب اشداء يمكن ان يتصدى لاعدائنا من اذناب مراكز القوى ، كذلك اريد تنظيما نسائيا ترأسه سيدة (تكون راجل) فى قوتها وفى تصرفاتها وتصديها للآخرين ..

قلت اننا نتكلم عن اعداء ونحن ما زلنا فى اول الطريق ، وكيف لنا ان نحكم مسبقا على الشباب ، ونحن لم نستمع اليه ولم نره ولم نتناقش معه ، اننا اذا تخلينا تماما عن المنظمة القائمة فعلا بهياكلها وعضويتها وخطوط اتصالاتها ، فقد نخلق جبهة من الاعداء ، وقد يكون فى المنظمة عناصر طيبة نستطيع ان نصل اليها

وان نستقطبها ، ومهما كانت هذ النسبة ضئيلة فانها مكسب على كل حال .. ان السياسة عملية اختراق ، كما يقول العسكريون وعملية حوار ، وهي قبل كل ذلك عملية نضالية مستمرة ...

اصر السادات على رأيه ، في ضرورة حل منظمة الشباب ، لأنها تدين بالولاء لعلى صبرى وكل من كان يشرف عليها من المتآمرين .

وعدت الى مناقشة الموضوع مرة اخرى مع السادات ، وكان ذلك بحضور ممدوح سالم ، واشهد ان ممدوح سالم كان في هذه المرة مقتنعا برأيي .

واخيرا انتهى السادات كعادته بان قال « اعمل اللى انت عايز تعمله »

وبدأنا في الاعداد لمعسكر للشباب في نادي الشمس في مصر الجديدة ، واعددنا كشفا بالمحاضرين وقد حاولت ان انتقيهم من مختلف الاتجاهات والمدارس الفكرية ، وتم كل هذا باتفاق مع الدكتور كمال ابو المجد ، وبترشيح للدارسين ، من امناء الاتحاد الاشتراكي في المحافظات ..

رأست الحفل الذى اقيم في اول معسكر للشباب وتحدثت فيه ، واذكر انني شعرت ان استقبالهم لي لم يكن مرضيا ـ كان فاترا ـ على انه في الوقت نفسه لم يكن عدائيا ...

وتركت المحاضرات والندوات ينظمها ويشرف عليها الدكتور ابو المجد ، واعتدت في كل يوم ، وفي وقت متأخر بعد انتهاء عملي في الاتحاد الاشتراكي ، ان اذهب الى المعسكر ، وان اقترب من الدارسين اكثر وان اجلس معهم جلسة اخوية نناقش بهدوء كل ما كان يدور من احداث ..

وأثمرت هذه اللقاءات الشخصية ، واستطعت ان اقيم علاقات طيبة مع كثيرين من الشباب الدارسين واذكر انني تحدثت بعد انتهاء مدة الفوج الأول وانني كدت ابكي من حرارة الوداع الذى ودعني به هذا الشباب ، وتكررت دفعات الشباب .

واشتد الهجوم علىّ من محمود ابو وافية (عديل السادات) ورفاقه من ذوى الحظوة لدى السادات فقد كان معاديا عداء سافرا لمنظمة الشباب ، بسبب موقفها منه فى البحيرة خلال الانتخابات التى سقط فيها ...

كان محمود ابو وافية يهمس فى اذن السادات ومعه اصحاب الحظوة : لقد عادت منظمة الشباب الشيوعية ، واخذ الزيات يمد نفوذه عليها ، واخذت هذه العبارات التى تسكب فى اذان السادات ، تتناثر هنا وهناك وفاتحنى السادات حول هذه المخاوف ، فقلت له انه يمكن ان يطلب من الدكتور كمال ابو المجد وهو يعرف اتجاهاته ، تقييم هذه العملية ليطمئن على سيرها .

وفى مناسبة حضرت اجتماعات للجنة العامة لمجلس الشعب ، بوصفى السكرتير الأول للجنة انمركزية وكانت مشكلة من رؤساء لجان المجلس ومن رؤساء المجموعات البرلمانية ، ومن عدد يختاره مكتب المجلس ، وكان محمود ابووافية عضوا فيها .... وتناقشنا فى موضوعات سياسية كثيرة ، وفى العلاقة بين الاتحاد الاشتراكى العربى ومجلس الشعب ، واذا بمحمود ابو وافية ينتقل بنا الى حديث اخر ، تحدث عن منظمة الشباب ، وقال ان المنظمة عادت بكل عفنها ومصائبها ، وقال ان التوجية والتثقيف الذى يجرى فيها يتجه على غير خط السادات ، قلت له اننا نعرف ان خط السادات هو خط عبد الناصر ، قال السادات هذا ، واكده فى خطبه وبياناته فاذا كان محمود ابووافية يعرف خطا آخر للسادات فارجو ان يوضحه لنا حتى نعيد حساباتنا .. وعلى كل فلن اقبل ملاحظات ، على ما يجرى فى اعداد الشباب ، الا فى اطار مناقشة تجرى حول ذلك فى مكانها الطبيعى فى اللجنة المركزية .

لم اقصر اتصالى بالشباب على الاجتماع بهم فى معسكراتهم ، ولكنى بدأت ايضا استقبل جماعات من الشباب من اتحادات الطلبة فى الجامعات ، ومن العناصر القيادية الطلابية ، وبدأ ايضا ممدوح

سالم يتصل ببعض شباب الجامعات المنتمين لجماعات دينية ، وبعض الاتحادات الطلابية ومعه فريق من اعضاء اللجنة المركزية ..

كنت مطمئنا الى ان عملية الحوار السياسى لابد وأن تثمر ، قد تكون بداية متواضعة ولكن الحوار السياسى المفتوح هو وحدة الطريق الصحيح ..

عندما بدأ التحرك السياسي للطلبة فى شهر ديسمبر ١٩٧١ فى الجامعات ، وعندما تصاعد فى شهر يناير سنة ١٩٧٢ ولم نكن فى الاتحاد الاشتراكي نعتبر هذا خطرا او مخططا أو مؤامرة ، لكننا نعتبره ، وان حدثت بعض التجاوزات ، تعبيرا طبيعيا عن ضيق الشباب ، وفى مواجهة ذلك كثفنا من الاجتماعات التى كنا نعقدها مع الجماعات الطلابية ، ولم تكن الاراء متباعدة او متناقضة او متعادية ، فقد كان ما ينادون به ضرورة تشعر بها الحكومة ، ويشعر بها السادات نفسه ، ويشعر بها التنظيم السياسى .

ولم يكن غرضنا ان نكبت الطلبة عن التعبير عن غضبهم ، او ان نقهر نشاطهم ، او نسيطر على تعبيراتهم ، ولكننا كنا نريد ان نلتقى على ارض مشتركة من اجل معركة حتمية ، ان لم تتحقق عام ١٩٧٢ فان الضرورة ستفرضها عاجلا او آجلا .

ومرة اخرى اقول اننا اتبعنا الطريق الذى لا بديل عنه فى مجتمع مفتوح وديمقراطى ، وذهبنا الى اكثر من هذا واقترحنا على « السادات » ان يبدأ عقد لقاءات مع اتحادات الطلبة ومع قياداتها ، ولتكن اجتماعات يعد لها جدول زمني وتكون ضيقة على قدر الامكان .

ولكن السادات منذ بداية العام الدراسى فى ١٩٧٠ كان يردد مسامعى فى كل يوم ، انه يشم رائحة مؤامرة أو مخطط عدوانى ، وعلينا ان نواجه هذا المخطط ، ونحبط المؤامرة ، وكنت اساله كلما ردد امامى كلمة مؤامرة او مخطط ، عما اذا كانت قد تجمعت لديه

معلومات من اجهزة معلوماته ، يستفاد منها ان هناك مؤامرة كان يرد بان شعوره لا يكذب ...

وكنت اسأل نفسى كيف تسير السياسة ، ونتعامل مع الاحداث بمجرد تخمين شخصى او شعور انسان بان وراء كل حدث مؤامرة .

احداث مايو مؤامرة ، حوادث الطلبة فى شهرى ديسمبر وينساير مؤامرة ، موقف اتحاد عمال مصر ، بالنسبة لاعدام الشفيع الشيخ سكرتير عام اتحاد عمال السودان ونائب الرئيس العام للاتحاد العالمى للنقابات مؤامرة ، سلسلة من المؤامرات لا وجود لها فى الواقع ولكنها تتولد وتتضخم فى عقل السادات ، وعلى عيونه واجهزة امنه ان تضخم له هذه المؤامرة او تلك ، او تختلق له مؤامرة ، تساير طبيعته التآمرية والا كانت مقصرة او غير متعاونة او متخلفة .

وفى الايام الاخيرة من شهر ديسمبر كانت حركة الطلبة قد بلغت قمتها . وفى مقابلة مع السادات انتقل الى مرحلة جديدة وهى مرحلة ضرورة مواجهة مؤامرة الطلبة ولو بالدم ، وسألته هل ستحولها الى حرب اهلية ونحن على ابواب حرب مع العدو .

ثارت ثائرته وقال : لقد ضقت بسياستك وحوارك .. لقد حسمت الموضوع ـ اننا فى حاجة الى شباب (رجالة) يضربوا ويهاجموا ويقتحموا ، وقد كلفت محمد عثمان اسماعيل (كان عضوا بمجلس الشعب عن اسيوط وامين لجنة النظام فى الاتحاد الاشتراكى فى عهد سيد مرعى ومحافظ اسيوط حتى صيف ١٩٨٢) ومعه عدد من نواب الصعيد بان يعدوا لنا فرقا من طلبة الجامعات ، يسلحوها ويدربوها .. وهناك الاخوان المسلمين يمكن كمان يتصدوا للطلبة اللى لهم لون .

واستطرد يقول : مش ممكن حوادث الجامعات هتنتهى الا بالطريقة دى .. العنف وحده هو الذى سيوقف هذه المهازل والبذاءات انا مش فاضى لحوار وسياسة ، روح حاور انت .

لم احتمل هذا الموقف ، وكان اكثر من طاقتي ان احتمله ، فقلت للسادات اما وقد وصلنا الى هذا الحد ، ارى من واجبي ان اذكركم بتجربة الثورة مع الاخوان المسلمين ، واضطرارها الى التصادم معهم مرتين ، واذا بدأنا باستخدام العنف فان حلقاته لا تنتهي ، فالعنف يولد العنف ، وتغاضي المسئولين عن الأمن وفى الجامعات عن استخدام بعض الطلبة للمطاوى او الاسلحة الصغيرة فى العدوان على طلبة اخرين يقودنا الى ما هو اخطر بكثير من ذلك .

قلت هذا الكلام ، واستأذنت فى الانصراف ، فقد شعرت ان العلاقة بيني وبين السادات قد بدأت تفتر ، وانه لم يعد فى حاجة الى ان يستمع لمشورتي ، وانه بات حبيس اوهامه التى تضخمها له اجهزته وذوى الحظوة عنده ..

واخذت الاحداث بالفعل تتداعى منذ ذلك الحين .

ظهرت المطاوى فى ايدى بعض الطلبة وهاجموا بها اخوانهم وزملاءهم ، وتظاهر بعض رجال الامن بانهم طلبة ، وتسترت اجهزة الامن على كل هذا ، وتسابق المسئولون فى الجامعات والمباحث وامن الرياسة الى الاستجابة لرغبات السادات والاتصال بعناصر طلابية وتدريبها على التصدى ، ولعلنى اذكر نشاط مسئول كبير فى جامعة القاهرة ، وكان فى ذلك الحين نائبا لرئيس الجامعة لشئون الطلبة ، وقد شغل بعد ذلك مركزا مرموقا ، لعلنى اذكر نشاطه فى تشكيل الأسر الدينية ، لتواجه الأسر التى شكلها بعض الطلبة الآخرين وفى اقامة المعسكرات الدينية وفى إحتضان الجماعات الاسلامية والتغاضي عن كل تجاوزاتها .

منذ يناير ١٩٧٢ تزايد نشاط جهات الامن ، المباحث وجهاز امن الرياسة . وتزايد تنافسها على تجنيد عناصر مأجورة من الطلبة . « للتصدى والاقتحام » تقربا وزلفى للعنف السلطوى ، واصبحت التقارير التى ترفع للسادات من اجهزة امنه ، تتضمن عبارات

التصدى الاقتحام ، وكانها بلاغات عسكرية ، « وتصدت قواتنا للعدو واقتحمت صفوفه وتجمعاته » ..

واصبحت الجماعات الدينية فى الجامعات محور الرعاية ومحور الامل فمد لها المسئولون عن شئون الطلبة فى الجامعات حبل التشجيع والتغاضى عن انشطتها ، بل والمعاونة فى دفعها وتوجيهها ضد من وصفهم العنف السلطوى بذوى الالوان ، واذناب مراكز القوى ، وهم جموع الطلبة الذين ارادوا المشاركة فى هموم وطنهم ، وهم جزء منها ، وهى جزء منهم .

ومكن هؤلاء للجماعات الدينية ان تسيطر على كل الانشطة الجامعية ، وان تخضع ادارات الجامعات لارادتها . ورغم كل هذا استمر العمل السياسى فى مد وجزر ، وكان يواجه باشد انواع القمع والقهر من عملاء اجهزة الامن ، ومن الجماعات الدينية وعرفت بعض العناصر الطلابية طريقها الى المباحث وامن الرياسة لتقبض الثمن شهريا ، وانا لا اعرف على وجه التحديد ماذا جرى بعد خروجى من الاتحاد الاشتراكى فى سنة ١٩٧٢ ، ومن الوزارة فى سنة ١٩٧٣ ، غير ما كانت استمع اليه واقرأه عن تصاعد عمليات العنف فى الجامعات ، وعن سيطرة الجماعات الدينية على الاتحادات الطلابية ، بمباركة وتشجيع من بعض المسئولين فى الجامعة ، وما سمعته وقرأته عن سيطرة هذه العناصر سيطرة كاملة على كل انشطة الجامعات - كما جرى فى جامعة اسيوط وفى كلية الطب فى جامعة القاهرة .

واقول على وجه خاص فى اسيوط حيث بدأ العنف السلطوى يمارس لعبته التى اتسعت وامتدت وتشعبت بعد ذلك .

حتى جاءت انتفاضة ١٨ و١٩ يناير ١٩٧٧ بعد خمس سنوات من إنتفاضة الطلبة فى ١٩٧٢ من اجل تحرير الارض ، جاءت انتفاضة يناير ١٩٧٧ من اجل لقمة العيش وكان من الطبيعى ان يكون بعض طلبة الجامعات من بين عناصرها ، فهموم الوطن جزء

منهم وهم جزء منها .

ووصل العنف السلطوى الى قمته باصدار القرار بقانون رقم ٢ لسنة ١٩٧٧ . معاقبا بالاشغال الشاقة المؤبدة ، الامتناع عن الدراسة والمشاركة فى تجمهر او اعتصام من شأنه ان يعرض السلم العام للخطر ، واستفتى الشعب على القرار بقانون ووافق عليه بالاغلبية المعروفة ٩, ٩٩ ٪ .

وهكذا جمد العنف السلطوى العمل السياسى فى الجامعة ، وافسح المجال واسعا رحبا للتعصب الديني ، لكي يفرخ ويتزايد ويستفحل امره وتشتد سطوته ويخرج عن طوع هؤلاء الذين اسبغوا عليه رعايتهم وعنايتهم ، ليكون سلاحهم فى تطويع المعارضين .

ان غيرى يعرف اكثر مني بما جرى فى الجامعات من ١٩٧١ الى ١٩٧٧ ، ثم بعد ذلك وحتى اواخر عام ١٩٨١ وانا ادعوهم الى الكتابة بكل صدق وامانة ، ليلقوا الضوء على ماكان يجرى فى الجامعات ، فهى مسئولية تاريخ وليست نبشا للماضى ، فلن تستطيع ان تعيد الشيطان الى قمقمه بمحاكمات وسجون وإعدامات ، ولايتأتى ذلك الا بمتابعة علمية للاسباب والمسببات ، ثم بتحديد المسئولية عن بذور العنف ، التي بدأت فى صفوف الطلبة لتنتقل الى قطاعات اخرى من الشعب

المدخل ونحن نناقش العنف فى الشباب ان نبدأ الخيط من بدايته .. من المسئول عن خلق المناخ الذى احل التعصب بديلا عن السماحة ، التى عرفت عنا وعرفناها عن انفسنا ؟ ومن المسئول الذى أحل العنف بديلا عن الحوار ، والخنجر والسلاح بديلا عن السياسة .. من المسئول عن السياسة التى انتهت الى الحادث المأسوى فى ٦ اكتوبر ١٩٨١ .

الح على هذا الموضوع وانا اقرأ صحف الصباح الرئيسية الصادرة فى ٩ مايو ١٩٨٢ وعناوينها الرئيسية قرار الاتهام فى قضية الجهاد ـ احالة ٢٩٩ متهم لمحكمة الامن الدولة العليا ـ النيابة

تطالب باعدامهم لمحاولة قلب نظام الحكم .

عنوان حزين وذكرى حزينة :

نظرة على اسماء المتهمين واعمارهم .. كلهم من الطلبة من خريجي الجامعات تتراوح اعمار الطلبة بين ١٩ و٢٥ سنة . اما الخريجون فلا تتجاوز اعمارهم ٣٥ عاما .. جميعا حضروا مرحلة العنف السلطوى .. حضروا المرحلة التى درب فيها بعض للطلبة وسلحوا بمعرفة المسئولين عن اجهزة الامن ، وبمعرفة بعض شخصيات سياسية عهد اليها بهذه المهمة التى اطلق عليها مهمة « التصدي والاقتحام » .

كلهم عايشوا المرحلة التى كانوا فيها موضع الرعاية والحظوة لدى مسئولى الجامعات ، وحضروا المرحلة التى اشعرهم فيها هؤلاء بأنهم هم الاقوياء ، حضروا المرحلة التى لقنتهم فيها وسائل الاعلام الساداتية بانهم هم المسلمون وحدهم . اما الطلبة من ذوى الالوان واذناب مراكز القوى فهم ملحدون .

حضروا المرحلة التى لقنتهم فيها اجهزة العنف السلطوى من امنية واعلامية .. ان الذين يعارضون السادات انما يعارضونه بسبب ايمانه ودعوته الى دولة العلم والايمان ، وهم يريدون شيوعية ملحدة امتدادا لعهد عبد الناصر .

حضروا المرحلة التى صنف فيها العنف السلطوى ، ناس مصر الطيبين ، بالاستفتاء والقانون بين مؤمن ومنكر للشرائع السماوية . هكذا شق العنف السلطوى الصف ، وبذر بذور الشقاق ، واصبح ايمان الناس نعمة يمنحها العنف السلطوي واجهزته ، وإلحاد الناس نقمة يصبها العنف السلطوى واجهزته على رؤوس معارضيه (الاستفتاء على مبادىء حماية الجبهة الداخلية والسلام الاجتماعي فى ٢١ مايو سنة ١٩٧١ والقانون ٣٢ لسنة ١٩٧١ لحماية الجبهة الداخلية والسلام الاجتماعى) عايش الشباب الفترة التى اغمضت فيها اجهزة الامن اعينها ــ وهى تشهد افراد

الجماعات الدينية يلجئون الى الكهوف والمغارات فى اسيوط وبعض محافظات الصعيد وفى بعض الجهات النائية فى القاهرة والجيزة ، يعيشون فيها اياما يتلقون فيها الدروس والتعليمات . ويتدربون فيها على استخدام الاسلحة ، كما كانت الجماعات الدينية تجمع الاسلحة تحت سمع السلطات المسئولة وبصرها ، وفى بعض الاحيان بمشاركة منها .

ليس هذا ادعاء فلنرجع الى تحقيقات قضية الفنية العسكرية والى قضية مصرع السادات لنرى من ذلك الكثير .. لنرى صورا من صورة التواطؤ ..... والتواطؤ كما تعلمناه اما ان يكون بالاتفاق الفعلى او بمجرد السكوت .

ولنرجع اخيرا الى اقوال اللواء حسن على السيد نائب مدير امن اسيوط امام محكمة امن الدولة فى جلستى ٢٦ ، ٢٨ فبراير ١٩٨٣ (منشورة فى صحيفة الاهرام فى ٢٧-٢-١٩٨٣ وفى ١-٣-١٩٨٣) وذلك خلال سماع الشهود وفى قضية احداث اسيوط (تنظيم الجهاد) والشهادة سجل تاريخى عن نشأة العنف وتطوره بين الشباب وكيف بدأ بقيام هيئات التدريس فى جامعة اسيوط بانشاء الاسر الدينية لمقاومة التيار الشيوعى .. ولم يعرف احد من قبل ان هناك تيارا شيوعيا فى اسيوط ولكن القصد من هذا التعبير هو تغطية تصفية كل العناصر الطلابية المعارضة لمجمل سياسات السلطة وكيف احتضن المسئولون فى جامعة اسيوط هذه الاسر ، وكيف تزايد عددها وبدات تسمى الجماعات الدينية ، وكيف تحولت خلال هذا الاحتضان والتشجيع والتغاضى عن انشطتها الى جماعات تدعو الى اهدافها باستعمال القوة والارهاب ، والسيطرة على الجامعة ، وفرض افكارها بالقوة واستخدامها لبعض اعمال العنف والارهاب ضد الطلبة فى الجامعة الاعتداء على بعض المعتقدات الاخرى .

ويقول فى شهادته (وهنا بدأ الامن يتخذ موقفا من هذه الجماعات بالنصيحة والتوجيه ، على اساس انهم اولادنا وطلبة فى الجامعة (وبدأ الامن ينصحهم ويجتمع بهم)

وما اعجب كل هذا .. اعمال العنف والارهاب والاعتداء على طلبة اخرين والسيطرة على الجامعة وفرض افكار هذه الجماعات على ادارتها ، والاعتداء على بعض المعتقدات ، وسيلة اجهزة الامن ومسئولو الجامعة لمواجهتها مجرد النصح والتوجيه .

ثم لنرجع ايضا الى شهادة المقدم ممدوح كدوانى مفتش مباحث امن الدولة باسيوط فى نفس قضية تنظيم الجهاد فى اسيوط امام محكمة امن الدولة فى جلسة ١٩٨٣/٣/٥ . (منشورة فى صحيفة الأهرام فى ١٩٨٣/٣/٦)

قال ردا على سؤال رئيس المحكمة عن معلوماته عن الجماعات الاسلامية باسيوط . فكان رده منذ بداية استلامى لعملى فى اسيوط سنة ١٩٧٥ ، بدأ نشاط الجماعات الاسلامية وكان نشاطهم يسعى لتحقيق السيطرة على قطاع الطلاب بجامعة اسيوط وفى سبيل ذلك كانت الجماعة تقوم بفرض سيطرتها والضغط على قطاع الطلبة لفرض ارادتها عليهم .

وضرب امثلة لذلك الغاء الانشطة الاجتماعية والرياضية ، ومن ذلك الغاء معرض كانت تقوم باعداده المدينة الجامعية للبنات ، وهو معرض المنتجات لتدعيم النشاط الاجتماعى فى المدينة الجامعية ودفع مصاريف البنات اللائى يعجزن عن دفع المصروفات

الغاء الحفلات

ـ التعدى على الطلبة

اثارة الفتنة الطائفية داخل الجامعة

ـ احتجاز عدد من الطلبة المسيحيين ـ الدخول فى صراع مع ادارة الجامعة بقصد سيطرتهم عليها وكلهم كانوا جماعة واحدة كانت

تسيطر على جامعة اسيوط وكانت تطلق على نفسها الجماعة الاسلامية .

ولما سألته المحكمة : متى بدأت اجاب من عام ١٩٧٥ و ١٩٧٦ . وسألته المحكمة : وما موقف جهات الأمن من هذه الجماعة الاسلامية في باديء الامر ؟ اجابها : نشاط الجماعة يكون اما داخلها او خارجها . في الأحوال التي تحدث داخل الجامعة من اختصاص ادارة الجامعة .

اما بالنسبة للاحداث التي تقع خارج الجامعة ، حررت عنها جهات الأمن محضرا (وكان موقف جهات الامن موقف مهادنة) .

وسألته المحكمة : هل لديك معلومات عن فكر الجهاد المسلح قبل احداث اكتوبر ؟ فأجاب بالايجاب وان ذلك كان حوالى ١٩٧٩ او ١٩٨٠ (واورد دلائل على ذلك وسألته المحكمة : الم تتخذ اجراءات قبل اجراءات اكتوبر ؟ فأجاب : لا

وسألته المحكمة : هل تستطيع ان تقرر لنا الأسباب ؟ فأجاب : دي قرارات سياسية كانت تتخذ لا اعرف عنها شيئا . وفي رده على النيابة اجاب بانه لم تتخذ ضدهم اجراءات امنية في سبتمبر .

ثم سألته المحكمة : قرر بعض الشهود من رجال الأمن امام المحكمة ان الجماعة الاسلامية في جامعة اسيوط شكلت في مرحلة ما مجلس الشورى فما هي معلوماتك في هذا الشأن ؟

فرد بأن : القيادة تشكلت ١٩٧٧ ولهم امير هو ناجح ابراهيم (في كلية الطب) ومجلس الشورى وسألته المحكمة : وما اسباب سكوتكم عن اتخاذ اجراءات منذ عام ١٩٧٧ .

فأجاب بنفس رده السابق (ده قرار سياسي ولا اعرف سببه)

وفي رده على سؤال : هل تعلم ان هناك اتصالا كان بين الجماعة الاسلامية باسيوط ومحافظها السابق (والمقصود محمد عثمان اسماعيل) وحضور نشاطها ومباركة نشاطها في السنوات السبعينية

حتى حدوث حوادث اسيوط فى اكتوبر ؟ وكان رده بطبيعة الحال : لا اذكر شيئا .

فهو ضابط مازال فى رتبة مقدم وعمره ٤٠ سنة ولا يستطيع ان يجب بالايجاب خشية ان يتعرض لما يمكن ان يتعرض له موظف فى مثل مركزه) ..

وفى رده على سؤال اخر فى هذا المعنى : هل تذكر ان لقاء تم فى جامعة اسيوط عام ٧٦ ، ٧٧ حضره المحافظ (والمقصود هنا ايضا محمد عثمان اسماعيل) وكبار المسئولين بالمعسكر الاسلامى بجامعة اسيوط وما دار فى هذا المعسكر ؟

ورد نفس الرد : لا اذكر .

وكيف لا يذكر وهو الذى فى رده على سؤالين برر عن عدم ملاحقة هذا العنف واتخاذ اجراءات لوقفه رغم وصوله الى هذا الحجم من الخطورة بداية من ١٩٧٥ وتزايد هذا الحجم فى السنوات التالية . بان « دى قرارات سياسية كانت تتخذ ولا اعرف عنها شيئا » .

فمن كان يصدر القرار السياسى فى المحافظة ؟ اليس هو المحافظ الذى كان يطلق عليه السادات نائبه فى المحافظة ، ومن اين كان يتلقى هذا القرار السياسى ؟ اليس من رئيس الجمهورية ؟

× × ×

لقد انتهى بنا الحال فى ظل العنف السلطوى ، ان نرى الافا من ابنائنا فى الأمن المركزى ، وقد دربوا على الكاراتيه والضرب بالعصا الكهربائية ، التى تشل عقل الانسان وحركته الى غير ذلك من اسلحة العنف التى تكدست بها مخازن وزارة الداخلية فى عهد وزير داخلية السادات النبوى اسماعيل .

وانتهى بنا العنف السلطوى الى صور بشعة وحشية فى تعذيب المسجونين والمعتقلين السياسيين وفى تعذيب المتحفظ عليهم فى اقسام الشرطة .

اكتب ما فى هذه القصة ليس من باب التسجيل فحسب ، ولكنى

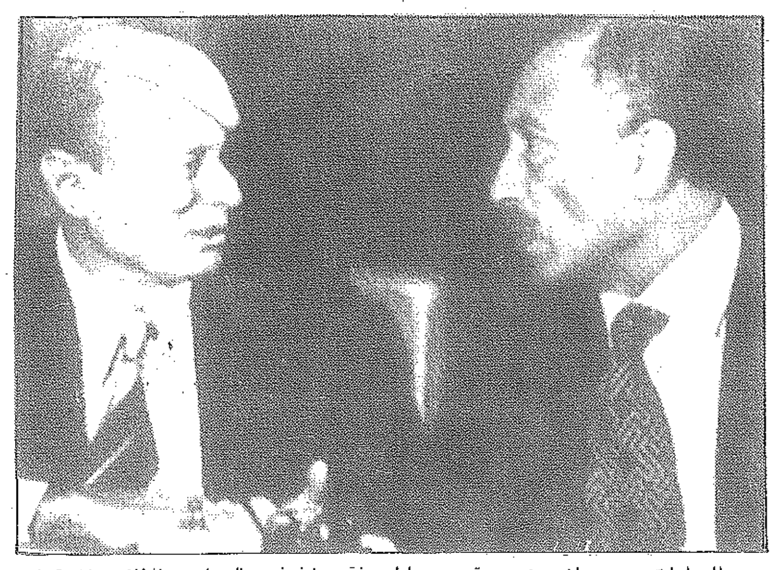
اكتبه ليقرأه الحكماء والسياسيون في مصر ، فان المرحلة التى مرت على مصر ـ مرحلة العنف السطوى ـ باسبابها ومسبباتها ، بمسئولياتها واشخاصها ، لابد وان يكشف عنها النقاب ، فقط طبعت هذه المرحلة الحياة المصرية بطابع غريب وخطير ، وليس هذا نبشا للماضي ولكنه تأمين للمستقبل وهو واجب لا يحتمل التأخير ..

× × ×

لقد اراد السادات متواطئا مع غيره او ساعيا لاسترضاء غيره ان يحرف معركة الشعب المصرى التى تحددت ضد الامبريالية والصهيونية والاستقلال ومن اجل الحرية والاشتراكية والوحدة الى معركة المؤمنين ضد الملحدين وتسخير الدين لتصفية الثورة الناصرية التى وصفت بالشيوعية الملحدة ، وارتدى السادات مسوح الحاكم المسلم لدولة اسلامية ليعشش وينمو الارهاب وينتشر الفساد تحت مظلة التجارة بالدين وإستقطاب حماس الشباب المتدين الى مسارات اخرى لا تمت الى الدين ..







السادات مع ديان وهو يرتدى رباط عنق مزخرف بالصليب النازى المعقوف

الفصل الحادى عشر

عام اللاحسم وقضية الضباب

مع نهاية سنة ١٩٧١ وبداية سنة ١٩٧٢ بلغ شعورنا بالقلق قمته في الاتحاد الاشتراكي ، كانت مهمتنا الأولى ان نهيىء الجماهير لمعركة حاسمة مع العدو الصهيوني وقمنا بالمهمة ، وجلست أنا وزملائي اعضاء الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكي العربي ، محافظات الجمهورية ، لتهيئة الجماهير للمعركة .. وبقيت الشعارات مجرد شعارات ، لا وجود لها على ارض الواقع ، ولا خروج لها من حيز الكلام الى حيز التنفيذ ، وكنت انا وزملائي اعضاء الأمانة العامة نضغط في طريق تعبئة الشعب تعبئة حقيقية لهذه المعركة ، وتجاه التعجيل بالمعركة العسكرية . وكان هذا الاستعجال يستند الى تأكيدات متكررة من السادات على استكمال قواتنا المسلحة استعدادها للمعركة ، وقد نقلت الى اعضاء الامانة العامة ما قاله لي السادات شخصيا من انه لم يبق امامنا الا اصدار الامر بالقتال .

وليس صحيحا ما جاء في كتاب البحث عن الذات انه لم يكن هناك وجود لخطة هجومية عندما تسلم السادات الحكم من بعد عبد الناصر ، ولكن الحقيقة التي قالها لي السادات ، هي التي كتبها هيكل ، وهو على قمة الثقة من السادات ، في كتاب « الطريق الى رمضان » من ان « الاعداد لعملية جرانيت كان قد استكمل في الاشهر الاخيرة من عهد عبد الناصر ولكن من كان يستطيع ان يتحمل المسئولية في « اصدار الامر بتنفيذها » (وتفصيلات ذلك في النسخة الانجليزية من الكتاب ص ١٠٧ و ١٠٨) .

وكان العام الذي سماه السادات بعام الحسم قد انتهى ، ولم يبد

فى الافق اى بريق لـلأمل ، حتـى على المسـتوى الـدبلوماسى ، كانت السياسة الخارجية تجرى فى معزل عنا بل فى معزل عن وزارة الخارجية ، والسادات ينفرد بالاتصال بالجانب الأمريكى وبالمحور العربى المساند له ، السعودية والمغرب وليبيا ثم ايران وتصـلنا اخبار هذه الاتصالات ولانعرف شيئاعن فحواها .كان التـوجس والريبة يحكماناوان لم تقم لدينا دلائل على هذا التوجس والـريبة ، كنا نشعر ان المخطط المحلى والدولى يستشرى بلا مواجهة حقيقية من التنظيم الشعبى او التنفيذى . التنظيم الشعبى ، وهو الاتحاد الاشتراكى ، لايملك المعلومات التى يمكن ان يعتمد عليها فى بـدء مثل هذه المواجهة والوزارة وعلى رأسها الدكتور محمود فـوزى لا تعلم ، وربما لا ترغب ولا تقدر على مثل هذه المواجهة .

وتناقشنا فى امانة الاتحاد الاشتراكى واتفقنا على ضرورة اعادة تنظيم الدولة ، وعلى ضرورة مواجهة الوضع المتردى بعد انقضـاء عام الحسم دون حسم .

ورغم الفتور الذى بدأ السادات يبديه نحوى ، نتيجـة لتتـابع الازمات معه ، تصديت للمواجهة وتعددت اجتماعاتى به فى هـذه الفترة .

وفى اجتماع معه فى الايام الاولى من شهر يناير ١٩٧٢ ، اثـرت موضوع اعادة تنظيم الدولة ، والسؤال الى اين نسـير ؟ وكيفيـة مواجهة التردى الذى انتهينا اليه ، بانتهاء عام الحسم دون حسم .

وتحدثنا عن اعادة تنظيم الدولة وكان لى رأى ، تناقشنا حوله فى الامانة العامة للاتحاد الاشتراكى عن ضرورة وجـود رئيس وزراء قادر على العمل المستمر وعلى التنفيذ وعلى الحسم .

قلت للسادات ان الدكتور فوزى استاذ فى السياسة ولـه أراؤه التى نجلها ونحترمها ، ولو اخليناه من المسئولية التنفيـذية ، ليتفرغ الى جانبك فى القضايا السياسية الكبرى ، فسيكون انتفاعنا به فى هذه المرحلة الحاسمة اكبر .

وورد اسم الدكتور عزيز صدقي كمرشح لرئاسة الوزارة ، بـل يكاد يكون هو الاسم الوحيد .

واذكر ان هذا الترشيح قد لاقى مقاومة عنيفة من جانب هيـكل ومن جانب سيد مرعى ، ولا اعلم هل كان بين الاثنيـن اتفـاق على ذلك . وقد كانت تربطهما فى ذلك الحين اوثق الصـداقة ، إلا ان كلا منهما قد اتخذ هذا الموقف مستقلا عن الاخر .

هيكل يرى ان وجود الدكتور فوزى عامل مطمئن للشعب وللقوات المسلحة وعلى المستوى الدولى ، وسيد مرعى ينظر الى الأمر مـن منظور شخصى ، كانت رئاسة الوزارة الحلم الذى يداعبه .. فهـو احق برئاسة الوزارة من اى شخص اخر نظرا لعلاقاته الشـخصية والاسرية بالسادات واسرته (وكان قد بدأ الحديث عـن مصـاهرة جديدة بين السادات وسيد مرعى) وبدأ القول بانه ليس فى مصر من يستطيع ان يكتل الفلاحين حول السادات غيـر سـيد مـرعى ، فالفلاحون ينظرون اليه باعتباره الأب الروحى ، ما من مـرة تـولى الوزارة الا رفع اسعار الحاصلات الزراعية .

وكان يقول للحلقة المحيطة بالسادات من بطانة وندماء انه لـولا سيطرة اليساريين على الاتحاد الاشتراكى (ممثلين فى الـزيات) لأصبح رئيسا للوزارة منذ ١٥ مايو مباشرة ، ويضيف الى ذلك بـان الزيات مع عزيز صدقي يشكلان مركز قوة « عزيز بيربط مع العمال ، والزيات بيربط مع الشباب واجتماعاتهم مع العمال والشباب مستمرة فى عملية استقطاب خطيرة تهدد السادات ذاته .. »

وتنفست كل العناصر المناهضة لثورة يوليو الصعداء ، عنـدما قال السادات لسيد مرعى ان عهد الوزارة القادمة التى سـيتولاها عزيز صدقى ايام « سنتخلص بعدها من العناصر اياها فى الحكومة وفى الاتحاد الاشتراكى وتتولى الوزارة » .

وفى الاجتماعات التى جرت مع السادات فى الايام الاولى من شهر

يناير تناقشنا فى كل شىء ، فى تقييم الموقف ، وفى موقف الاتحاد السوفيتى ، وفى موقف الولايات المتحدة ، وفى موقف المملكة السعودية والملك فيصل على وجه التحديد ، وفى موقف سوريا وليبيا .

وقال السادات ان الملك فيصل طلب تهدئة الموقف لان امامه فرصا لم يستنفذها ، وعبد السلام جلود ، الذى كان همزة الوصل بين السادات والقذافى ، قد طلب هو الآخر تهدئة الموقف .

(واستطيع ان اؤكد انه فى حديث شخصى جرى بينى وبين عبد السلام جلود ، ان هذا كان هو موقفه فى الفترة التى تصاعدت فيها نبرة الاتحاد الاشتراكى بالمعركة) .

وتعرضنا للحرب الهندية الباكستانية ، وقال السادات ان هذه الحرب رغم بعدها عن اراضينا فهى عامل مؤثر على معركتنا وانه لابد من تقييم موقف امريكا ، بعد هزيمة باكستان التى كانت تساندها ، وانتصار الهند التى يساندها الاتحاد السوفيتى ، وان امريكا بدأت تضرب بشدة فى فيتنام كما بدأت ترسل بشحنات جديدة من الاسلحة لاسرائيل لترد على هزيمتها فى باكستان ، وهذا يقتضى ان نعيد حسابات الموقف الامريكى .

قال انه مطمئن على القوات المسلحة تدريبا واعدادا وتسليحا وعلى قدرتها على التصدى للمهمة ، وعلى الاقتحام ، وعلى تنفيذ القرار ، بل هى تستعجل القرار .

قلت ولكن هناك مهمة اخرى وعدت بها الشعب والقوات المسلحة وهى اعداد الجبهة الداخلية ، لتكون امتدادا لجبهتنا المتقدمة ، ولا اعتقد اننا انجزنا شيئا على طريق هذه المهمة وهذه هى نقطة البداية ، قواتنا المسلحة نحن مطمئنون اليها فلنجعل كل ساعة وكل يوم يمر علينا حتى ساعة القرار اضافة جديدة ، الى قدراتها ، اما الجبهة الداخلية فهى تحتاج الى عمل كبير واضفت :

انك تصف الحرب القادمة بانها ستكون حربا شاملة ، فلماذا لا

ندرب شباب جامعاتنا وعمال مصانعنا ومرافقنا تدريبا جديا وحقيقيا على المقاومة الشعبية وعلى استخدام الاسلحة ، وهذه مهمة عاجلة لمواجهة احتمال انتقال المعركة التي خلف خطوطنا الامامية ، كما ان شعور ابنائنا على الجبهة المتقدمة ، باننا هنا في الداخل نعيش معهم حياة حرب واستعداد واستنفار ، سيقوى اكثر من عزيمتهم وسيرفع من روحهم القتالية .

قال السادات انت تتكلم كالروس فهم يوجهون النقد الى الأنوار الى تتلألأ في القاهرة ، والى الملاهى التى تفتح ابوابها الى الفجر والى الحياة الصاخبة ..

اجبته بانني انقل اليه ما يحس به كل مواطن على ارض مصر ، وهذا النقد يوجه الينا من كل اجنبي يتعاطف مع قضايانا ويصادف زيارته لمصر .

وطالبت بتجييش طلبه الجامعات وعمال المصانع والمرافق ، وتدريبهم على المقاومة الشعبية بكل اساليبها وصورها ، وطلبت جدية اكثر في حياتنا ، ونحن على ابواب حرب شاملة كما كان يقول السادات ، وطلبت اقتصاد حرب حقيقى .

وكنت اعبر عن رأى جماعى لأمانة اللجنة المركزية التي قررت ان تكون في حالة انعقاد دائم في هذه الفترة الحرجة ، وان تجعل مسئوليتها الأولى الدعوة للمعركة والتعجيل بها واعداد الشعب كله للاشتراك فيها ، مع قواته المسلحة .

وكان للسادات اراء اخرى ، لابد ان تسترضى الشعب حتى لا ينفجر ، ومثل هذا التضييق قد يسبب الانفجار ، وهذا لا احتمل نتائجه .. قلت ان الشعب في مجموعة راض وسيتقبل اى اجراءات التقشف ، اذا كانت تطبق على الجميع

اما عن تجييش طلبة الجامعات وعمال المصانع والمرافق ، قال السادات انني لن اخاطر بهذا ولن اضع السلاح في ايدى الطلبة

ليوجهوه الىّ .
وعن اقتصاد الحرب قال السادات ان هناك لجنة لمتابعة هذا الموضوع ، وهذا كاف فى الوقت الحاضر .. وبلاش تضييق على الناس ..
كلفنى فى نهاية هذه الاحاديث ان اضع تصورى لبيان يوجهه للشعب يشرح فيه اسباب انتهاء سنة الحسم دون صدور قرار القتال .
ولم اكف عن صرف نيته عن القاء بيان .
قلت لنناقش اولا مبدأ القاء البيان ثم ننتقل الى موضوعه ... هناك تبريرات معقولة ومنطقية لارجاء صدور قرار القتال ، وقد فهمتها منكم خلال الاجتماعات الطويلة التى عقدناها ، ونقلتها الى الامانة العامة وعممناها على كل مستويات التنظيم السياسى ، وبدأنا فعلا فى تنظيم جولات للامانة العامة تغطى الجمهورية كلها ، فكل التبريرات قد عرفها الشعب الان ، ان البيان الذى كان ينتظره الشعب هو امر القتال ولذلك يتعين ان نكون حريصين جدا على كل كلمة ومعنى يقال فى هذا البيان . لابد ان يكون هناك جديدا فيه ، الجديد امامنا الآن هو الجبهة الداخلية ، ولابد ان يتضمن البيان تكليفات وتوجيهات محددة لاعداد الجبهة الداخلية ، اما الكلام العام فيمكن ان يكون ضارا من حيث انه يزيد من البلبلة .. واضفت أنه من الأفضل ارجاء البيان الآن حتى يتحدد امامنا كل شىء ، وحتى نحسب كل حساب لرد الفعل .. اما تبريرات ارجاء قرار الحرب فيمكن لكم ان تبدونها فى اى حديث صحفى ، او فى جملة احاديث صحفية فى مصر والخارج .
وجاء رد السادات غريبا ، فقد كنا ازاء مشكلة محلية وكان تفكيره يتجه ، كما اتجه دائما ، الى الخارج .
رد على السادات بانه يريد ان يخاطب العالم من خلال بيانه الى الامة ، اما المسائل الداخلية فيمكن ان تكون لها مناسبة اخرى ،

وبالعالم طبعا كان السادات يعنى امريكـا .

ودخل علينا هيكل فقال السادات . عال اهو محمد جه وحاناقش معاه الموضوع ، وأستأذنت في العودة الى الاتحـاد الاشـتراكي لاستقبال الوفود المشتركة في المؤتمر الخامس لتضامن الشـعوب الافريقية والأسيوية ، وكانت هذه الوفود قد بدأ يتتـابع حضـورها للمشاركة في المؤتمر الذى عقد في القاهرة في ١٠ يناير ١٩٧٢ .

كان وقتى كله مشغولا في الاعداد لهذا المؤتمر ، وفي كتابة بيـان السادات اليه وفي مقابلات ومناقشات لا تنتهى ، وطلبنى السادات في يوم ١٠ يناير . واستاذنته في ان احضر في المساء ، بعـد افتتـاح المؤتمر والقاء رسالة فيه نيابة عنه .

وبمجرد دخولى على السادات بادرني بالقول ان هيكل من رأيه ان اتحدث بطبيعتي الى الشعب لأن هذه الاحاديث القلبية افضل مـن الخطب المكتوبة .. اصعب شيء لدى في هذه الكلمات المـرتجلة ان اجد نقطة البداية ، وبعدين الكلام بيجيب بعضه ، وانا حددت الان نقطة البداية في حديثي .. واضاف السادات ونقطة البداية انـنى اتخذت قرار مماثلا للقرار الذى اتخذه عبد الناصر في ٩ يوليو ١٩٦٧ بسبب الضباب وانا بسبب الضباب الذى انتشر في الايام الاولى مـن ديسمبر سنة ١٩٧١ اتخذت قرارا بتأجيل تنفيذ خطة القتال ..

سالته اى ضباب ؟

قال في يوم ٩ يوليو ١٩٦٧ (يوم الاحد) ، وكان من اهتماماته أن يحدد اليوم والتاريخ ، ففي هذا اليوم امر عبد النـاصر ان تخـرج القاذفات والطائرات لكى تتعامل مع لواء مدرع اسرائيلى ، يتحـرك نحو القنطرة شرق ، قبل عبوره الى الضفة الغربية ، وظلت القاذفات في الجو لمدة ساعتين والضباب يخيم على المنطقة ، ولا تسـتطيع القاذفات ولا المقاتلات ان تحدد اهدافها بسبب هذا الضباب .

اتصلت القيادة بالريس عبد الناصر وكانت الساعة حـوالى ١٢ ظهرا وابلغته بحالة الضباب هذه ، وفي يومها الساعة الواحدة بعـد

الظهر الغى جمال عبد الناصر امر القتال ، واضاف السادات ، ودا اللى حصل بالضبط ، نفس ضباب يوم الاحد ٩ يوليو ١٩٦٧ ، بس الضباب كان فى جنوب شرق اسيا ، فى الايام الاولى من ديسمبر ، قامت معركة بين دولتين صديقتين الهند والباكستان ، انتهت بانتصار الهند التى يساندها الاتحاد السوفيتى ، وبهزيمة الباكستان التى تساندها الولايات المتحدة .

وهذا الضباب حجب كل شيء فاصدرت فعلا للفريق اول صادق قرارى وقلت له استنى لابد من اعادة الحساب .

سألته ما دخل الضباب الذى حصل فى ٩ يوليو ١٩٦٧ ، والواقع الدولى الثابت والواضح الذى ترتب على الحرب بين الهند وباكستان ، والذى حمله على اعادة الحساب ، واضفت بان هذا تشبيه مع الفارق .

ورد ثائرا : الناس اللى لابسين قميص عبد الناصر لازم يعرفوا ان عبد الناصر ، فى موقف مماثل اتخذ نفس القرار ، ولو كان موجودا الان لا تخذ نفس القرار الذى اتخذته ، ده رد ضرورى على اللى بيشككوا ويقولوا السادات مش داخل حرب ابدا .. وحاولت ان اعود الى مناقشة موضوع الضباب هذا ولكنه اسكتنى وسألنى بعصبية : انت معايا ولا مع عبد الناصر ولا مع مين ؟ انت تريد ان تحمى عبد الناصر ولاتحمينى ؟ ... قلت له وكان قد حل بى تعب جسمانى ونفسى جارف : هذا سؤال غريب ، وهذه معاملة لم اعتدها من سيادتك لقد طلبت حضورى واستشرتنى فى شيء ، فقلت لك رأيى فيه ، والرأى الأول والأخير لك ، وانا لا املك الا تقديم المشورة ولك ان تأخذ بها ولك ان ترفضها ، وهذا واجبى ، طوال ست سنوات لم تشكك فى رأى ابديته لك مثل هذا التشكيك ، فماذا حدث الان ؟

شعرت فى هذا اليوم ١٠ يناير ١٩٧٢ انه لم يعد هناك من مكان لى الى جانب السادات ، فقد أرادنى ان اكون على غير ما عاهدت نفسى ان اكون عليه ، ارادنى ان اقول فى كل مناسبة : ليس فى الامكان

ابدع مما كان .. وهذا امر يستحيل على طبيعتى ، وتفاديت أن اعود الى مناقشة موضوع الضباب ، وعرضت رسائل من عدد من رؤساء الدول الافريقية ، حملها بعض رؤساء الوفود الافريقية التى اشتركت فى مؤتمر التضامن الأسيوى الافريقى ، وعلى رغبات بعض رؤساء هذه الوفود فى مقابلته ، ونقلت اليه صورة عن مناقشات المؤتمر واجانه واجتماعاته ومشروعات التوصيات المقترح صدورها عنه .

تركت ورقة كنت اعددتها ضمنتها بعض الخطوط للبيان المقترح ، ولم ابق كعادتى لمناقشتها معه ، حتى يمكن اعداد الصيغة النهائية ، ضمنت الورقة رفض اية حلول سياسية لا تتضمن الانسحاب الكامل من كل الأراضى العربية المحتلة ، وتصعيد الاستعداد العسكرى للقتال ، وتجييش الشعب ليخوض معركة التحرير ، وقدرة الجيش والشعب معا ، على تجاوز الأوضاع الدولية التى ادت الى تأجيل تنفيذ قرار القتال .

وخرجت من هذه المقابلة وانا على يقين من ان تغييرا ما قد طرأ على موقف السادات خرجت وانا اتساءل اى حسم هذا الذى ردده السادات طوال السنة الماضية ؟ خرجت وانا اتساءل لماذا هذا التصميم على البيان وعلى الضباب وهل هى رسالة جديدة يريد ان يوجهها السادات الى امريكا بانه حريص على عدم احراجها ، وخاصة بعد انتصار الهند فى معركتها ضد الباكستان ، وان كل ما يطلبه منها هو ان تساعده دبلوماسيا ؟ وهل مازال الحل العسكرى هو احد الحلول الواردة ؟

صحيح ان السادات دخل معركة اكتوبر سنة ١٩٧٣ ، وان القوات المسلحة المصرية الباسلة احرزت فى هذه المعركة نصرا كبيرا ، وصحيح انه دخل هذه المعركة كما وصفها الفريق محمد عبد الغنى الجمسى فى اجتماع مغلق بعد الحرب مباشرة ــ كعملية

عسكرية محدودة ـ تستهدف تحريك الموقف الدبلوماسى (بعد ان يأس السادات من تحريك الموقف الامريكى بلا معركة) .

وقد عبر الفريق محمد عبد الغنى الجمسى فى كلمات قليلة عن الفجوة ، التى قامت خلال حرب اكتوبر المجيدة ، بين تحفظ السادات وجموده نحو اهداف المعركة ، والذى تمثل فى التوجية الاستراتيجى الصادر من رئيس الجمهورية الى القائد العام للقوات المسلحة والذى يحدد استراتيجية الحرب واهدافها وتكليف بدء العمليات العسكرية ، والذى وقعه السادات فى ٥ اكتوبر ١٩٧٣ ـ وبين التحفز العسكرى والوطنى لدى المقاتلين ، والذى كان يدفعهم ما حققوه من انجازات الى المزيد منها ، ولكن تحفظ السادات وجموده اوقفهم عند الحد الذى اراده السادات مجرد تحريك الموقف دبلوماسيا ، او ازالة الجمود العسكرى ، لينتقل بعد ذلك العمل الدبلوماسى كل العمل الدبلوماسى بمجمل تفصيلاته وبمجمل صياغاته ، الى العقل واليد الأمريكية(حديث الفريق الجمسى فى اجتماع محدود حضره بعض الكتاب والأدباء والصحفيين بعد اسبوعين من وقف القتال) .

ومازلت اسأل نفسى هل كان السادات ينتوى دخول المعركة فى سنة ١٩٧١ ، ان كان يستخدم تعبير الحسم والشعارات المتطرفة لحث الدبلوماسية الأمريكية على الحركة ؟

وقد يكون من المناسب هنا ان اقول ان اطلاق عبارة الحسم على سنة ١٩٧١ مصدرها امريكى ، بدأ السادات يطلقها بعد تصريح لرورجز وزير الخارجية الأمريكية فى ١٥ /٦/ ١٩٧١ قال فى بدايته انه على ثقة من انه مازال هناك امكانية لحل مرحلى للسلام فى الشرق الأوسط يمكن التوصل اليه فى سنة ١٩٧١ .

وكان روجرز قد أرسل قبل ذلك خطابا الى محمود رياض وزير خارجية مصر فى ١٥ يناير سنة ١٩٧١ ـ سلمه اليه بيرجس المشرف على

المصالح الأمريكية في مصر ـ في شأن استمرار وقف اطلاق النار اشار فيه الى ان القرار في هذا الشأن سيجعل هذه السنة حاسمة (١٩٧١) اما في الوصول الى سلام عادل وشامل واما في بداية صراع دائم ومكلف .

ومن ثم فعبارة الحسم ليس من مفردات السادات وانما من مفردات السياسة الامريكية التي اتجه اليها بكليته .

ولم تكن عبارة عام الحسم اول ولا آخر مفردات السياسة الأمريكية ، مع تصاعد توجه السادات الى امريكا ، فمنذ النصف الثاني من ١٩٧٢ كان السادات يسر لخلصائه من ان الحل في يد امريكا ، ومنذ ١٩٧٣ انطلقت على لسان السادات عبارة اللعبة ، و ٩٩ ٪ من اوراق اللعبة التي كانت ومازالت في يد امريكا ، ولا يمكن للمرء سوى ان يتساءل ، ان صح هذا القول ، ماهي ابعاد هذه اللعبة الامريكية واهدافها ، ومتى بدأت هذه اللعبة مع السادات ، او متى بدأ هو معها ؟

لقد بدأت هذه اللعبة ، حتى قبل اجتماعات السادات بعزيزة هنري (كسينجر) الذي يعتبر بحق عراب كامب ديفيد ، وما تلاها من اعتراف وصلح وتطبيع مع اسرائيل .

وقد كشف كسينجر بعد ذلك ، في كثير من احاديثه عن ابعاد هذه اللعبة واهدافها ويكفي ان نشير الى ما قاله كسينجر اخيرا عن اهداف امريكا من اعتراف الدول العربية باسرائيل .

يقول كسينجر في الاكونوميست اللندنية في عددها الصادر في ١٢ نوفمبر ١٩٨٢ :

« إن الاعتراف بالدولة الاسرائيلية من جانب منظمة التحرير والدول العربية لن يكون ، الا بداية عملية تعديل وتنظيم للاوضاع الاقليمية ، تبعا للارادة الاسرائيلية »

ولا يتردد في ان يزيد اهداف اللعبة وضوحا فيضيف « ان الخطر الحقيقي في المنطقة سوف يتمركز حول عدم القبول بالارادات

الاسرائيلية » .

وتعديل وتنظيم الاوضاع الاقليمية ، حسب الارادة الاسرائيلية ، او على وجه التحديد تجزئه كل دولة عربية الى دويلات وكيانات طائفية ، كدولة مارونية واخرى سنية او شيعة او درزية فى لبنان ودويلات للشيعة والسنة والعلويين ، فى كل من سوريا والعراق تجزئة لا تنجو منها أى دولة عربية أخرى ومصر على وجه التحديد .

ويكشف عن ذلك العالم الاسرائيلى « اوديد يونون » الذى كان من اكبر مخططى السياسة فى وزارة الخارجية الاسرائيلية ان

(المساهمة فى العمل على تجزئة مصر وتحويل كياناتها ، الى وحدات جغرافية مستقلة ، عوضا عن الدولة المركزية الحالية) واذا تمت تجزئة مصر ، فان دولا كليبيا والسودان ، بل ودولا اخرى، اكثر بعدا ، لايمكن ان تظل فى صورتها الحالية ..

هذه هى ابعاد اللعبة الامريكية واهدافها التى شارك فيها السادات ودفع بها الى الامام ، وليس ما يجرى فى لبنان الا بداية من بداياتها ، وليس ما يجرى على الساحة العربية الا محاولات امريكية ، للسير بهذه الأهداف قدما الى الأمام .

واستطيع ان اؤكد الان من تتابع الاحداث والوقائع ان السادات لم يكن ينوى دخول المعركة فى سنة ١٩٧١ ولا فى ١٩٧٢ ، حدثت حرب الهند وباكستان اولم تحدث ، ففى خلال هذه الفترة وبعدها كانت الاتصالات على اشدها مع الأمريكان وكانت الوعود تبذل والوساطات تجرى والتنازلات تطلب والأمل يتفتح ويخبو ولكنه لا يفقد فى الامريكان ويحتاج الامر فى هذا السياق الى عودة الى المقابلة التى جرت فى لندن بين السيدة حرم السادات وبينى فى يوم من ايام شهر اكتوبر او نوفمبر ١٩٧٢ والتى سبق ان اشرت اليها فى مناسبة

سابقة . وكان هذا فى القصر الذى استاجرته فى حى السفارات فى لندن وهو افخم واغنى احياء لندن .. وقد تمت ترتيبات اقامتها فى لندن فى ذلك الحين بمعرفة اشرف مروان والمليونير المصرى رشدى صبحى المقيم اقامة دائمة فى لندن والمشهور فى تجارة الاسلحة ومع محب السمرة قنصل مصر فى لندن فى ذلك الحين والذى كان محل سر اشرف مروان .(وكان كمال رفعت سفيرا فى ذلك الحين ى لندن وقال انه لا يعرف شيئا عن هذه الزيارة ولا على من استاجر هذا القصر ولا على اسباب هذه الزيارة وانه مدعو الى العشاء شأنه شأنى تماما .)

وكان بين السيدة حرم السادات وبينى حديث سألتنى عن الاخبار فاشرت الى تعليق كنت قد قرأته صباح نفس اليوم فى صحيفة الجارديان البريطانية بقلم المعلق البريطاني ديفيد هيرست وعنوان المقال « الفأر فى المصيدة » وكان العنوان يغنى عن المضمون فقد كتب المعلق ان السادات قد كشف جميع اوراقه ولم تعد ورقة واحدة يلعب بها ودخل برجلية المصيدة الأمريكية الاسرائيلية واغلق الباب على نفسه .

وقالت السيدة حرم السادات وهى تستمع منى الى هذا التعليق « حنعمل إيه قدنا صوابعنا شموع وبرضه مش راضيين » .

كانت هذه الكلمات قد عبرت اصدق تعبير عن سياسة السادات التى بدأ بها وانتهى اليها وكانت من خلفه دافعا ومشجعا على السير فيها سعيا للاطمئنان على السلطان والمستقبل (مستقبلها هى) .

ولكن ليت الحريق اقتصر على اصابع السادات وحده

ولم يفكر السادات فى المعركة المحدودة التى تحرك الجمود الامريكى الى ابعد من مجرد التاريخ بالوعود والآمال الا بعد الحديث الذى جرى بين هنرى كسينجر واشرف غربال (وكان فى ذلك الحين المشرف على المصالح المصرية فى امريكا) وكان ذلك فى يناير

١٩٧٣ حيث قال كسينجر بحسم « انه لا يتدخل الا فى الازمات الساخنة وازمة الشرق الاوسط ليست من هذا النوع » .

ونعود الى هذه الفترة فنقول ان السادات قد اتخذ قراره بطرد الخبراء السوفيت فى يوليو ١٩٧٢ واخذ ينتظر لفتة من امريكا تكافىء قراره هذا ولكن انتظاره طال . ويقول كسينجر فى كتابه (ايام فى البيت الابيض) ان توقعى لخطوات ابعد من جانب السادات جاءت سريعة فقد جرى اتصال فى ٣٠ يوليو بكسينجر من مصر تطلب فيه عقد لقاء على مستوى عال بين الطرفين يتقدم فيه الامريكيون باقتراحات جديدة وان السادات مستعد لعقد اتفاق مؤقت بشأن قناة السويس » . وأجاب كسينجر على هذه الرسالة بأنه لا يمانع فى عقد مثل هذا اللقاء ولكن بدون شروط .

ووافق انور السادات على ذلك .

وفى فبراير ١٩٧٣ وصل حافظ اسماعيل مستشار الأمن القومى للسادات الى واشنطن وكانت زيارته من شقين الأول الجزء العلنى وهو ظهوره فى التليفزيون وزياراته للبيت الأبيض ومحادثاته مع الرئيس نيكسون ـ اما الشق الثانى فكان مقابلاته مع كسينجر وقد جرت هذه المقابلات ثلاث مرات فى منزل رئيس شركة البيبسى كولا « رونالد كيندال » فى ولاية كونيكيت وكيندال كما هو معروف كان صديقا مقربا الى نيكسون كما أن نيكسون كان قد فوض كسينجر تفويضا مطلقا فى هذه المحادثات .. وقد احيطت هذه المباحثات بسرية كاملة لدرجة ان كسينجر امر مساعده اسكاى كروفت بعدم تدوين اى شىء .

وقد كتب الكثيرون عن هذه الفترة وعن حرب ١٩٧٣ وعما تلاها من فك الاشتباك الأول وفك الاشتباك الثانى ومؤتمر جنيف وزيارة القدس واتفاقات كامب ديفيد ومعاهدة الصلح مع اسرائيل وغير ذلك الكثير على ان هذه الفترة تخرج عن نطاق بحثنا .

على ان كل ما يمكن قوله ان السادات فى تعليقه على زيارة حافظ اسماعيل لأمريكا قال لمحرر صحيفة الحوادث اللبنانية ان امريكا تتفهم الموضوع على النحو التالى : اما ان مصر توافق على شروط اسرائيل بوصفها دولة منهزمة واما ان تتحرك امريكا (من كتاب غالى شكرى الثورة المضادة ص ٢٠٩) .

وماذا كان يعنى كسينجر من هذه الكلمات التى قالها لأشرف غربال وحافظ وهل هى كانت رسالة للسادات تحمل له الضوء ليؤزم الموقف ، فى حدود مخطط مرسوم ، حتى يتدخل بعد ذلك كسينجر وينفذ مخططه المرسوم فى اقتلاع الوجود السوفيتي وتحقيق الصلح بين مصر واسرائيل واخراج مصر من حلبة الصراع العربى الاسرائيلى وفصلها عن امتها العربية وبذلك يتحقق هدف استراتيجى لم تتوقف امريكا منذ نشأة اسرائيل عن السعى من اجله ....

على ان ما يلفت النظر ان يتواكب مع هذه الرسالة زيارة خاطفة قام بها فى شهر سبتمبر ١٩٧٣ اى قبل شهر واحد من اكتوبر احد اعمدة الراسمالية الامريكية بل زعيم الراسمالية الامريكية قاطبة ورئيس امريكا الحقيقى والدائم فى كل العهود امتدادا من ادارة كيندى الى ادارة ريجان وهو ديفيد روكفلر واستغرقت الزيارة عدة ساعات فقط لم ير خلالها سوى السادات وبعدها انتقل بطائرته ومنها الى امريكا وكانت هذه الزيارة اختبارا لنوايا السادات وتوجهاته واستعداده للسير فى الركب لأمريكى .

وقد كشف ديفيد روكفلر بعد حرب اكتوبر بقليل عن مهمته فى مصر فقال : « أن مصر ادركت ان الاشتراكية والقومية العربية المتطرفة لم ترفع مستوى معيشة السبعة والثلاثين مليون مصرى وانه لا سبيل لمساعدة هؤلاء الا بالاتجاه الى المبادرة الخاصة والمعونات الأجنبية » .

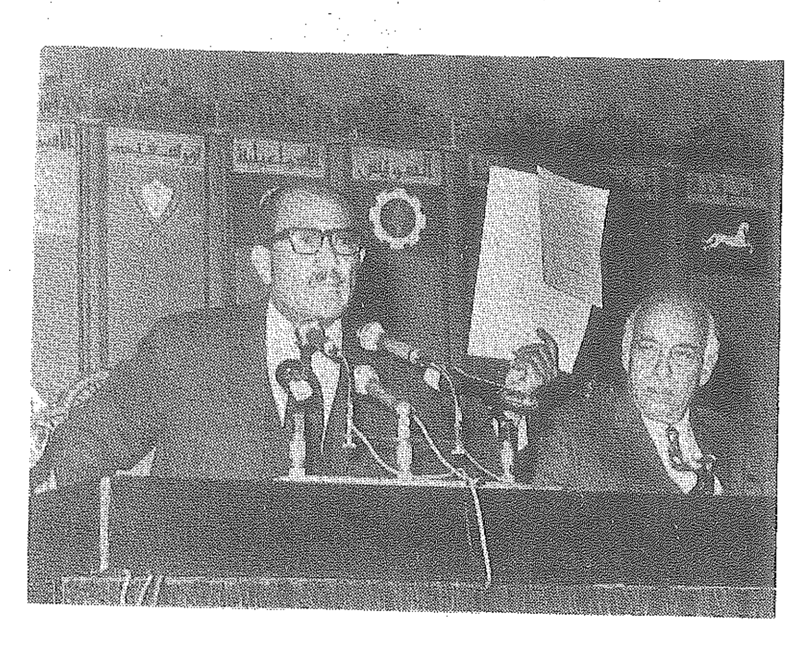
وأضاف روكفلر انه ناقش ذلك مع بعض القادة الاسرائيليين ووجد توافقا كاملا فى وجهات النظر باعتبار ان هذا التوجه سيوجد فرصا اكبر لانهاء الحرب .

واخذت اجراءات الانفتاح الاقتصادى تتابع كما اخذت التبعية الأمريكية تتصاعد لتصبح كامب ديفيد واقعا منطقيا وحتميا قبل ان تتشكل فى اتفاقات يوقع عليها السادات وبيجين ثم كارتر كشاهد وشريك كامل فى عملية السلام .

على أن الأمر الذى لم يكشف عنه ديفيد روكفلر انه فى هذه المقابلة اعطى الضوء الأخضر للسادات « لتسخين الموقف » فى حدود متفق عليها (هيكل ـ خريف الغضب ص ٤٩ و ٥٠ بالانجليزية وص ١٣٦ بالعربية).

واذا صدق كسينجر فيما اورده فى كتابة « التغير الكبير Up-heaval » فإن القناة السرية بين السادات وامريكا كانت تعمل بانتظام و تسخين الموقف وكل ما يتصل بالحرب المحدودة تم الاتفاق عليه خلال هذه الاتصالات بل أن السادات نشط قناة اتصالاته السرية بسرعة بعد بدء الحرب وان الاتصال عبر هذه القناة كان له فى حد ذاته أهمية كبيرة عند الامريكيين وأن لهجة الاتصال كانت دائما ودية (ص ٥٧٤ من كتاب كسينجر) وان السادات كان مستعدا للتفاوض مع اسرائيل بعد تحقيق انتصار غير حقيقى عليها (ص ٤٦٠ من كتاب كسينجر) .





السادات .. وبيان الضباب

الفصل الثانى عشر

بيان الضباب .. وإبعادى من الاتحاد الاشتراكى

فى مساء يوم ١٣ يناير سنه ١٩٧٢ وجه السادات الى الامة البيان الذى عرف فيما بعد فى مصر ببيان الضباب ، ومن هذا البيان استبعد السادات بالطبع كل الخطوط العامة التى اقترحتها ، كان من المفروض ان يكون البيان موجها إلى الامة المصرية العربية ، ولكنه فى الواقع كان موجها الى الادارة الامريكية .

وفى وقت متاخر من نفس المساء ، كنت سكرتيرا اول للجنة المركزية ، ورئيس للمؤتمر الخامس لتضامن الشعوب الافريقية والاسيوية بهذه الصفة ـ القى الكلمة الختامية لاعمال هذا المؤتمر (الذى عقد فى القاهرة فى المدة من ١٠ ـ ١٣ يناير سنة ١٩٧٢) .

كان شعور داخلى يلح علىَّ بان كل القيم والمبادىء التى ارستها ثورة يوليو فى ضمير شعبها ، قد حاق بها الخطر ، فاردت التاكيد عليها من على منبر الاتحاد الاشتراكى ، الذى اردنا له ان يكون التعبير عن كل هذه القيم والمعانى ، وحاولت ان اجعل الخطاب سجلا لكل قيم ثورة ٢٣ يولية التحررية فأكدت على المعانى التالية : مصر الثورة . مصر النضال من اجل الاستقلال السياسى ، والتحرر الاجتماعى ،

مصر قلعة من قلاع النضال العالمى ، ورادف من روادف الثورة العالمية ، ضد الاستعمار والامبريالية والصهيونية ، وكل صور التفرقة العنصرية . مصر مع كل حركات التحرر الوطنى ، مهما اختلفت مواقعها ، وتباينت اعلامها ، من اجل تحرير الانسان سياسة واقتصادا وثقافة وفكرا . مصر الصمود والنضال ضد الغزوة الصهيونية الامبريالية . مصر الحرب ضد كل قوى ورواسب

التخلف والسيطرة والاستغلال . مصر القلب من المسيرة العظمى للامة العربية ، تحت رايات الحرية والاشتراكية والوحدة .

حملت في هذه الكلمة على السياسة الامريكية ، وفضحت اساليبها فى افريقيا واسيا وامريكا اللاتنية . وطلبت من كل الوفود المجتمعة ، ان يفتحوا عيونهم ، وان يشددوا من نضال شعوبهم ، ضد المخاطر التي تحملها وتمثلها الامبريالية ، بزعامة الولايات المتحدة الامريكية .

وكان شعور داخلى ايضا يلح على باننى اودع بهذه الكلمة اخر تجمع من بين هذه التجمعات العالمية النضالية ، التى تتابع انعقادها فى مصر عبد الناصر ، قلعة النضال وملتقى الاحرار ، وصدق حدسي فقد كان مؤتمر تضامن الشعوب الافريقية الاسيوية الذى انعقد فى ١٠ يناير ١٩٧٢ فى القاهرة اخر تجمع نضالى عالمى يلتئم فى القاهرة .

القيت هذه الكلمة ، وصعدت الى مكتبى فى الاتحاد الاشتراكي ، واذكر انني تلقيت مكالمة من محمد حسنين هيكل حوالى منتصف الليل ، يسالني عن اثر البيان الذى القاه السادات . اجبت باننى وصلت الى مكتبي للتو ، بعد انتهاء الجلسة الختامية لمؤتمر تضامن الشعوب الافريقية الاسيوية ، ووجدت نفسي بلا وعى اكرر فقرات من الكلمة التي القيتها فى المؤتمر واسال هيكل :

هل ستكون مصر هي مصر اذا انسلخت عن كل هذه القيم والمبادىء ؟ كنت اعرف الاجابة ولكني سألت بحاسة الخطر .

كما اذكر ايضا ان السادات قد اتصل بي فى صباح اليوم التالى لالقاء بيانه وسالني عن اثر بيانه فقلت له اننى مسافر الان الى الاسكندرية لحضور مؤتمر طلابي يعقد فى المساء ، وستكون هذه فرصة لمعرفة اثر البيان ؛ وقال لى السادات خلال المكالمة ، ايه الهجوم الشديد ده على امريكا ؟ وكان السادات يعلق على كلمتى فى

المؤتمر .

وتصادف ان كان يوم ١٤ يناير سنة ١٩٧٢ موعدا لمؤتمر فى الاسكندرية ، دعت اليه لجان الاتحاد الاشتراكي فى كليات جامعة الاسكندرية ، وكان موعد الاجتماع الساعة السادسة بعد الظهر ، ذهبت لحضور المؤتمر كان فى قاعة الاجتماعات مايربو على ثلاثة الاف من الطلبة وهيئات التدريس ، استقبلتنى القاعة بصيحات ارتفعت من كل جوانبها بكلمة . « الضباب » وانعم الله عليَّ بصبر من عنده فى هذه الليلة ، حتى استطعت ان اسيطر على القاعة الغاضبة .

ولا أريد ان اشغل وقت القارىء بما قلت ولكن اسمح لنفسى ان اشركه فيما حصلت عليه من خبرة خلال هذه الاجتماعات ، والاجتماعات الاخرى التى شاركت فيها طوال فترات طويلة من عمرى .. فانك تستطيع ان تشعل حماس الجماهير بخطبك وشعاراتك وبياناتك ووعودك ، ولكن الجماهير تفرغ هذا الحماس على ارض الواقع ، عندما يتبدد الحماس ولايبقى غير الواقع . وتستطيع إن تخدع الجماهير بعض الوقت ، ولكن لايمكن ان تخدع الجماهير كل الوقت ، والسياسة هى فن الممكن ، والتنظيم هو الذى يكفل توظيف هذا الممكن باقصى طاقة وجهد وتخطيط من اجل تحقيق الاهداف العليا للوطن .

ان اثارة حماس الجماهير واستنفارها من اجل المعركة يحتم تنظيم القنوات التى تستوعب هذا الحماس وتوظيفه لخدمة المعركة فعلا وعملا بحيث يشعر كل واحد من جماهيرنا انه يشترك فى هذه المعركة ، وان اشتراكه ضرورى وان دوره فى المعركة يكمل دور الاخرين فى احراز النصر .

وانا اذكر بعض الدروس التى خرجت بها فى هذه الاونة ، لانها دروس الماضى والحاضر والمستقبل ، واذا كنا اليوم نثير حماس

الجماهير من اجل مزيد من الانتاج ، فيتعين علينا ان ننظم القنوات التى تستوعب فيها هذا الحماس ، وان نوظفه لخدمة الانتاج ودفعه فعلا وعملا ، ولا يكفى ان نضع الحقائق امام الجماهير وهذا واجب ومسئولية بل يتعين ان نحدد دور هذه الجماهير ، بكل فئاتها ومع اختلاف فئاتها فى تغيير هذه الحقائق ، وان نحدد لكل فئة القنوات التى تستطيع ان تؤدى دورها من خلالها فى هذا التغيير ، ان الجماهير يجب ان تكون دائما وابدا هى صانعة القرار ، وانه ما من قرار يمكن ان يخرج الى حيز التنفيذ دون مساهمة فعالة من هذه الجماهير .

ولان السادات خرج عن كل هذه البديهيات فى ادارته لسياسة مصر ، ولان حديث الضباب جسد الازدواجية بين القول والفعل ، بين الظاهر والباطن ، بين الشعار والواقع ترتب الكثير من التعقيدات نتيجة لهذا الحديث .

ففى صباح ١٥ يناير كنت فى مكتبى فى الاتحاد الاشتراكى عندما تواردت الاخبار تباعا عن انصراف طلبة الجامعات عن المحاضرات وعقدهم لاجتماعات لمناقشة بيان السادات ولم استطع التغلب على انفعالى فقلت فى حضور عدد من الزوار واعضاء اللجنة المركزية : هذا ماكنت اخشاه كرد فعل البيان . وهذا سيضاعف من مسئوليات العمل السياسى ونقل البعض هذا القول عنى للسادات .

وبعد ظهر هذا اليوم تجمعت لدى الاتجاهات التى برزت فى هذه الاجتماعات الطلابية . مع القرارات التى اتخذها الطلبة فى هذه الاجتماعات من استمرار الامتناع عن الدراسة والدعوة لعقد مؤتمرات طلابية موسعة . وكانت الاتجاهات التى برزت ويكاد يكون الاجماع شاملا عليها هى :

- اعداد الجبهة الداخلية للمعركة وتحديد دور الطلاب فيها .
- توصيات مختلفة تجمع كلها على رفض الحلول السلمية .
- اغلاق الجامعة لاعداد الطلاب عسكريا .

كتبت يوم ١٥ يناير تقريرا مفصلا عن كل ماجرى فى جامعات القاهرة والاسكندرية وفى بعض المصانع ،، واقترحت على السادات ان نواجه المسالة فى بدايتها بعمل سياسى سريع ، ووضعت فى التقرير تصورى لهذا العمل بالدعوة الى عقد اجتماعات لممثلى فئات الشعب (بمن فيهم مندوبين عن اتحادات الطلبة وعن لجان الاتحاد الاشتراكى فى الكليات المختلفة لتحديد دور كل فئة فى عملية اعداد الجبهة الداخلية للمعركة) .

وقلت له فى التقرير ان مثل هذا الاجتماع ضرورى وعاجل لازالة اى غموض او عدم فهم لما جاء فى البيان الذى القاه ، كما سيكون له اثره السياسى الكبير فى الداخل والخارج ، وقلت ان اجتماع اللجنة المركزية سيعقد فى اليوم التالى (١٦ يناير) وبالتالى يمكن ان تخرج عن هذا الاجتماع ، الدعوة لاجتماع موسع لممثلى فئات الشعب ومن بينهم الطلبة .

وعلمت من بعض ممن كانوا فى منزل السادات ، انه قرأ التقرير عند وصوله وقال : طبعا الزيات مش عاجبه البيان ، وعايز يقول اضرابات الطلبة نتيجة لهذا البيان ، عجيبة الزيات عايز يرسم لى سياستى دى وصاية جديدة ، انا عارف ده مخطط ..

وفى اليوم التالى الحقت هذا التقرير بتقرير اخر ، عن التطورات التى جرت حتى ظهر يوم ١٦ وكانت هذه التطورات تنحصر فيما قرره الطلبة من رفع طلباتهم الى رئيس الجمهورية والى سكرتير اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكى ، والاعتصام بعد عدة ايام اذا لم يتلقوا ردا عليها ، والدعوة لمؤتمر طلابى كبير فى قاعة جمال عبد الناصر فى جامعة القاهرة ، وسارعت بارسال هذا التقرير الاخير حتى يكون تحت نظر السادات قبل انعقاد اللجنة المركزية .

وجاء اجتماع اللجنة المركزية مساء ١٦ يناير واعاد السادات امام اللجنة المركزية ماسبق ان قاله فى خطاب الضباب . لم يشر الى

ما اقترحته بدعوة ممثلى فئات الشعب ، ، لم يوجه كلمة الى الشباب ، ولم يشر الى طريقه لمواجهة الطلبة بالحوار .

لم يضف جديدا اثناء انعقاد اللجنة ، ولكنه اضاف الجديد بعد ان وقف معلنا انتهاء الجلسة ولم يعد هناك مجالا للاخذ والرد والحوار ، توقف وهو على اهبة مبارحة منصة الاجتماع ، وأقال السكرتير الاول المنتخب للجنة المركزية واحل محله اخر بالتعيين ، وكان السكرتير الذى اقيل هو محمد الزيات والسكرتير الذى عين هو سيد مرعى ، واشار وهو فى طريقه الى الخروج انه محتاج للزيات فى مركز تنفيذى ، وقبل ان يستوعب اعضاء اللجنة المركزية ماقال ، كان قد بارح الاجتماع ..

ووصل الامر الى حد ان الغالبية العظمى من الاعضاء تصوروا ان السادات يضيف الى عملى فى اللجنة المركزية عملا تنفيذيا جديدا ، وظلوا على هذا التصور الى ان صدر قرار تعيين سيد مرعى امينا عاما للجنة المركزية ، وقرار تعييني نائبا لرئيس الوزراء فى الوزارة الجديدة التى تشكلت برئاسة الدكتور عزيز صدقى . وكانت هذه اول صدمة من صدمات السادات الكهربائية التى توالت على مصر طوال عهده ، وقد تشكلت وزارة عزيز صدقى واجتماعات الطلبة وتظاهراتهم مستمرة بعد القاء خطاب الضباب ، واعتذرت اولا عن تولى منصب وزارى وكتبت للسادات معتذرا عن قبول هذا المنصب والح علىَّ الدكتور عزيز صدقى وقال انه يشكل وزارته فى فترة عصيبة ويعلم ماذا يواجهه ، وعلينا ان نكمل المشوار ونبذل مافى طاقتنا للحفاظ على مابنيناه ونواجه التحديات معا ..

وجاءنى صديق ينصحنى بعدم دخول الوزارة ونقل لى ماقاله سيد مرعى عندما جلس على كرسيه فى الاتحاد الاشتراكى ، قال لخلصائه انه لن يقيم معهم طويلا لان وزارة عزيز صدقى لن تبق اكثر من اسبوعين .. قال سيد مرعى :

انور .. (وكان دائما يتحدث عن السادات امام الناس باسمه

الأول ليوهم السامع بأنه اقرب المقربين الى السادات) انور قــال لى انه حيتخلص من الناس دى كلها فى ضربة واحدة .. وسأتولى انــا (اى سيد مرعى) الوزارة .

وصدق سيد مرعى فيما قال ، فقد استطاع السادات ان يبعد كل العناصر النشطة عن الاتحاد الاشتراكى ، والتى تستعجل المعركة العسكرية ، والتى تناضل من اجل الحفاظ على خط ثورة ٢٣ يوليو ، والتى اعتادت ان تكون صادقة مع نفسها ومع غيرها وان يجمعها فى سلة واحدة هى سلة وزارة عزيز صدقى .

ولم يدرك صديقى الذى نقل إلىّ هذا الحديث انه بهذا الــكلام دفعنى الى قبول هذا المنصب التنفيــذى ، منصــب نــائب رئيس الوزراء ، فقد بات واضحا اننا مقبلون على مرحلة جديدة من الصراع ، ولابد ان اكون وسط هذا الصراع مهما كان جهدى متواضعا .

وكان سيد مرعى الذى ولاه السادات على الاتحاد الاشــتراكى ، وهو الاقطاعى السابق ، والمليونير الحــالى ، يشــير الى طبيعــة الصراع ، كان الرمز الذى رفعه السادات والعلامة والمؤشر ليــؤكد لمن فى الداخل والخارج ان ماهو مطلوب آت .

ولكننى لم اعرف إذ ذاك ان استبعادى وزملائى عــن الاتحــاد الاشتراكى كان عربونا ، ارخص من عربون لــم يملك الســادات الاستجابة له اذ ذاك امام غضبة الطلبة والشعب من بيان الضباب .

لم يتوقف كمال ادهم ـ المعتمد السعودى فى مصر ـ على الضغط فى اتجاه المطلب الامريكى بتصفية الوجود السوفيتى فى مصر وقــد تردد السادات طوال ١٩٧١ ، وخاصة بعد ١٥ مايو فى اتخاذ قــرار الاستغناء عن الخبراء السوفيت خشية ان يؤكد ماكان يتردد فى ذلك الحين من انه قد عدل نهائيا عن الحل العســكرى فضــلا عــن ان قيادات القوات المسلحة قد ابدت فى اكثر من مناسبة حاجة القوات المسلحة الى استمرار وجود مثل هؤلاء الخبراء ، لاســتيعاب بعض الاسلحة الحديثة ، التى لم يستكمل التدريب عليها .

وجاء عام ١٩٧٢ واخذ السادات منذ بـدايته ، يمهـد الارض للاستجابة للمطلب الأمريكي السعودى ، بتصفية الوجود السوفيتى فى مصر، فأجرى تعديلات فى الاتحاد الاشتراكى العربى ارضى بها السعودية ، وابعد عن الامانة العامة العناصر التى كانت تسـتعجل المعـركة العسكرية ، ثم اخذ يقوم بزيارات ميدانية للقوات المسـلحة ، يبشر فيها بما وعد به الملك فيصل من تزويد مصر بكل مـاتحتاجه مـن الاسلحة ، وخاصة بالطائرات المتطورة ، وكان القصـد مـن ذلك طمأنة القوات المسلحة بأن السعودية سـتحل محـل الاتحـاد السوفيتى ، فى تزويد مصر بالاسلحة وفى مقدمتها الطائرات ، وهـذه الوعود التى بشر بها السادات لم تتحقق ، بل ان بعض هذه الوعود ــ على حد قول هيكل ــ قد الحقت ضررا بـانتظام زيـادة قـدراتنا العسكرية وعلى وجه خاص فى سلاح الطيران (الطريق الى رمضان ص ١٥٨) .

وكان فصل الختام فى هذا الموضوع رسالة حملها الامير سلطان ووزير الدفاع السعودى الى السادات مـن واشـنطن فى ٥ يـوليو ١٩٧٢ ، كانت الرسالة خاصة فى ان الحل فى يد امريكا ، وكان نص الرسالة لك ان تستريح وان تفعل ماتشاء ولكن عليـك ان تـذكر ان مفتاح الحل هنا فى امريكا .

(ص ١٧٤ من الطريق الى رمضان) .



ولم يكن غريبا بعد ذلك ان يصدر السادات قراره بالاستغناء عن الخبراء السوفيت فى ٦ يوليو ١٩٧٢ ، بعد يوم واحد مـن تسـلمه رسالة واشنطن ، وصدر القرار وكمال ادهم والاميـر سـلطان فى القاهرة وبعد اجتماعات مطولة عقداها مع السادات .

واذكر وانا اتابع شريط الاحداث ان السادات فى اواخر صـيف ١٩٧١ كاد يكشف لى عن نية الاستغناء عن الخبـراء السـوفيت ،

عندما سألني هل تذكر المعركة التي احتدمت فى ١٩٥٩ بين عبد الناصر وخروشوف ، لقد سارعت المخابرات الامريكية فى ذلك الحين الى الاتصال بعبد الناصر ، وقالت ان امريكا تضع كل امكانياتها تحت امره ، وانهم على استعداد لتقديم اية معونة يطلبها ، وقد قدموا الى مصر فى ذلك الحين كميات كبيرة من القمح والزيوت .. تشبيه ، مع الفارق فأمريكا التى استجابت للثقل السياسى الذى يمثله عبد الناصر ، لم تشأ ان تستجيب للسادات ، حتى بعد ان تطوع بمظاهرة طرد الخبراء السوفيت . ويكفى الآن الاشارة الى واقعة أوردها هيكل فى كتابه « الطريق الى رمضان » وهو يعدد الاشخاص الذين كانوا على علم بقرار الطرد هذا ..

يقول هيكل : شخص واحد كان يبدو واضحا انه لم يخطر مقدما بهذا القرار ، وهو هنرى كسينجر ، فبعد ايام وبعد ان اصبح سحب الخبراء معروفا للجميع قال كسينجر لاحد مساعديه :

لااستطيع ان افهم السادات هذا .. اذا كان قد جاءنى قبل ان يحدث ذلك ، وافصح لى عن نيته ، فى اصدار مثل هذا القرار، فسأشعر اننى ملزم ان اعطيه شيئا فى المقابل ، ولكننى الان حصلت على كل شيء ، فى مقابل لاشيء (ص ١٨٤ من كتاب « الطريق الى رمضان » النسخة الانجليزية) .

ولعل كسينجر لم يصدق فى قوله ، مثل ماصدق فى هذا القول ، فقد وضع السادات كل اوراقه فى السلة الامريكية .. ولم يأخذ شيئا لانه لم يكن يريد شيئا اكثر من الاسترضاء والامل بالحظوة .

اليس من العجب بعد ذلك ان يقول السادات ، او من كتب للسادات فى البحث عن الذات فى سياق حديثه عن التركة الخربة التى ورثها عن عبد الناصر : كانت هذه هى التركة التى ورثتها سياسيا ، لاوجود لوزارة الخارجية ، او سياسة مدروسة مخططة لم يكن هناك سوى الرئيس نفسه الذى ينفعل ، فيصدر قراراته بناء على هذا الانفعال ، وهو راض وسعيد مادام كل مايقول يصفق له

الشعب (ص ٢٢٥) ...

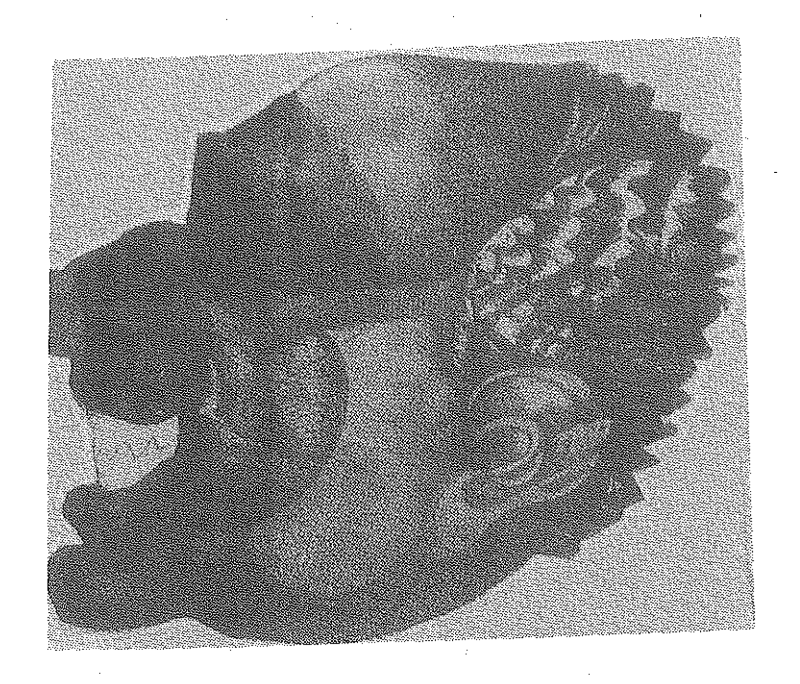
واسمح لنفسي تعقيبا على ماقاله السادات ان استشهد ولو مرة واحدة بما يكتبه موسى صبرى فى افتتاحية الاخبار فى ١٣ سبتمبر ١٩٨٥ تحت عنوان وزارة على لطفى يقول موسى صبرى وهو يحيى رئيس الوزراء « كمال حسن على » ان له ادوارا وطنية شجاعة تسجل بأنصع السطور فى سجل عمله القومى .... ويقول ...... تولى وزارة الدفاع وكان مسئولا عن مباحثات السلام فى القاهرة بين مصر واسرائيل .... لم يفرط ولم يقع فى حبائل المفاوض الاسرائيلى وتحدى كل الضغوط (اى كانت هناك ضغوطا من جانب اخر غير حبائل المفاوض الاسرائيلى) وقطع المفاوضات اكثر من مرة وكما تعبيره المشهور ..لن اقبل هذا ... على جثتى ... حتى لو حصلتم على موافقة الرئيس السادات ..

وهل يمكن ان يصدر مثل هذا القول الخطير من مسئول (وزير الدفاع المصرى) وعلانيه الا اذا كان الكيل قد طفح من إغفال السادات لاراء ومواقف ومشورة مستشاريه وقبوله بتنازلات على غير رأى مستشاريه .

واذا كان السفير الامريكى هيرمان ايلتس . والذى اشترك فى كل مراحل مفاوضات السلام قد قال فى احد أحاديثه ان السادات لم يكن يستمع لاراء مستشاريه . وقال محمد ابراهيم كامل وزير الخارجية فى كتابه « السلام الضائع » ان السادات لم يكن يقرأ او يستمع لما يكتبه او يقوله مسئولوا الدبلوماسية المصرية ويتخذ قراره مستوحيا من مصادر اخرى وقال كمال حسن على وزير الدفاع فى ذلك الحين على حد قول موسى صبرى ، نفس القول او مايماثله فهل هى سقطة لسان من موسى صبرى ام انه لم يرد ان يؤكد ـ كدأبه ـ على أن السادات هو وحده بطل الحرب والسلام وغيره اصفار على اليسار .. هو وحده الاسطورة .. وغيره مجرد اشباح وهياكل ... ولعل هذا هو ما سيكشف عنه فى إلياذته الجديدة « السادات الحقيقة

والاسطورة » .

وسواء كان هذا او ذاك فماذا كان اذن من امر المؤسسات فى عهد السادات عهد « دولة المؤسسات » .. ؟ !





فى حفل توديع جمعية الصداقة للسفير السوفيتى

الفصل الثالث عشر

السادات يكلفنى برئاسة جمعية الصداقة المصرية السوفيتية

اذكر فى النصف الثانى من عام ١٩٧٢ وكنت نائبا لرئيس الوزراء ، ان تقابلت مع حافظ اسماعيل وكان مستشارا للأمن القومى للسادات ، فى احدى الحفلات فى قصر عابدين ، فقال لى ان السادات يريدك ان تتولى رئاسة جمعية الصداقة المصرية السوفيتية بدلا من صدقى سليمان .

قلت له اننى اريد تكليفا رسميا من السادات بذلك . (وكانت كل خطوة من خطوات السادات فى ذلك الحين أصبحت مثار الشك فى نفسى) .

قال : يمكنك ان تقابله .

ومضت أيام وطلبنى السادات لحضور اجتماع اللجنة الدائمة لمجلس الشعب ، عقده فى استراحة القناطر ، لم اكن عضوا فى هذه اللجنة ، ولكن السادات كدأبه منذ أن اخرجنى من الاتحاد الاشتراكى ، تفادى المواجهة معى شخصيا ، كانت المواجهة تعنى ان اسأل عن تصرفاته العامة والخاصة وان استفسر عن مبرراته لهذه التصرفات ، ولم يكن السادات براغب ولا قادر على ابداء هذه المبررات .

قابلت السادات وهو فى طريقه الى حضور الاجتماع ، وكان معه حافظ اسماعيل وفوزى عبد الحافظ وآخرين ، قال إن السوفيت يطلبون منى ، فى كل زيارة ، تنشيط أعمال جمعية الصداقة المصرية السوفيتية ، وقد رأيت ان اكلفك برئاستها ، وسيكون التمويل من رياسة الجمهورية (وارسل لى شيكا اوليا بمبلغ ٥٠٠٠ خمسة آلاف جنيه) .

واتصالا بحديثه قال اننا فى مشاكل مستمرة مع الروس ، ويمكن

لهذه الجمعية ان تلعب دورا ملطفا ، وان تبقى على خيط العلاقات المصرية السوفيتية .

واذا كنت قد قبلت رئاسة هذه الجمعية فلم اقبلها ارضاء للسادات ولكن ارضاء لقناعة في نفسي باننا نستطيع دائما ان نستفيد من صداقة السوفيت ، ومازلت الى اليوم على هذه القناعة .

ومن المفارقات الغريبة ان علاقتي بالسوفيت بدأت مع السادات نفسه ، وقبل ان يصبح رئيسا للجمهورية ، قال السادات اكثر من مرة ان عبد الناصر قد عهد اليه بعد هزيمة ١٩٦٧ بالاتصال بالسوفيت ، ومن هنا فقد اتهمته المخابرات الامريكية بانه عميل للسوفيت .

وما ادعاه السادات ان عبد الناصر قد عهد اليه بالاتصال بالسوفيت بعد هزيمة ١٩٦٧ ليس صحيحا فهو الذي عرض على عبد الناصر ان يعقد اجتماعات دورية مع السفير السوفيتي ، ليدفع الامور الى الأمام لمعرفته ـ كما ادعى ـ بطبيعة واسلوب التعامل مع السوفيت ، ولم يمانع عبد الناصر .

وقد طلب مني السادات في ذلك الحين ـ وكنت امينا لمجلس الامة ومقررا للجنة السياسية في اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي العربي ـ طلب مني ان أحضر معه هذه الاجتماعات وان أعد له تلخيصا لما يجري في هذه الاجتماعات ليرفعه الى عبد الناصر .

ومازلت أذكر اول اجتماع فقد جاء السفير (واذكر اسمه كان بودياجسف) ومعه مترجمة وكان منفعلا الى اقصى حدود الانفعال ، حتى صعب على المترجم ان يتابع انفعالاته ، .. فقد كانت الهزيمة كبيرة ، وكان حجمها أكبر من كل توقع ، وانتقلت كل الاسلحة السوفيتية ، بكل اسرارها وتعقيداتها ، الى امريكا ليكتشف اسرارها الكمبيوتر الامريكي ، وكان على السوفيت ان يعدلوا ويبدلوا في خطوط انتاج هذه الاسلحة وفي هذا تكلفة مادية وفنية باهظة .

وكان السفير يعبر عن انفعاله الشديد بكل ملامح وجهه ويديه قائلا « لو ان كل دبابة وكل مدفع وكل مصفحة وكل طائرة ضربت طلقة واحدة لما حدث ما حدث » .

وكان واضحا من حديث السفير السوفيتي ان حجم هزيمة ١٩٦٧ كان له تأثيره المعنوى والنفسى على القيادة السوفيتية التى اكتشفت ان البيروقراطية فى القوات المسلحة هى السبب فى انهيارها .

وجرى فى الاجتماع الأول تقييم للهزيمة وابعادها واثارها ، وانتقلنا فى الاجتماعات التالية الى الحديث عن مفاتيح الخروج من الهزيمة .

لم يكن موضوع الاسلحة والتسليح محور هذه الاحاديث الدورية ، فقد كان هناك وعد من السوفيت بتعويض كل مافقدناه من اسلحة ومعدات — دون مقابل — ، وقد أنشأ السوفيت فى ذلك الحين مايمكن ان نسميه بالجسر السوفيتي الجوى والبحرى لنقل الاسلحة والمعدات إلى مصر حتى كنا نسمع صوت الطائرات السوفيتية ، وهى تحلق فوق القاهرة ، بمعدل طائرة كل خمس دقائق ، ونحن مجتمعون مع السفير السوفيتي ، وكان السادات نفسه هو الذى يوجه انتباهنا الى صوت الطائرة السوفيتية وكان الجسر السوفيتي الجوى والبحرى يعمل منذ ٩ يونيو ١٩٦٧ مكونا ٥٥٠ رحلة جوية و١٥ باخرة نقل بلغت الدفعة الأولى منها مايقدر بـ ٥٠ الف طن معدات عسكرية كان قوامها أعدادا كبيرة من طائرات ميج ١٧ و ٢١ .

ولم يكن لهذه الاجتماعات اى اتصال بالمسائل الحربية والعسكرية فقد اعطاها عبد الناصر كل وقته وجهده ، وتولى بنفسه اعادة بناء القوات المسلحة مع المارشال زخاروف رئيس اركان الجيش السوفيتي ، الذى وصل الى القاهرة مع الرئيس بودجورنى فى نهاية شهر يونيو ١٩٦٧ واستبقاه عبد الناصر فى مصر ليعاونه على

اعادة بناء القوات المسلحة ، وظل فى مصر حتى بداية شهر نوفمبر ١٩٦٧ حتى استكملت مصر خطط دفاعها ، وكان عبد الناصر فى اجتماعات يومية معه ، ومع الجنرال لاشنكوف رئيس البعثة العسكرية السوفيتية ، التى اوفدت الى مصر لتدريب القوات المسلحة المصرية .

لقد بنى عبد الناصر فى ذلك الحين عقيدته على اساس ان الدفاع الوحيد للخروج من الهزيمة هو اعادة بناء القوات المسلحة ، وانه لاسبيل الى تحقيق هذا الهدف الا بمساندة السوفيت وعلى هذا لابد من اشعار السوفييت أن ما لحق مصر من هزيمة هزيمة لهم ايضا لدفعه وباستمرار على الاستجابة لما تطلبه مصر من اسلحة ومساعدات .

وأذكر فى مقابلة مع عبد الناصر ، وكنت مع السادات لنعرض عليه نتائج عدد من المحادثات والتى اجريناها مع السفير السوفيتى ، ان قال عبد الناصر .... ان على كل مسئول فى كل موقع وبمدى قدرته على الاقناع ، ان يضرب على هذا الوتر ، لزيادة ربط السوفيت بمعركتنا . وأنا دائما اقول لاصدقائنا العرب ولشعبنا المصرى انه حتى ولو ان الروس بطيئون ، إلا أنهم فى النهاية يعطونا ما نريده وهذا هو اهم شىء واتصالا بهذا اذكر اننى استمعت لتحليل سياسى من عبد الناصر فى يناير ١٩٦٩ ، وكنت ايضا مع السادات فى هذه المقابلة حيث كنا نرافق الكسندر شليبين عضو المكتب السياسى للحزب الشيوعى السوفيتى الذى كان فى زيارة للقاهرة فى ذلك الحين .

كانت هناك ثوابت تكررت فى حديثه :

أولا : ان اسرائيل اداة فى يد امريكا لفرض نظام جديد على الشرق الاوسط .

ثانيا : ان اسرائيل هى اداة امريكا ، فى اجهاض القوى العربية ، كل عقد من السنين سواء اكانت قوى عسكرية ... أو قوى

اقتصادية ، أو قوى بشرية وحضارية ، وان هذه الاستراتيجية لن تتغير وان تغيرت الوسائل والحيل .

ثالثا : ان هناك تفاهما امريكيا ـ اسرائيليا على انه لا عودة لحدود ١٩٦٧ .

رابعا : ان هناك تفاهما امريكيا ـ اسرائيليا على انه لا مهرب للعرب فى هذه المرة من المفاوضات المباشرة ، وكل دولة على حدة .

خامسا : ان حل النزاع المصرى الاسرائيلى رهين بحل القضية الفلسطينية ، ولن تحل القضية الا باستراتيجية عربية مشتركة متكاملة ، تعيد التوازن المختل لصالح الأمة العربية وهذا أمر ممكن فى أى حساب استراتيجى .

ومن هنا فانه لزلزلة هذه الثوابت لابد من ان تكون مصر على استعداد لخوض معركة حاسمة وان تعتمد فى استراتيجيتها على حليف استراتيجى ، تواجه به هذا الحلف الاستراتيجى الأمريكى الاسرائيلى .

وكان عبد الناصر يكرر دائما لكل مسئول سوفيتى يزوره ، اننا دائما نريد المزيد من الروس وكان عليهم ألا يشعروا أننا نغفل تقديرنا لما أعطونا .

لقد استطاع عبد الناصر وفى اقسى الظروف ان يقيم نموذجا رائعا للعلاقات المتكافئة بين دول صغيرة ـ كمصر ـ واحدى الدولتين العظميين ، دون ان يؤثر ذلك على استقلال مصر ، او سيادتها ، أو حرية ارادتها .

وفى قمة نمو العلاقات المصرية السوفيتية لم يستطع صوت واحد ، ان يرتفع باتهام مصر بانها خرجت عن دائرة حركة عدم الانحياز ، بل ظلت فى مقدمة هذه الدول ، صوتها مسموع ومركزها فى حركة عدم الانحياز مرموق ، كدولة مؤسسة لحركة عدم الانحياز ، وكدولة ملتزمة بمبادىء هذه الحركة .

واذكر هنا موقفا لعبد الناصر عندما اشتد الخلاف بينه وبين خوروشوف فى ١٩٥٩ حول الوحدة بين مصر وسورية ، وبلغ عنف الهجوم بين الاثنين اشده ، وشن كل منهما على الآخر حمله تجاوزت كل المعقول والمقبول فى العلاقات الدولية ، كان عبد الناصر فى هذه الفترة فى زيارة لسورية ، ولما عاد الى مصر استمر فى حملته ، وفى نفس الوقت اخذ فى استشارة الكثيرين حول مصير العلاقات المصرية السوفيتية .

واستشار عبد الناصر واستمع الى اراء كثيرة حول مصير العلاقات المصرية السوفيتية ، بعد هذه الحرب السياسية التى تبادلها مع خوروشوف ، وانتهى به التفكير الى انه لابد من انقاذ العلاقات الاقتصادية من خضم هذا الخلاف .

وكلف عبد الناصر سفيرنا فى موسكو ان يطلب مقابلة مع خوروشوف ، لمناقشته فى مصير العلاقات الاقتصادية ، وذهب السفير وهو يقدم رجلا ويؤخر اخرى ، وهو يتوجس من هذه المقابلة ، فقد كان خوروشوف سليط اللسان .

ولكن الزيارة انتهت باتفاق كامل بين الجانبين ، على استمرار العلاقات الاقتصادية ، بل واخذ فى تنفيذ الاتفاقيات الاقتصادية طريقة المرسوم ...

وكان بقاء العلاقات الاقتصادية واستمرارها ، عاملا هاما ، من العوامل التى ساعدت فيما بعد على عودة العلاقات السياسية الطبيعية بين البلدين .

سمعت هذه القصة من عبد الناصر فى حديث مع خوروشوف فى أسوان خلال زيارة خوروشوف لمصر عام ١٩٦٤ ، وقد كنت من بين الذين اختارهم عبد الناصر لترتيبات زيارة خوروشوف لمصر ، حيث كنت فى ذلك الحين امينا عاما لمجلس الامة ، وكان البرنامج يتضمن زيارة خوروشوف للمجلس والقاء خطاب فيه .

ذكرت السادات بهذه الواقعة فى كتاب ارسلته اليه عندما اعلن

عن نيته لالغاء معاهدة الصداقة المصرية السوفيتية فى مارس سنة ١٩٧٦ وكنت عضوا فى مجلس الشعب فى ذلك الحين ، قلت له ان مايعنيني هو العلاقات الاقتصادية واستمرار التعاون فى هذا المجال بين البلدين للمصلحة المشتركة ، وان ما نلاحظه هو اتساع ونمو العلاقات الاقتصادية والتجارية بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة . وبين الشرق والغرب بوجه عام ، وان الخلافات الايديولوجية تجبها المصالح الاقتصادية ، وابديت هذا الرأى فى اللجنة الموسعة فى مجلس الشعب التى ناقشت المشروع الذى تقدم به السادات لالغاء المعاهدة ...

وأذكر اننى خرجت فى هذا اليوم من اللجنة الموسعة مع اسماعيل فهمي وزير الخارجية فى ذلك الحين وانه قال لى : لا أملك الا ان اقول ربنا يسترها ... رغم ما كان لاسماعيل فهمي من مواقف خاصة بالنسبة لعلاقاتنا بالاتحاد السوفيتي .

وكان موقفي هذا فى مجلس الشعب وغيره من المواقف المعارضة من الموضوعات التى حسبها علي السادات ، فى الملفات التى فتحها لكل سياسي عارضه فى اي موقف أو تصرف من تصرفاته ، والسادات لم يكن يهمه الوضع الاقتصادى من قريب أو بعيد ، ولكن الذى كان يلح عليه هو الارضاء والاسترضاء والذهاب الى ابعد مما تطلبه أو تلوح به امريكا ، وحرق كل الكبارى مع الاتحاد السوفيتي .

لقد تعرفت بجميع القيادات السوفيتية التى زارت مصر فى عهد عبد الناصر وكان ذلك عن طريق السادات وكان تعرفى عن هذا الطريق أيضا بفيلاديمير فونوجرادوف الذى أصبح فيما بعد سفيرا لبلاده فى مصر بعد وفاة سلفة سيرجي فوثوجرادوف .

وقد كان فيلاديمير فوتوجرادوف السفير الجديد نائبا لوزير الخارجية جروميكو ، وكان يتردد بهذه الصفة كثيرا على مصر بوصفه مختصا بالعلاقات المصرية السوفيتية ، كان موضع تقدير عبد الناصر فى كثير من المواقف ، بل قد أكون متجاوزا فى التقدير اذا

قلت انني كنت أشعر أن حبه لمصر لايقل عن حبه لبلاده ...

وخلال تردده على مصر اقام صداقة مع الكثيرين من أعوان عبد الناصر ، وكان من بينهم هؤلاء الذى اسماهم السادات بمراكز القوى ، كما كنت واحدا من بين اصدقائه .

وقد استبشرت خيرا بتعيينه سفيرا لبلاده فى مصر ، وكلفني السادات أيضا بعد احداث مايو بأن أوثق من علاقاتى معه ، وكنا نتبادل الزيارات وأنا فى الاتحاد الاشتراكى ثم بعد أن عينني السادات نائبا لرئيس الوزراء فى النصف الثانى من يناير ١٩٧٢ ، ليحل مكانى لسيد مرعى فى الاتحاد الاشتراكى كبداية لنهاية الاتحاد الاشتراكى .

وفى اطار هذا الفهم ، أدرت أعمال جمعية الصداقة المصرية السوفيتية بكل الحذر وبكل التوجس من السادات ، وشاركني فى ذلك مجلس ادارة هذه الجمعية ، نخبة من رجالات مصر ، الذين عملوا مع السوفيت فى المشروعات المشتركة ، فى مختلف المجالات ، ولا حاجة لأن أدخل فى تفصيلات نشاط الجمعية فقد كانت كل حركة فى هذه الجمعية تجرى بعلم رياسة الجمهورية وموافقتها أو بعلم الاتحاد الاشتراكى وموافقته الا ان هناك واقعة جديرة بأن تذكر ، فقد كانت من الأسباب التى زادت من سخط السادات عليّ وعلى جمعية الصداقة .

فبعد حرب اكتوبر وبعد ان تكشفت واتضحت توجهات السادات الى امريكا ، قررت القيادة السوفيتية نقل سفيرها فيلاديمير فونوجرادوف من القاهرة رئيسا لوفدها الدائم فى مقر الأمم المتحدة ، فى جنيف ، وكان ذلك ايضا استعدادا منها للمشاركة فى اعمال مؤتمر جنيف ، الذى كان من المقرر عقده لتسوية النزاع العربى الاسرائيلى ، والذى تقرر عقده وفقا لقرار مجلس الأمن رقم ٣٨٣ الذى صدر فى أعقاب حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، والذى اتضح منذ أول جلسة من جلساته ، أن السادات عازف عنه ، استجابة

لتوجهات امريكا ، فى الانفراد بالحل واستبعاد مشاركة السوفيت فى اى خطوة من خطواته ، وقد حاول السادات ان يغطى عزوفه هذا بافتعال خلافات مع الاطراف العربية ، التى كانت من المفروض اشتراكها فى هذا المؤتمر وهكذا اجتمع مؤتمر جنيف فى جلسة واحدة لينفض بعد ذلك عقده ، وتتولى بعد ذلك امريكا خطوات الحل وحدها بما يتفق وسياساتها المشتركة مع اسرائيل ...

ونعود الى السفير فوتوجرادوف فقد كان فى اجازة وعاد الى القاهرة لينهى بعض اعماله ويودع أصدقاءه وزملاءه ورجال السلك الدبلوماسي والمسئولين فى وزارة الخارجية "المصرية وغيرهم .

ولم يقتصر السادات ، اذلالا للاتحاد السوفيتى ، وتقربا من امريكا ، على رفض مقابلة السفير ، وهو تقليد متعارف عليه فى العالم كله ، لم يكتف السادات بهذا الرفض ، بل اصدر اوامره الى وزارة الخارجية بالا تقيم حفل التوديع التقليدى ، الذى تقيمه لأى سفير يتقرر نقله من القاهرة ، وقدم السفير السوفيتى احتجاجا شديد اللهجة الى وزارة الخارجية المصرية .

واقمنا حفلا فى جمعية الصداقة لوداع السفير ، حضره الكثيرون ، الذين عبروا عن تقديرهم العميق للمساعدات التى قدمها الاتحاد السوفيتى والتى كان لها اثرها الكبير فى حرب اكتوبر ١٩٧٣ .

وكان دفء الوفاء الذى عبر عنه من اشترك فى هذا الحفل ، عوضا عن الاهمال والاغفال الذى لم يكن له مثيلا من قبل — والذى لقيه السفير من وزارة الخارجية بأمر السادات .

لم اكن ادرك ان اقامة مثل هذا الحفل — وهو واجب اجتماعى من واجبات جمعية اجتماعية ، لاعلاقة لها بالسياسة ، تعمل على توطيد العلاقات بين البلدين سيكون سببا فى هذه الثورة العارمة التى اصابت السادات ، وفى الهجوم الذى ركزه على شخصى ، وهو مانقله الى بعض المحيطين بالسادات .

واذكر واقعة صغيرة كانت بين الوقائع التي اثارت حفيظة السادات على هذا السفير السوفيتي واتهمه بالتدخل فى الشئون الداخلية لمصر ، فقد عين السادات حافظ اسماعيل مستشارا للامن القومي ، وحدث ان جاء السفير لمقابلته بعد تعيين حافظ اسماعيل فقدمه السفير بقوله My Kissinger فكان تعليق السفير ..... ولكن كيسنجر يهودى صهيوني ياسيادة الرئيس .

واعتبر السادات ان هذا تدخلا من السفير فى شئونه وشئون مصر الداخلية وتعريضا بشخصه .

لقد كانت قناعتي ان تظل الجمعية ، حتي لو جمد نشاطها بسبب الأوضاع السياسية بين البلدين ، وأن يظل هذا الخيط الرفيع يربط بين البلدين ، وان تظل العلاقات الاجتماعية بين الشعبين ، فقد نجد من المصلحة ان ندفعها فى المستقبل الى افاق اوسع .

كان مقر الجمعية ... شارع محمد حشمت بالزمالك وهو عبارة عن فيلا يملكها أحد اليهود من الذين وضعت اموالهم تحت الحراسة بعد العدوان الاسرائيلى فى ١٩٥٦ وبعد أن رفعت الحراسات عن أملاك اليهود ، بذل الثلاثي المعروف بوكالته عن اليهود لاستعادة املاكهم فى مصر ، سعد فخرى عبد النور المحامي ، وحرم بطرس غالى وزير الدولة للشئون الخارجية وهي يهودية ، ومحام مصرى اخر قيل انه على منصور ، بذلوا كل جهد ممكن للاستيلاء على مقر الجمعية ، بمساعدة بعض القوى المصرية المؤثرة وعرضوا علىّ الكثير لأقبل التنازل عن المقر ورفضت كل العروض .

واخيرا استطاعوا فى صيف عام ١٩٨٠ ـ بحيل قانونية ـ ان يصدروا حكما باخلاء مقر الجمعية وان ينفذوا الحكم فى ذات اليوم وأن يبدأوا فى هدم المبنى ، قبل ان تبت المحاكم فى الاشكالات والقضايا التى رفعتها كرئيس لجمعية الصداقة على انور ابوسحلى وزير عدل السادات فى ذلك الحين بشخصه وصفته ، ببطلان الحكم

الذى استصدره المنتفعون ، وبطلان الاجراءات التى اتخذوها .

واذا بالسادات فى ثورة الانفعال التى عصفت به وفى قمة الثأر من معارضيه فى سبتمبر ١٩٨١ - يصدر قرارا بحل جمعية الصداقة المصرية السوفيتية ، لانها اصبحت وكرا للتآمر عليه ، وهو لايدرى ان مقر الجمعية قد هشم وازيل من الوجود ، واصبح اثرا بعد عين ، قبل ذلك بأكثر من عام .

هذه قصة جمعية الصداقة المصرية السوفيتية التى انشأها عبد الناصر فى ١٩٦٩ وهدمها سماسرة المليونيرات اليهود فى مصر ، وحصلوا على عمولة تقارب المليون جنيه من بيع ارضها فى ١٩٨٠ ، ولحقتها لعنة السادات فى سبتمبر ١٩٨١ بقرار حلها ...

لم اواجه باى مأخذ على نشاطها من اى جهة من جهات التحقيق السياسى او الجنائى ، التى اعتصرتنى عصرا ، والتى استنطقتنى عن تاريخى السياسى خطوة بخطوة وواقعه بواقعة ، حتى لم يبق الا سؤال واحد لم يوجه إلى ، وهو لماذا ولدت وكيف ولدت ؟ ..

ومازلت على قناعتى ان طريق مصر هو طريق التحرر الوطنى ، وان مكان مصر هو فى معسكر دول عدم الانحياز ، وان سياسة الانحياز بالكامل الى امريكا لا يمكن ان تقودنا سوى الى التبعية والتخلف ، واننا يجب أن نقيم علاقاتنا بالقوتين العظميين على أساس من الاحترام المتبادل ، وعدم التدخل فى الشئون الداخلية ، واستقلال ارادتنا فى القرار السياسى والاقتصادى والاجتماعى .



● خاتمة

شرف ملاحقته الذى اعتز به

وبعد فقد اقتصرت فى كتابى على الفترة التى تعاونت فيهـا مـع السادات ، ولم أشأ أن اتعرض لمعارضتى الصـلبة لـه فى مجلس الشعب وأنا عضو فيه حتى ١٩٧٦ ، وفى مختلف التجمعات الشعبية والجماهيرية ، وكان كتابى الذى منع السادات تداوله بضبطه فى اغسطس سنة ١٩٨٠ « مصر الى ايـن ؟ علقمـا مـرا فى حلـق السادات ، لأنه كشف عن الواقع الجديد الذى أحله السادات محل الشرعية الدستورية ، وعن العدوان المستمر على احكام الـدستور نصا وروحا ، وقد استمرت معارضتى له حتى لحظة أن زج بـى فى سجنه فى ٣ سبتمبر ١٩٨١ ، وحتى لحظة حادث المنصة ا ى فى ٦ اكتوبر سنة ١٩٨١ ، ومازلت إلى اليوم أرفض كل سياسات السادات الخارجية والداخلية وأعتبر أنه تسـبب فى ردة فى مصر وفى الامـة العربية ، ستقتضينا أجيالا لتجاوزها .

وقد التزمت الا اخوض فى هذا الكتاب المسـائل الشـخصية أو الخاصة ، ولدى من وقائعها الكثير ، ورغم ارتباط الخاص بـالعام وانعكاس هذا الخاص على العام ، فان الخصومة لا يمكن ان تـزل بالانسان الى اقتحام حياه انسان آخر ، فى أدق خصوصياته كما فعل معى السادات ...

ولعلى أجبت فى هذا الكتاب ، دون أن أعرض لمعارضتى العلنية لمجمل سياسات السادات للسـؤال لمـاذا اتهمنـى السـادات بالعمالة ، ولماذا حاول جاهدا أن يلصق بى التهمة ، مقتحما حياتى الخاصة بأجهزة التصنت والاستماع والتصوير لمدة ثلاث سنوات ، ولعلى أجبت أيضا على السؤال لماذا اعتبر محاولة السادات هـذه ،

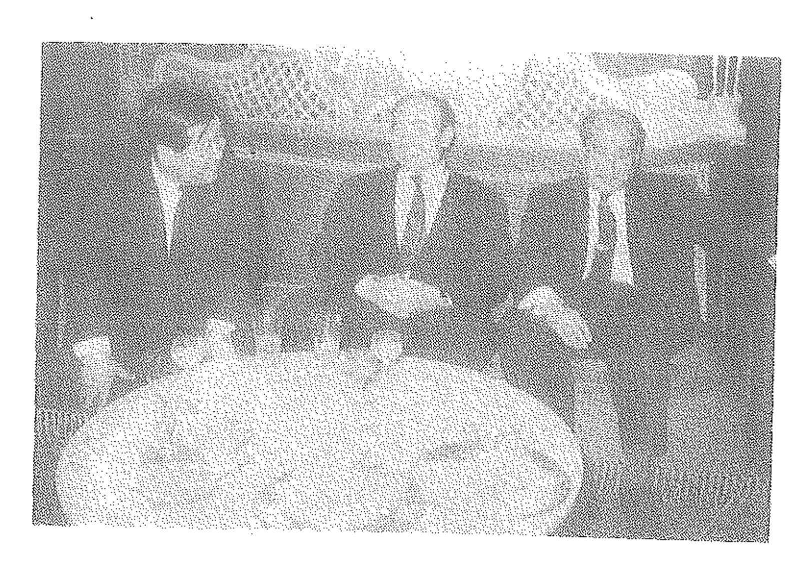


مع عبد الناصر

الدائبة والفاشلة ، شرفا اعتز به ، فكل وطني عند السادات عميل لهذه الدولة أو تلك ، عربية أو غير عربية ، وكل معارضة في اي اتجاه أيا كان الاتجاه عمالة .

ان اية تهمة ادعاها السادات عليّ ، وأية اباطيل نسجها حولي ، اعتبرها وسام شرف تقلدته وسأفخر به مابقي لي من سنين أو أيام .

على انه لابد من كلمة اخيرة عن هذا الاتهام الكاذب المزيف الذي نسجه السادات كنسيج العنكبوت حولي . لقد كلف السادات جهاز الامن القومي ان ينسج هذا النسيج المتهالك وعندما طلب الى جهاز الامن القومي بعد ان قبض عليّ في حملته الارهابية في سبتمبر ١٩٨١ ـ ان يتقدم الى النيابة العامة والى المدعي العام الاشتراكي بعناصر الاتهام ضدي في جريمة تخابر مع السوفيت ومع منظمة التحرير الفلسطينية ودول الرفض أبى شرف رئيس الجهاز أن يشترك في نسج اتهامات باطلة ملفقة فنحاه السادات عن مركزه ليجد



مع خالد محيي الدين

من ينسج ما سمته صحافة السادات الصفراء واجهزة اعلامه العميله بقضية أو مؤامرة « التفاحه العطنه » أو « المستنقع » ليدفع بي وبغيرى الى مشنقته وشاء الله ان يمضي السادات وان يتداعى نسيج العنكبوت وأن تسقط النيابة الاتهام بالعمالة وأن يبقى الاتهام الموجه اليه قائما حتى الآن فى حياته وبعد أن ذهب مع حادث المنصة .

قال السادات انه لم يخف يوما بل يتباهى دوما بأنه عمل جاسوسا لألمانيا النازية وسجل اعترافه تفصيلا فى مذكراته وأحاديثه وفى كتابه (البحث عن الذات) .

ثم تخرج علينا صحيفة الهيرالدتريبيون الأمريكية فى ٢٥ فبراير ١٩٧٧ بمقال تحت عنوان « مدفوعات وكالة المخابرات لقادة الشرق الأوسط استثمار مربح » .

ويتحدث المقال عن ملايين الدولارات ... فى صورة عمولات ....

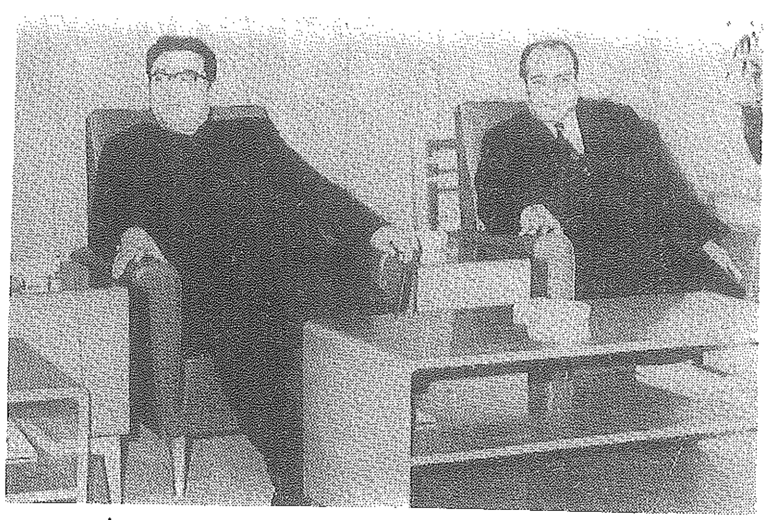


مع سريمافو باندرانايكة

دفعتها الاحتكارات الأمريكية لقادة ورجال اعمال عرب

ويمضى المقال فيقول : ان المخابرات الامريكية كانت تقوم بهذه المهمة من خلال وسطاء من ابرزهم كمال ادهم مسئول جهاز الامن السعودى الذى تجاوز نفوذه وتأثير حدود بلاده ، كان كمال ادهم وثيق الصلة بكل من الاسرة الحاكمة السعودية وبالرئيس المصرى انور السادات فبينما كان سلف السادات ، جمال عبد الناصر ، يحاول الاطاحة بالنظام المحافظ فى السعوديه فى الستينيات إلتقط السيد ادهم بعناية السادات الذى كان يومها نائبا لرئيس الجمهورية .

وكان ادهم يزود السادات بدخل خاص ثابت وفقا لما قرره مسئول رفض ان يدلى بتفاصيل ونشر هذا تحت سمع وبصر البيت الأبيض والبنتاجون ووكالة المخابرات الأمريكية والسفارة المصرية ومع ذلك لم يصدر أى تكذيب ولم ينشر أى تصحيح ، ولم يصدر أى

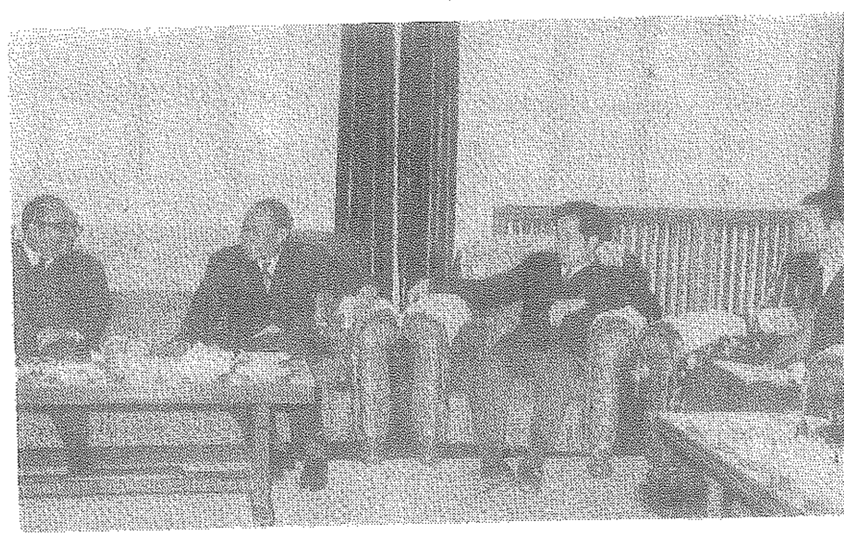


مع كيم ايل سونج

احتجاج أوتكذيب من أي طرف من الأطراف الثلاثة ، اليد التى تدفع أو اليد التى تتلقى أو الوسيط بين هذا وذاك ...

وأشهد الله اننى فى فترة تعاونى مع السادات رأيت ان اوجه له النصيحة التى تنطوى على صالح بلدى ، وكل نصيحة اعتبرها السادات عمالة ، وكل اختلاف مخطط ومؤامرة ، ما من أحد أسدى له نصيحة خالصة ، الا وحاول ان ينهى عليه بالفعل ، وما من أحد اختلف معه الا وحمل له كراهية التحريم ، ورغبة التشفى والانتقام .

وقد اختلفت وعارضت ويشرفنى اننى فعلت ، ولو لم اكن فعلت هذا فى حياة السادات لشعرت اليوم بجرمى الكبير ، ولو عاش ليلف حبل المشنقة على رقبتى ، الامر الذى ردد إصراره على تنفيذه ، لسرت قرير العين الى حبل المشنقة ، فما من راحة اعز من راحة الانسان ، الذى ارضى ضميره ، وعمل لصالح الشعب والأمة التى يتشرف بالانتماء اليها .

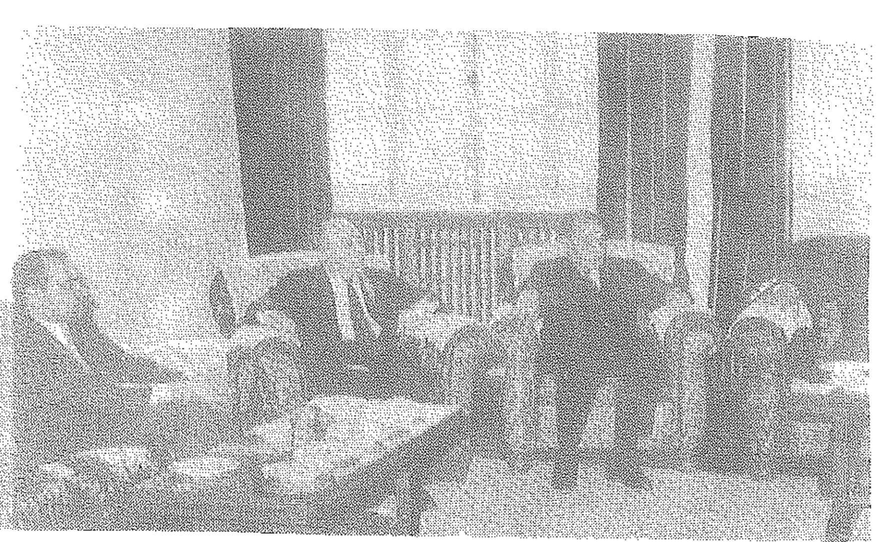


مع الوفد البرلمانى المصرى فى زيارة الصين

فالنضال فى سبيل المستقبل واجب ، والوقوف ضد الطغاة واجب ، وكلمة الحق واجب ان يقولها الانسان ، وليكن بعد ذلك ما يكون.

فان كتمان كلمة الحق ، أو حجبها عن الناس ، لايقل اثما عما وصفه الرسول الكريم فى حديثه الشريف « الساكت عن الحق شيطان أخرس » .







مع الدكتور محمود فوزى والدكتور فؤاد مرسى

الفهرس

ـ من المحرر : ثلاثة أحجار صغيرة فى بحيرة راكدة ـ صلاح عيسى ٤
ـ قناع السادات وحقيقة الزيات بقلم : د . فؤاد مرسى........١١
ـ افتتاحية : هذه الخواطر حول صديق زائف................٢٩

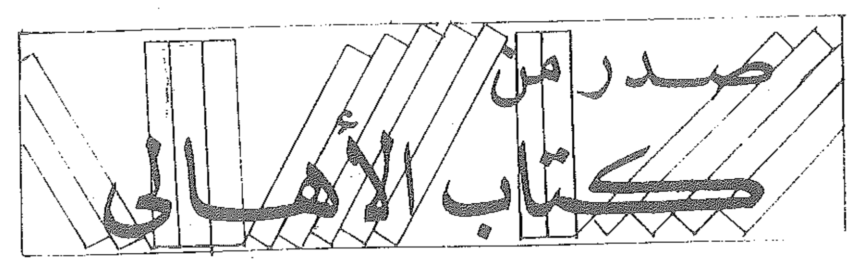
القسم الأول : السادات كما عرفته قبل رئاسته [ص ٣٩ ـ ص ١٠٤]
الفصل الأول : السادات وكيلا لمجلس الأمة ٤١
الفصل الثانى : السادات ومسئوليات الرئاسة فى مجس الأمة..٤٩
الفصل الثالث : السادات يهرب من مواجهة عامر وعلى صبرى.٥٩
الفصل الرابع : عبدالناصر يتنازل والسادات يعد غرفة العمليات ٦٧
الفصل الخامس : العلاقة بين عبدالناصر والسادات ٧٣
الفصل السادس : لماذا اختار عبدالناصر السادات نائبا ؟....٨٣
الفصل السابع : الشيك المشبوه .. والكرسى الهزاز...........٨٩

القسم الثانى : صراع القوى بعد ولاية السادات [ص ١٠٥ ـ ص ١٤٨]
الفصل الأول : ولاية السادات وتعيينى وزيرا ١٠٧
الفصل الثانى : الاتحاد مع ليبيا وسوريا وتحول الدفة نحو أمريكا ١١٥
الفصل الثالث : الاتحاد وبداية الصراع ١٢١
الفصل الرابع : اقالة على صبرى وافتعال الصدام مع السوفييت..............................١٢٩

الفصل الخامس : تفجر الصراع .. وانقلاب ١٥ مايو ١٣٧

القسم الثالث : مع السادات بعد ١٥ مايو [١٤٩ – ٣٤٤]

الفصل الأول : بيان ١٠ يونيو ١٩٧١ : المحاولة الأولى لوقف الردة .... ص ١٥١
الفصل الثاني : السادات يتنكر لبرنامج العمل الوطني ..ص ١٦٧
الفصل الثالث : الظاهر والباطن ....ص ١٧٩
الفصل الرابع : اتحاد عمال مصر وحمامات الدم في السودان ص ٢٠١
الفصل الخامس : بداية التفكير في اللجوء لاسرائيل .....ص ٢١٥
الفصل السادس : الدستور الدائم وحقيقة ديمقراطية السادات ....ص ٢٣٣
الفصل السابع : السادات يوفدني الى موسكو ....ص ٢٤٧
الفصل الثامن : السادات يمهد لزيارة موسكو ....ص ٢٥٧
الفصل التاسع : المزاج الدموي وقضية مراكز القوى ...ص ٢٦٩
الفصل العاشر : الشباب بين الحوار والعنف..............ص ٢٨٥
الفصل الحادي عشر : عام اللاحسم واللاسلم وقضية الضباب ص ٣٠٣
الفصل الثاني عشر : بيان الضباب وإبعادي من الاتحاد الاشتراكي ....ص ٣٢١
الفصل الثالث عشر : السادات يكلفني برئاسة جمعية الصداقة مع السوفييت ....ص ٣٣٣
خاتمة : شرف ملاحقته الذي اعتز به ....ص ٣٤٥



١ - خالد محيي الدين : مستقبل الديمقراطية فى مصر

- اطلالة على التاريخ وتحليل للواقع واستشراف للمستقبل ، لايروى من تاريخ الديمقراطية المصرية الا تلك الخطوط العريضة التى تمكن قارئه من الامساك بمفاتيح المشكلة الديمقراطية فى مصر قبل ثورة يوليو واثناءها ، ليتوقف عند ازمتها الراهنة التى تمتد بجذورها الى الديمقراطية الساداتية ، لكنها تؤثر فى مستقبل الوطن .

(١٢٢ صفحة - صدر فى مارس ١٩٨٤ - نفد)

٢ - د . محمد احمد خلف الله : الأسس القرانية للتقدم

- دراسة تنطلق من رؤية تقول ان القران الكريم هو الكتاب الذى انزله الله على نبيه ليبلغه للناس ، بلاغا مضمونه هو مطالبة المجتمع اولا - وقبل كل شىء - باحداث تغييرات جذرية ، فى الآراء والمعتقدات وفى التقاليد والعادات والقيم . فالاسلام فى توجهاته الكبرى ، هو رسالة تقدمية تستهدف تحرير الانسان ، وحثه على انجاز مهمة التقدم .

(١٤٤ صفحة - صدر فى يونيو ١٩٨٤ - الثمن ٥٠ قرشا)

د . ابراهيم العيسوى : فى اصلاح ما افسده الانفتاح

- استعراض لما افسدته سياسة الانفتاح الاقتصادى فى مجالات الاقتصاد والاجتماع والسياسة وتناول لعدد مختار من المشكلات ذات الطابع الاقتصادى بمنظور مجتمعى متكامل وشامل . يناقش الكتاب مشكلات الغلاء والدعم والاستهلاك والقطاع العام والمعونات الاجنبية ، ويعنى بتقديم بعض الحلول التى يمكن تنفيذها دون تغيير جذرى ، لكنه لايهمل قضية التغيير الاجتماعى المطلوب على المدى الابعد .

(٢٩٦ صفحة - صدر فى سبتمبر ١٩٨٤ - الثمن ١٢٥ قرشا)

٤ ـ د . سعيد اسماعيل على : « محنة التعليم فى مصر »
ـ استعراض للمشكلات التى يعانى منها التعليم المصرى ، مما يعوقه عن ان يكون اداة فعالة فى تطوير المجتمع وتقدمه ، ويبقيه اداة لتزييف الوعى ، ووسيلة لتزويره .. الكتاب لايتهم احدا ، ولكنه يدق ناقوس الخطر ليستحث همم الجميع سعيا وراء تجاوز المحنة التى يمر بها التعليم المصرى .
(٢٦٤ صفحة ـ صدر فى نوفمبر ١٩٨٤ ـ الثمن جنيه واحد)

٥ ـ فريق من خبراء الاقتصاد بالتجمع : دعم الاغنياء ودعم الفقراء
ـ النص الكامل للتقرير الذى رفعه التجمع للرئيس مبارك حول رأى الحزب فى مشكلة الدعم ، وهو معالجة موضوعية رصينة اشترك فى اعدادها كوكبة من المع العقول الاقتصادية فى مصر ، ينتمون الى جيلين من الاقتصاديين المصريين هم الدكاترة « ابراهيم سعد الدين » و « ابراهيم العيسوى » و « اسماعيل صبرى عبد الله » و « جودة عبد الخالق » و « فؤاد مرسى » و « محمود عبد الفضيل »
(١٦٨ صفحة ـ صدر فى ابريل ١٩٨٥ ـ الثمن ٥٠ قرشا)

٦ ـ فيليب جلاب : هل نهدم السد العالى ؟
ـ مواجهة صريحة للحملة التى استهدفت اتهام السد العالى ، بانه سبب كل كوارث مصر ، وانه المسئول عن رفع ملوحة التربة ونحر مجرى النيل والتقليل من نسبة الطمى الذى يخصب الارض ، والقضاء على السردين والجمبرى وتحليل لاهداف تلك الحملة ، التى اكتشف اصحابها فيما بعد ، وبخجل قليل ان السد العالى هو الذى حمى مصر من الجفاف والتصحر .
(١٤٤ صفحة ـ صدر فى يونيو ١٩٨٥ ـ الثمن ٥٠ قرشا)

٧ ـ ديفيد لاندز / ترجمة وتقديم د . عبد العظيم انيس : بنوك وباشوات
ـ واحد من اخطر الكتب الامريكية ، التى تعتمد على وثائق عثر عليها مؤلفه فى ارشيف سرى ، تكشف جانبا خطيرا من قصة النهب الاوروبى لثروة مصر فى عهد اسرة محمد على ، والوصول بها الى مرحلة الخراب ثم الاحتلال ، قدم له المترجم ، بدراسة بعنوان « الخراب الحديث لمصر المحروسة »
(٣١٦ صفحة ـ صدر فى اغسطس ١٩٨٥ ـ الثمن ١٢٥)

٨ فريق من المتخصصين فى السياسة الدولية : محاكمة ريجان

- مختارات من الابحاث التى قدمها فريق من المتخصصين فى الشئون الدولية ينتمون لجنسيات شتى ، الى محاكمة ادارتها منظمة التقدم العالمى ، حول جرائم عهد ريجان ، الذى مولت الحكومة الامريكية فى عهده ادوات الارهاب الدولى فى الشرق الاوسط وامريكا الوسطى وجنوب شرق اسيا .

ترجمها وقدم لها « بيومى قنديل » وراجعها وعلق عليه « محمد سيد احمد »

(٢٤٤ صفحة - صدر فى اكتوبر ١٩٨٥ - الثمن جنيه واحد)

٩ د . سعيد اسماعيل على : انهم يخربون التعليم

- يستكمل المؤلف فى هذا الكتاب دراسة عدد اخر من مشكلات التعليم فى مصر التى ناقش بعضها فى كتابه « محنة التعليم فى مصر » من خلال نظرة مجتمعية تربط التعليم عضويا بالبنية الاساسية للمجتمع .

(٢٦٨ صفحة - صدر فى يناير ١٩٨٦ - الثمن جنيه واحد)

١٠ - ثلاثة مؤلفين اسرائيليين : حدث فى كامب ديفيد

- يروى هذا الكتاب القصة السرية لمبادرة السلام الساداتية على لسان ثلاثة من الصحفيين الاسرائيليين الذين اتيح لهم ان يطلعوا على كثير من اسرار ماجرى بين السادات ومعاونيه ، وبين الطرفين الامريكى والاسرائيلى فى مفاوضات كامب ديفيد :

- والمؤلفون الثلاثة هم « ايتان هابر » - المراسل العسكرى لصحيفة « يديعوت احرانوت » و « زيف شيف » - المحلل العسكرى لصحيفة « هارتس » و « ايهود يعارى » - رئيس الشئون العربية فى التليفزيون الاسرائيلى » وقد وثق مترجم الكتاب « ابراهيم منصور » الرواية الاسرائيلية فقارنها بما كتبه اثنان من وزراء خارجية مصر هما « اسماعيل فهمى » و « محمد ابراهيم كامل » .. و٣ مسئولين امريكيين هم : « جيمى كارتر » و « وليام كوانت » و« بريز نسكى » ومسئولان اسرائيليان هما : « موشى ديان » و « ايزر فايتسمان »

(٧٥٢ صفحة - صدر فى يوليو ١٩٨٦ - نفذ)

١١ ـ لطفى الخولى : مدرسة السادات السياسية واليسار المصرى .

ـ توصيف وتحليل للخلاف الجذرى بين رؤية السادات السياسية ورؤية فصائل اليسار المصرى ، للقضايا الرئيسية التى تتعلق بمستقبل الشعب والوطن والامة . يستند الكتاب الى مجموعة لقاءات جمعت بين المؤلف والسادات خلال العام ١٩٧٤ وماقبله ، وهو يعتبر نبؤه مبكرة لما آل اليه حال السادات وانتهى بفاجعة المنصة .

(٣٢٠ صفحة ـ صدر فى نوفمبر ١٩٨٦ ـ نفذ)

١٢ ـ محمد ابراهيم كامل : السلام الضائع فى كامب ديفيد

ـ اخطر المذكرات السياسية التى صدرت فى التاريخ العربى المعاصر وتكشف جانبا هاما من اسرار المفاوضات التى انتهت بتوقيع اتفاقيات كامب ديفيد ، وادت الى خروج مصر من المواجهة مع العدو الصهيونى .

ـ وتكمن قيمة هذه المذكرات فى ان صاحبها كان فى المكان الذى يتيح له ان يعرف جوانب من الطريقة التى ادار بها السادات المفاوضات مع الطرفين الامريكى والاسرائيلى . مما دفعه للاستقالة من منصبة كوزير للخارجية المصرية بعد تسعة شهور فقط . قدم للطبعة المصرية فتحى رضوان

(٦٦٤ صفحة ـ صدر فى يناير ١٩٨٧ ـ الثمن خمسة جنيهات)

١٣ ـ بهجت : حكومة واهالى وخلافه

ـ مختارات من رسوم الكاريكاتير التى ينشرها على صفحات الاهالى فنان الكاريكاتير اللامع « بهجت عثمان » وعالجت ثنائية « حكومة .. واهالى » الشهيرة .. وهى تتضمن تنويعات ساخرة على هذه الثنائية تتجاوز العلاقة بين السلطة والمواطن ، الى كل العلاقات الانسانية غير المتكافئة .. حيث يفجر « بهجت » عبر تناوله لهذه الثنائيات ضحكات تغسل الروح وتضىء العقل .. قدم لها « صلاح عيسى » بدراسة عن نشوء وتطور فن الكاريكاتير فى مصر ..

(١٦٠ صفحة ـ طباعة فاخرة ـ لونين ـ صدر فى مارس ١٩٨٧ الثمن ٣٥٠)

١٤ ـ خليل عبد الكريم : لتطبيق الشريعة لا للحكم

ـ يناقش المؤلف ـ وهو احد كتاب اليسار الاسلامى ـ فى هذا الكتاب التفسير الشائع على السنة المطالبين بتطبيق الشريعة للآيات التى يستندون اليها فى هذه المطالبة ، كما يناقش مطلبهم بتطبيق الحدود الاسلامية فورا ، وفى ظل الظروف الاجتماعية التى تسود المجتمعات الاسلامية الان

(١٢٨ صفحة ـ صدر فى مايو ١٩٨٧ ـ الثمن ٥٠ قرشا)

١٥ ـ د . غالى شكرى : الثورة المضادة فى مصر
ـ تحليل علمى ، ومتابعة دقيقة للجذور الاقتصادية والاجتماعية التى بذرت بذور الثورة المضادة فى مصر . وادت الى نضوج ثمارها من خلال رؤية تقول ان انقلاب السادات فى مايو ١٩٧١ كان نتاجا طبيعيا لاخطاء وتشوهات فى الرؤية والممارسة وقعت فيها الحقبة الناصرية . التى زحفت الثورة المضادة على انجازاتها وسلطتها
(٥٣٦ صفحة ـ صدر فى سبتمبر ١٩٨٧ ـ الثمن خمسة جنيهات)

١٦ ـ من كتاب وفنانى « الاهالى » : لهذا نعارض مبارك
ـ يتضمن هذا الكتاب ٩٤ مقالا وعشرات الرسوم الكاريكاتورية التى نشرت على صفحات جريدة الاهالى بين مايو ١٩٨٢ واكتوبر ١٩٨٧ . وتناولت حوارا او اختلافا او معارضة لممارسات واقوال . كان طرفها الثانى هو الرئيس مبارك . وهو تسجيل امين لتطور موقف حزب التجمع من ادارة الرئيس مبارك
(٥١٢ صفحة ـ صدر فى اكتوبر ١٩٨٧ ـ الثمن ثلاثة جنيهات)

١٧ ـ كامل زهيرى : النيل فى خطر
صرخة وطنية تحذر من مخطط اسرائيلى يريد تحويل مياه النيل عبر سيناء الى صحراء النقب ، وتنبه الى الحلم الصهيونى القديم (١٩٠٣) الذى اصبح مشروعا جديدا (١٩٨٠) يقدم تفاصيل المشروعين عبر حقائق ووثائق وقد اضاف اليه المؤلف فى هذه الطبعة وثائق المعركة التى اثارها الكتاب والتى كانت واحدة من كبرى المعارك بين عامى ١٩٧٩ و ١٩٨٠ دفاعا عن النيل ضد الاطماع الصهيونية

(٢٨٠ صفحة ـ صدر فى يناير ١٩٨٩ ـ الثمن ٢ جنيات)

(النسخ المتوفرة من هذه الكتب محدودة وتطلب من مقر « الاهالى » ٢٣ شارع عبد الخالق ثروت شقة ١٨ القاهرة ومكتبة مدبولى ميدان طلعت حرب ودار الثقافة الجديدة ٣٢ شارع صبرى ابو علم والمقر المركزى لحزب التجمع ١ شارع كريم الدولة ـ المتفرع من ميدان طلعت حرب ـ القاهرة)

اقرأ في أول مارس ١٩٨٩

كتاب الأهالى رقم ١٩

مارس ١٩٨٩

أزمة النظام الاشتراكى

[ورقة للنقاش]

يطرح الكتاب بعض الأفكار حول مايعتبره الكاتب أزمة تواجه النماذج الاشتراكية القائمة والأسباب التى أدت الى بروز تلك الأزمة والشروط الضرورية لتعديها . بهدف إكتساب الدروس المناسبة التى تفيد المناضلين العرب من أجل الاشتراكية والتقدم .

د . ابراهيم سعد الدين

رقم الإيداع : ١٥٩٠ / ١٩٨٩

طبعت بمطابع شركة الأمل للطباعة والنشر
« إخوان مورفيتلى سابقا »
عادل الرفاعى وشركاه
تليفون ٣٩٠٤٠٩٦

لم ينل السادات حقه من الدراسة بعد . قد تتولى هذه المهمة الصعبة أجيال قادمة . لكن تظل المسئولية الأولى معلقة برقاب معاصريه الذين لا يبرىء ذمتهم ما صدر حتى الآن من كتابات حول السادات .

ترى هل يكفى كتابان إثنان ، أحدهما كتبه « محمد حسنين هيكل » بعنون « خريف الغضب » والآخر وضعه أحمد بهاء الدين بعنوان « محاوراتى مع السادات » ؟ وهذا لحسن الحظ هو الكتاب الثالث الذى فزنا به ، كتبه واحد من أقرب الناس إلى السادات خلال فترة حافلة بدأت برئاسة السادات باسم ثورة يوليو لمجلس الأمة وانتهت برئاسة السادات للدولة وانقلابه الشامل على ثورة يوليو .

كان محمد عبد السلام الزيات طوال تلك الفترة فى بؤرة الأحداث الى جانب السادات . كان المستشار الموثوق برأيه والصديق المؤتمن على أمره . لكن السادات « ضحك عليه » كما ضحك على غيره من قبل : وعندما اكتشف الناس الخديعة متأخرين كان « الزيات » أول المخدوعين . وكانت فجيعته فى السادات بقدر ما أخلص له من الود والنصح من قبل . ولولا ذلك ما كتب « الزيات » هذا الكتاب وجعل عنوانه : « السادات .. القناع والحقيقة » .. بل ولولا ذلك ما كان « الزيات » ليكون أول من عارض « السادات » من بين أقرب المسئولين إليه .

خرج « الزيات » عن صمته الطويل بعد أن كان قد ارتضى لنفسه أن يحتجب وراء « السادات » . وانبرى « الزيات » يعارض « السادات » نهائيا فى مجلس الشعب وكاتبا فى الصحف وخطيبا فى المحافل . ثم انكب على إدانة انقلاب السادات على ثورة يوليو فى كتاب بعنون « مصر الى أين » أثبت فيه خروج السادات على الدستور والمشروعية الدستورية ـ فأمر « السادات » بمصادرة الكتاب وملاحقة الكاتب . وإنتهز أول فرصة تالية فأودعه السجن ضمن من شملتهم أحداث سبتمبر ١٩٨١ .

وخرج « الزيات » من السجن ليواصل رسالته فى المعارضة . لكنه كان قد عقد العزم على أن يزيح القناع عن وجه السادات نفسه . ولولا ذلك ما كان هذا الكتاب . فجاء شيئا متميزا .